النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

جلد ٣

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس تحليلية

بسم الله الرحمن الرحيم

النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره

كاتب:

جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی

نشرت فی الطباعة:

وزاره الثقافه والارشادالقومی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۳ ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
تقدیم ----- ۱۱
[تتمة ما وقع من الحوادث سنة ۲۵۴] ----- ۱۲
ذکر ولایة أحمد بن طولون علی مصر ----- ۱۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۵۵] ----- ۱۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۵۶] ----- ۲۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۵۷] ----- ۲۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۵۸] ----- ۲۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۵۹] ----- ۲۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۰] ----- ۲۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۱] ----- ۲۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۲] ----- ۲۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۳] ----- ۲۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۴] ----- ۲۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۵] ----- ۲۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۶] ----- ۲۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۷] ----- ۲۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۸] ----- ۲۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۹] ----- ۲۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۰] ----- ۲۹
اشارة ----- ۲۹

ذکر ولایة خمارویه علی مصر ----- ۳۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۱] ----- ۳۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۲] ----- ۳۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۳] ----- ۳۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۴] ----- ۳۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۵] ----- ۳۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۶] ----- ۳۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۷] ----- ۴۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۸] ----- ۴۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۹] ----- ۴۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۰] ----- ۴۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۱] ----- ۴۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۲] ----- ۴۴
اشارة ----- ۴۴
ذکر ولایة أبی العساکر جیش علی مصر ----- ۴۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۳] ----- ۴۷
اشارة ----- ۴۷
ذکر ولایة هارون بن خمارویه علی مصر ----- ۴۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۴] ----- ۵۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۵] ----- ۵۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۶] ----- ۵۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۷] ----- ۵۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۸] ----- ۵۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۹] ----- ۵۹

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۰] ۶۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۱] ۶۱
اشارة ۶۱
ذكر ولاية شيبان بن أحمد بن طولون على مصر ۶۲
ذكر أوّل من ولى مصر بعد بنى طولون و خراب القطائع إلى الدولة الفاطمية العبيديّة و بناء القاهرة على الترتيب المقدّم ذكره ۶۶
ذكر ولاية عيسى النّوشرىّ على مصر ۶۶
ذكر ولاية محمد بن علىّ الخلنجىّ على مصر ۷۰
ذكر عود عيسى النوشرىّ إلى مصر ۷۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۲] ۷۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۳] ۷۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۴] ۷۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۵] ۷۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۶] ۷۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۷] ۷۶
اشارة ۷۶
ذكر ولاية تكين الأولى على مصر ۷۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۸] ۷۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۹] ۷۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۰] ۸۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۱] ۸۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۲] ۸۲
اشارة ۸۲
ذكر ولاية ذكا الرومىّ على مصر ۸۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۳] ۸۳

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۴] ۸۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۵] ۸۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۶] ۸۶
اشارة ۸۶
ذکر ولایة تکین الثانیة علی مصر ۸۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۷] ۸۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۸] ۸۸
اشارة ۸۸
ذکر ولایة أبی قابوس محمود علی مصر ۸۸
ذکر ولایة تکین الثالثة علی مصر ۸۸
ذکر ولایة هلال بن بدر علی مصر ۸۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۹] ۸۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۰] ۹۰
اشارة ۹۰
ذکر ولایة أحمد بن کیغلغ الأولی علی مصر ۹۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۱] ۹۱
اشارة ۹۱
ذکر ولایة تکین الرابعة علی مصر ۹۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۲] ۹۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۳] ۹۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۴] ۹۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۵] ۹۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۶] ۹۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۷] ۹۸

[اما وقع من الحوادث سنة ۳۱۸] ۱۰۰
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۱۹] ۱۰۱
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۲۰] ۱۰۲
اشارة ۱۰۲
ذکر ولایة محمد بن طغج الأولی علی مصر ۱۰۴
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۲۱] ۱۰۵
اشارة ۱۰۵
ذکر ولایة أحمد بن کیغلغ الثانیة علی مصر ۱۰۷
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۲۲] ۱۰۸
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۲۳] ۱۰۹
اشارة ۱۰۹
ذکر ولایة محمد بن طغج الإخشید ثانیة علی مصر ۱۱۱
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۲۴] ۱۱۳
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۲۵] ۱۱۴
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۲۶] ۱۱۵
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۲۷] ۱۱۶
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۲۸] ۱۱۷
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۲۹] ۱۱۹
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۳۰] ۱۲۰
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۳۱] ۱۲۲
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۳۲] ۱۲۳
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۳۳] ۱۲۴
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۳۴] ۱۲۵
اشارة ۱۲۵

ذکر ولایة أنوجور بن الإخشید علی مصر ----- ۱۲۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۵] ----- ۱۲۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۶] ----- ۱۲۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۷] ----- ۱۳۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۸] ----- ۱۳۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۹] ----- ۱۳۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۰] ----- ۱۳۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۱] ----- ۱۳۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۲] ----- ۱۳۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۳] ----- ۱۳۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۴] ----- ۱۳۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۵] ----- ۱۳۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۶] ----- ۱۳۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۷] ----- ۱۳۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۸] ----- ۱۴۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۹] ----- ۱۴۰
اشارة ----- ۱۴۰
ذکر ولایة علیّ بن الإخشید علی مصر ----- ۱۴۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۰] ----- ۱۴۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۱] ----- ۱۴۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۲] ----- ۱۴۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۳] ----- ۱۴۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۴] ----- ۱۴۷
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۴۹

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۳

اشارة

سرشناسه : ابن تغری بردی، یوسف بن تغری بردی، ۸۱۳-۸۷۴ق.

عنوان و نام پدیدآور : النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره/ تالیف جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی.

وضعیت ویراست : [ویراست ؟].

مشخصات نشر : قاهره: وزاره الثقافه والارشادالقومی، الموسسه المصریه العامه، ۱۳۴۲.

سال چاپ: ۱۳۹۲ ه. ق

نوبت چاپ: اول

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱۶

مشخصات ظاهری : ۱۶ج. (درسه مجلد).

یادداشت : عربی.

یادداشت : جلد سیزدهم تاجلد شانزدهم توسط فهیم محمد شلتوت، جمال‌الدین شیال و ابراهیم علی طرخان تصحیح‌شده توسط الهیئه‌المصریه‌العامه للتالیف و النشر منتشر گردیده است.

یادداشت : ج.۱، ۲، ۳، ۴، ۷ ، ۸ ، ۱۱ و ۱۲ (چاپ ؟: ۱۳).

یادداشت : ج. ۱۵ (چاپ؟: ۱۳۹۱ق. = ۱۹۷۱م. = ۱۳۵۰).

یادداشت : ج.۱۶ (چاپ؟ = ۱۳۹۲ق. = ۱۹۷۲م. = ۱۳۵۱).

یادداشت : بالای عنوان: تراثنا.

یادداشت : کتابنامه.

عنوان دیگر : تراثنا.

موضوع : مصر -- شاهان و فرمانروایان

موضوع : مصر -- تاریخ -- ۱۹ - ۸۹۷ق.-- سالشمار.

شناسه افزوده : شلتوت، فهیم محمد، مصحح

شناسه افزوده : شیال، جمال‌الدین، مصحح

شناسه افزوده : طرخان، ابراهیم علی، مصحح

رده بندی کنگره : DT۹۵/الف۲ن۳ ۱۳۴۲

رده بندی دیویی : ۹۶۲/۰۲

شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۵۵۴۷

تقدیم

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم و صلی اللّه علی سیدنا محمد و آله و صحابته و المسلمین.

الجزء الثالث من كتاب النجوم الزاهرة

[تتمة ما وقع من الحوادث سنة ۲۵۴]

ذكر ولاية أحمد بن طولون على مصر

هو أحمد بن طولون الأمير أبو العبّاس التركىّ أمير مصر، ولى مصر بعد عزل أرخوز بن أولوغ طرخان فى شهر رمضان سنة أربع و خمسين و مائتين، و قد مضى من عمره أربع و ثلاثون سنة و يوم واحد. و كان أبوه طولون مولى نوح [بن أسد ابن سامان السامانىّ] عامل بخارى و خراسان، أهداه نوح فى جملة مماليك إلى المأمون ابن الرشيد، فرقّاه المأمون حتى صار من جملة الأمراء. و ولد له ابنه أحمد هذا فى سنة عشرين و مائتين، و قيل فى سنة أربع عشرة و مائتين، ببغداد، و قيل بسرّمن‌رأى و هو الأشهر، من جارية تسمّى هاشم، و قيل قاسم. و قيل: إن أحمد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲

هذا لم يكن ابن طولون و إنما طولون تبنّاه؛ قال أبو عبد اللّه محمد بن أبى نصر الحميدىّ: قال بعض المضريين: إن طولون تبنّاه لما رأى فيه من مخايل النجابة. و دخل عليه يوما [و هو صغير]، فقال: بالباب قوم ضعفاء فلو كتبت لهم بشىء! فقال [له] طولون: ادخل إلى المقصورة و أتنى بدواة؛ فدخل أحمد فرأى بالدّهليز جارية من حظايا طولون قد خلا بها خادم، فأخذ أحمد الدواه و خرج و لم يتكلّم؛ فحسبت الجارية أنه يسبقها إلى طولون بالقول، فجاءت إلى طولون و قالت: إنّ أحمد راودنى الساعة فى الدهليز، فصدّقها طولون، و كتب كتابا لبعض خدمه يأمره بقتل حامل الكتاب من غير مشورة، و أعطاه لأحمد و قال: اذهب به إلى فلان؛ فأخذ أحمد الكتاب و مرّ بالجارية؛ فقالت له: إلى أين؟ فقال: فى حاجة مهمّة للأمير فى هذا الكتاب؛ فقالت:

أنا أرسله، ولى بك حاجة؛ فدفع إليها الكتاب فدفعته إلى الخادم المذكور، و قالت:

اذهب به إلى فلان؛ و شاغلت أحمد بالحديث، أرادت بذلك أن يزداد عليه الأمير طولون غضبا. فلما وقف المأمور على الكتاب قطع رأس الخادم و بعث به إلى طولون؛ فلما رآه عجب و استدعى أحمد و قال له: اصدقنى! ما الذى رأيت فى طريقك إلى المقصورة؟ قال: لا شىء؛ قال: اصدقنى و إلا قتلتك! فصدقه الحديث؛ و علمت الجارية بقتل الخادم، فخرجت ذليلة؛ فقال لها طولون:

اصدقينى فصدقته فقتلها؛ و حظى أحمد عنده.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳

و قال أحمد بن يوسف: قلت لأبى العباس بن خاقان: الناس فرقتان فى ابن طولون، فرقة تقول: إنّ أحمد ابن طولون، و أخرى تقول: هو ابن يلبخ التركىّ، و أمّه قاسم جارية طولون؛ فقال: كذبوا، إنما هو ابن طولون. و دليله أنّ الموفّق لما لعنه نسبه إلى طولون و لم ينسبه إلى يلبخ، و يلبخ مضحاك يسخر منه، و طولون معروف بالسّتر. و قال أحمد بن يوسف المذكور: كان طولون رجلا من أهل طغزغز حمله نوح بن أسد عامل بخارى إلى المأمون [فيما كان موظّفا عليه من المال و الرقيق و البراذين و غير ذلك فى كلّ سنة]. و ولد [له] أحمد [سنة عشرين و مائتين] من جارية، و مات أبوه طولون فى سنة أربعين و مائتين، و قيل: فى سنة ثلاثين و مائتين، و الأوّل أصح. انتهى كلام ابن يوسف.

و نشأ أحمد بن طولون على مذهب جميل، و حفظ القرآن و أتقنه، و كان من نشأته أطيب الناس صوتا به، مع كثرة الدرس و طلب العلم؛ و تفقّه على مذهب الإمام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۴

الأعظم أبى حنيفة. و لما ترعرع أحمد تزوّج بابنة عمّه خاتون فولدت له العباس سنة اثنتين و أربعين و مائتين. و لما مات أبوه طولون

فوّض إليه الخليفة المتوكّل ما كان لأبيه، ثم تنقّلت به الأحوال إلى أن ولى إمرة الثغور و إمرة دمشق ثم ديار مصر. و كان يقول: ينبغى للرئيس أن يجعل اقتصاده على نفسه و سماحته على من يقصده و يشتمل عليه، فإنه يملكهم ملكا لا يزول به عن قلوبهم. و نشأ أحمد بن طولون فى الفقه و الصلاح و الدين و الجود حتى صار له فى الدنيا الذكر الجميل.

و كان شديد الإزراء على الترك و أولادهم لما يرتكبونه فى أمر الخلفاء، غير راض بذلك، و يستقلّ عقولهم؛ و يقول: حرمة الدّين عندهم مهتوكة.

و قال الخاقانىّ - و كان خصيصا عند ابن طولون-: و قال لى يوما (يعنى ابن طولون): يا أخى [الى] كم نقيم على هذا الإثم مع هؤلاء الموالى! (يعنى الأتراك)، لا يطئون موطئا إلا كتب علينا الخطأ و الإثم؛ و الصواب أن نسأل الوزير أن يكتب أرزاقنا الى الثغر؛ فسأله فكتب له و خرجنا إلى طرسوس؛ فلما رأى ما الناس عليه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۵

من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر سرّ بذلك؛ فأقمنا نسمع الحديث مدّة، ثم رجعت أنا الى سرّ من رأى، فآستقبلتنى أمّه قاسم بالبكاء و قالت: مات ابنى! فحلفت لها إنه فى عافية؛ ثم عدت الى طرسوس فأخبرته بما رأيت من أمّه و قلت له: إن كنت أردت بمقامك فى هذه البلاد وجه اللّه و تدع أمّك كذلك فقد أخطأت؛ فوعدنى بالخروج من طرسوس؛ ثم خرجنا و نحن زهاء خمسمائة رجل- و الخليفة يومئذ المستعين باللّه- و خرج معنا خادم الخليفة و معه ثياب مثمّنة من عمل الروم، فسرنا إلى الرّها؛ فقيل لنا: إنّ جماعة من قطّاع الطريق على انتظاركم، و المصلحة دخولكم حصن الرّها حتى يتفرّقوا؛ فقال أحمد: لا يرانى اللّه فارّا و قد خرجت على نيّة الجهاد! فخرجنا و التقينا، فأوقع بالقوم و قتل منهم جماعة و هرب الباقون؛ فزاد فى أعين الناس مهابة و جلالة؛ و وصل الخادم الى المستعين بالثياب، فلما رآها استحسنها؛ فقال له الخادم: لو لا ابن طولون ما سلمت و لا سلمنا و حكى له الحكاية؛ فبعث إليه مع الخادم ألف دينار سرّا، و قال له: عرّفه أننى أحبّه، و لو لا خوفى عليه قرّبته.

و كان ابن طولون إذا أدخل على المستعين مع الأتراك فى الخدمة أومأ اليه الخليفة بالسلام سرّا، و استدام الإحسان إليه و وهب له جارية اسمها ميّاس، فولدت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۶

له ابنه خمارويه فى المحرّم من سنة خمسين و مائتين. و لما تنكّر الأتراك للمستعين و خلعوه و أحدروه إلى واسط، قالوا له: من تختار أن يكون فى صحبتك؟ فقال:

أحمد بن طولون، فبعثوه معه فأحسن صحبته. ثم كتب الأتراك إلى أحمد: اقتل المستعين و نولّيك واسطا؛ فكتب إليهم لا رآنى اللّه قتلت خليفة بايعت له أبدا! فبعثوا سعيدا الحاجب فقتل المستعين، فوارى أحمد بن طولون جثّته. و لما رجع أحمد الى سرّ من رأى بعد ما قتل المستعين أقام بها، فزاد محلّه عند الأتراك فولّوه مصر نيابة عن أميرها سنة أربع و خمسين و مائتين. فقال حين دخلها: غاية ما وعدت به فى قتل المستعين واسط، فتركت ذلك للّه تعالى، فعوّضنى ولاية مصر و الشام.

فلما قتل والى مصر من الأتراك فى أيّام الخليفة المهتدى صار أحمد بن طولون مستقلّا بها فى أيام المعتمد. و قيل: إنّه ولى الشام نيابة عن باكباك، فلمّا قتل باكباك استقلّ، و كان حكمه من الفرات الى المغرب. و أوّل ما دخل مصر خرج بغا الأصغر، و هو أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن طباطبا، فيما بين برقة و الإسكندريّة فى جمادى الأولى سنة خمس و خمسين و مائتين، و سار إلى الصعيد، فقتل هناك و حمل رأسه الى مصر فى شعبان. ثم خرج ابن الصوفىّ العلوىّ، و هو إبراهيم ابن محمد بن يحيى [بن عبد اللّه بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب]، و توجّه إلى إسنا فى ذى القعدة فنهب [و قتل أهلها]؛ و قيل: إنّ أحمد بن طولون بعث

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۷

اليه جيشا فكسر الجيش فى ربيع الأوّل سنة ست و خمسين و مائتين، و أرسل اليه ابن طولون جيشا آخر فواقعوه بإخميم فهزموه الى

الواح. ثم خرج ابن طولون بنفسه لمحاربة عيسى بن الشيخ، ثم عاد و أرسل جيشا؛ ثم ورد عليه كتاب الخليفة بأنه يتسلّم الأعمال الخارجة عن أرض مصر؛ فتسلّم الإسكندرية و خرج اليها لثمان خلون من شهر رمضان، و استخلف على مصر طغلج صاحب شرطته، ثم عاد الى مصر لأربع عشرة بقيت من شوّال، و سخط على أخيه موسى و أمره بلباس البياض؛ ثم خرج الى الإسكندرية ثانيا [لثمان بقين من] شعبان سنة تسع و خمسين و مائتين، ثم عاد فى شوّال. ثم ورد عليه كتاب المعتمد يستحثّه فى جمع الأموال؛ فكتب اليه ابن طولون: لست أطيق ذلك و الخراج فى يد غيرى؛ فأرسل المعتمد على اللّه اليه نفيسا الخادم بتقليده الخراج و بولايته الثغور الشاميّة. فأقرّ أحمد بن طولون عند ذلك أبا أيّوب أحمد بن محمد [بن شجاع] على الخراج، و عقد لطخشىّ بن بلبرد على الثغور، فخرج اليها فى سنة أربع و ستين و مائتين، فصار الأمر كلّه بيد أحمد ابن طولون، و قويت شوكته بذلك و عظم أمره بديار مصر.

و لما كان فى بعض الأيام ركب يوما ليتصيّد بمصر فغاصت قوائم فرسه فى الرمل فأمر بكشف ذلك الموضع فظفر بمطلب فيه ألف ألف دينار، فأنفقها فى أبواب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۸

البرّ و الصدقات، كما سيأتى ذكرها. و كان يتصدّق فى كل يوم بمائة دينار غير ما كان عليه من الرواتب، و كان ينفق على مطبخه فى كلّ يوم ألف دينار، و كان يبعث بالصدقات الى دمشق و العراق و الجزيرة و الثغور و بغداد و سرّ من رأى و الكوفة و البصرة و الحرمين و غيرها؛ فحسب ذلك فكان ألفى ألف دينار و مائتى ألف دينار.

ثم بنى الجامع الذى بين مصر و قبّة الهواء على جبل يتسكر خارج القاهرة و غرم عليه أموالا عظيمة.

قال أحمد الكاتب: أنفق عليه مائة ألف دينار و عشرين ألف دينار. و قال له الصنّاع: على أىّ مثال نعمل المنارة؟ و ما كان يعبث قطّ فى مجلسه، فأخذ درجا من الكاغد و جعل يعبث به فخرج بعضه و بقى بعضه فى يده، فعجب الحاضرون، فقال: اصنعوا المنارة على هذا المثال، فصنعوها.

و لما تمّ بناء الجامع رأى أحمد بن طولون فى منامه كأنّ اللّه تعالى قد تجلّى للقصور التى حول الجامع و لم يتجلّ للجامع، فسأل المعبّرين فقالوا: يخرب ما حوله و يبقى قائما وحده؛ فقال: من أين لكم هذا؟ قالوا: من قوله تعالى: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، و قوله صلى اللّه عليه و سلم: «إذا تجلّى اللّه لشىء خضع له».

و كان كما قالوا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۹

و قال بعضهم: إنّ الكنز الذى لقيه ابن طولون منه عمّر الجامع المذكور. و كان بناؤه فى سنة تسع و خمسين و مائتين. و أما أمر الكنز فانه ذكر غير واحد من المؤرّخين أنّ أحمد بن طولون كان له كاتب يعرف بابن دشومة و كان واسع الحيلة بخيل اليد زاهدا فى شكر الشاكرين، لا يهشّ الى شىء من أعمال البرّ، و كان ابن طولون من أهل القرآن إذا جرت منه إساءة استغفر و تضرّع؛ و اتّفق أنّ الخليفة المعتمد أمر ابن طولون أن يتسلّم الخراج حسبما ذكرناه، فامتنع من المظالم لدينه، ثم شاور كاتبه ابن دشومة المذكور، فقال ابن دشومه: يؤمّننى الأمير لأقول له ما عندى؟ فقال أحمد بن طولون: قل و أنت آمن؛ فقال: يعلم الأمير أن الدنيا و الآخرة ضرّتان، و الشهم من لم يخلط إحداهما بالأخرى، و المفرّط من جمع بينهما؛ و أفعال الأمير أفعال الجبابرة، و توكّله توكّل الزهّاد، و ليس مثله من ركب خطّة لم يحكمها، و لو كنّا نثق بالنصر و طول العمر لما كان شىء آثر عندنا من التضييق على أنفسنا فى العاجل لعمارة الآجل، و لكن الإنسان قصير العمر كثير المصائب و الآفات؛ و هذه المظالم قد اجتمع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۰

لك منها فى السنة ما قدره مائة ألف دينار؛ فبات أحمد بن طولون ليلته و قد حرّكه قول ابن دشومة، فرأى فيما يرى النائم صديقا له كان من الزهّاد مات لمّا كان ابن طولون بالثغر قبل دخوله الى مصر، و هو يقول له: بئس ما أشار عليك ابن دشومة فى أمر الارتفاق،

و اعلم أنه من ترك شيئا للّه عوّضه اللّه خيرا منه؛ فارجع الى ربّك، و إن كان التكاثر و التفاخر قد شغلاك عنه فى هذه الدنيا. فأمض ما عزمت عليه و أنا ضامن لك من اللّه تعالى أفضل العوض منه قريبا غير بعيد.

فلما أصبح أحمد بن طولون دعا ابن دشومة فأخبره بما رأى فى نومه؛ فقال له ابن دشومة: أشار عليك رجلان: أحدهما فى اليقظة و الآخر فى المنام، و أنت لمن فى اليقظة أوجد و بضمانه أوثق؛ فقال ابن طولون: دعنى من هذا؛ و أزال جميع المظالم و لم يلتفت الى كلامه. ثم ركب أحمد بن طولون الى الصيد، فلما سار فى البرّيّة انخسفت الأرض برجل فرس بعض أصحابه فى قبر فى وسط الرمل؛ فوقف أحمد بن طولون عليه و كشفه فوجد مطلبا واسعا، فأمر بحمله فحمل منه من المال ما قيمته ألف ألف دينار؛ فبنى منه هذا الجامع و البئر بالقرافة الكبرى و البيمارستان بمصر و وجوه البرّ؛ ثم دعا بابن دشومة المقدّم ذكره و قال: و اللّه لو لا أنّى أمّنتك لصلبتك، ثم بعد مدّة صادره و استصفى أمواله، و حبسه حتى مات.

و قيل: إن ابن طولون لما فرغ من بناء جامعه المذكور أمر حاشيته بسماع ما يقول الناس فيه من الأقوال و العيوب؛ فقال رجل: محرابه صغير، و قال آخر: ما فيه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۱

عمود، و قال آخر: ليست له ميضأة؛ فبلغه ذلك فجمع الناس و قال: أما المحراب فإنى رأيت النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم و قد خطّه لى فى منامى، و أصبحت فرأيت النمل قد طافت بذلك المكان الذى خطّه لى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم؛ و أما العمد فإنّى بنيت هذا الجامع من مال حلال و هو الكنز، و ما كنت لأشوبه بغيره؛ و هذه العمد إما أن تكون فى مسجد أو كنيسة فنزّهته عنها؛ و أما الميضأة فإنّى نظرت فوجدت ما يكون بها من النجاسات فطهّرته عنها، و هأنا أبنيها خلفه، و أمر ببنائها.

و قيل: إنه لمّا فرغ من بنائه رأى فى منامه كأنّ نارا نزلت من السماء فأخذت الجامع دون ما حوله من العمران؛ فلمّا أصبح قصّ رؤياه فقيل له: أبشر بقبول الجامع المبارك، لأنّ النار كانت فى الزمن الماضى إذا قبل اللّه قربانا نزلت نار من السماء أخذته، و دليله قصة قابيل و هابيل.

و كان حول الجامع العمران ملاصقة له، حتى قيل: إن مسطبة كانت خلف الجامع، و كانت ذراعا فى ذراع لا غير، فكانت أجرتها فى كلّ يوم اثنى عشر درهما:

فى بكرة النهار يقعد فيها شخص يبيع الغزل و يشتريه بأربعة دراهم؛ و من الظهر الى العصر لخبّاز بأربعة دراهم؛ و من العصر الى المغرب لشخص يبيع فيها الحمّص و الفول بأربعة دراهم. قلت: هذا مما يدل على أن الجامع المذكور كان فى وسط العمران.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۲

و هذا الجامع على جبل يشكر- كما ذكرناه- و هو مكان مشهور بإجابة الدعاء، و قيل: إنّ موسى عليه السلام ناجى ربّه- جلّ جلاله- عليه بكلمات. و يشكر المنسوب إليه هذا الجبل هو ابن جزيلة من لخم. انتهى.

و أنفق ابن طولون على البيمارستان ستين ألف دينار، و على حصن الجزيرة ثمانين ألف دينار، و على الميدان خمسين ألف دينار؛ و حمل إلى الخليفة المعتمد فى مدة أربع سنين ألفى ألف دينار و مائتى ألف دينار. و كان خراج مصر فى أيامه أربعة آلاف ألف و ثلثمائة ألف دينار؛ هذا مع كثرة صدقاته و إنفاقه على مماليكه و عسكره.

و قد قال له وكيله فى الصدقات: ربما امتدّت الىّ الكفّ المطوّقة و المعصم فيه السّوار و الكمّ الناعم، أفأمنع هذه الوظيفة؟ فقال له: ويحك! هؤلاء المستورون الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، احذر أن تردّ يدا امتدّت اليك.

و قيل: إنه حسّن له بعض التجار التجارة، فدفع له أحمد بن طولون خمسين ألف دينار يتّجر له بها؛ فرأى ابن طولون بعد ذلك فى منامه كأنه يمشمش عظما، فدعا المعبّر و قصّ عليه؛ فقال: قد سمت همّتك إلى مكسب لا يشبه خطرك؛ فأرسل ابن طولون فى الحال إلى التاجر و أخذ المال منه فتصدّق به.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۳

و کان جمیع خصال ابن طولون محمودة، إلا أنه کان حادّ الخلق و المزاج؛ فإنه لما ولی مصر و الشام ظلم کثیرا و عسف و سفک کثیرا من الدماء. یقال: إنه مات فی حبسه ثمانیة عشر ألفا، فرأی فی منامه کأنّ الحق سبحانه قد مات فی داره فاستعظم ذلک و انتبه فزعا، و جمع المعبّرین فلم یدروا؛ فقال له بعضهم: أقول ولی الأمان؟

قال نعم؛ قال: أنت رجل ظالم، قد أمتّ الحقّ فی دارک! فبکی.

و کان فیه ذکاء و فطنة و حدس ثاقب. قال محمد بن عبد الملک الهمذانیّ:

إن ابن طولون جلس یأکل، فرأی سائلا- فأمر له بدجاجة و رغیف و حلواء، فجاءه الغلام فقال: ناولته فما هشّ له؛ فقال ابن طولون: علیّ به، فلما مثل بین یدیه لم یضطرب من الهیبة؛ فقال له ابن طولون: أحضر لی الکتب التی معک و اصدقنی، فقد صحّ عندی أنک صاحب خبر، و أحضر السیاط فاعترف؛ فقال له بعض من حضر: هذا و اللّه السحر الحلال! قال ابن طولون: ما هو سحر و لکنّه قیاس صحیح، رأیت سوء حاله فسیّرت له طعاما یشره له الشبعان فما هشّ له، فأحضرته فتلقّانی بقوّة جأش، فعلمت أنه صاحب خبر لا فقیر، فکان کذلک.

و قال أبو الحسین الرازیّ: سمعت أحمد [بن أحمد] بن حمید بن أبی العجائز و غیره من شیوخ دمشق قالوا: لما دخل أحمد بن طولون دمشق وقع بها حریق عند کنیسة مریم، فرکب ابن طولون إلیه و معه أبو زرعة البصری و أبو عبد اللّه أحمد ابن محمد الواسطیّ کاتبه؛ فقال ابن طولون لأبی زرعة: ما یسمّی هذا الموضع؟

قال: کنیسة مریم؛ فقال أبو عبد اللّه: أکان لمریم کنیسة؟ قال: ماهی من بناء

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۴

مریم، و إنما بنوها علی اسمها؛ فقال ابن طولون: مالک [و] للاعتراض علی الشیخ! ثم أمر بسبعین ألف دینار من ماله، و أن یعطی لکل من احترق له شیء و یقبل قوله و لا- یستحلف، فأعطوا لمن ذهب ماله. و فضل من المال أربعة عشر ألف دینار؛ ثم أمر بمال عظیم أیضا ففرّق فی فقراء أهل دمشق و الغوطة، و أقلّ ما أصاب الواحد من المستورین دینار.

و عن محمد بن علی الماذرائیّ قال: کنت أجتاز بتربة أحمد بن طولون فأری شیخا ملازما للقراءة علی قبره، ثم إنی لم أره مدّة، ثم رأیته فسألته فقال: کان له علینا بعض العدل إن لم یکن الکلّ، فأحببت أن أصله بالقراءة؛ قلت: فلم انقطعت؟

قال: رأیته فی النوم و هو یقول: أحبّ ألّا تقرأ عندی، فما تمرّ بآیة إلا قرّعت بها و قیل: أما سمعت هذه! انتهی.

قلت: و لمّا ولی أحمد بن طولون مصر سکن العسکر علی عادة أمراء مصر من قبله، ثم أحب أن یبنی له قصرا فبنی القطائع. و القطائع قد زالت آثارها الآن من مصر و لم یبق لها رسم یعرف، و کان موضعها من قبّة الهواء، التی صار مکانها الآن قلعة الجبل، الی جامع ابن طولون المذکور و هو طول القطائع، و أما عرضها فانه کان من أوّل الرّمیلة من تحت القلعة الی الموضع الذی یعرف الآن بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذی یقال له الآن زین العابدین؛ و کانت مساحة القطائع میلا فی میل.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۵

و قبّة الهواء کانت فی السطح الذی علیه قلعة الجبل. و تحت قبة الهواء کان قصر ابن طولون. و موضع هذا القصر المیدان السلطانی الآن الذی تحت قلعة الجبل بالرّمیلة.

و کان موضع سوق الخیل و الحمیر و البغال و الجمال بستانا. و یجاورها المیدان الذی یعرف الیوم بالقبیبات؛ فیصیر المیدان فیما بین القصر و الجامع الذی أنشأه أحمد بن طولون المعروف به. و بجوار الجامع دار الإمارة فی جهته القبلیة، و لها باب من جدار الجامع یخرج منه الی المقصورة المحیطة بمصلّی الأمیر الی جوار المحراب، و هناک دار الحرم. و القطائع عدّة قطع یسکن فیها عبید الأمیر أحمد بن طولون و عساکره و غلمانه.

قلت: و القطائع كانت بمعنى الأطباق التى للمماليك السلطانية الآن، و كانت كلّ قطيعة لطائفة تسمّى بها، فكانت قطيعة تسمّى قطيعة السودان، و قطيعة الروم، و قطيعة الفرّاشين- و هم نوع من الجمدارية الآن- و نحو ذلك. و كانت كل قطيعة لسكن جماعة ممن ذكرنا و هى بمنزلة الحارات اليوم. و سبب بناء ابن طولون القصر و القطائع كثرة مماليكه و عبيده، فضاقت دار الإمارة عليه، فركب الى سفح الجبل و أمر بحرث قبور اليهود و النصارى، و اختطّ موضعهما و بنى القصر و الميدان المقدّم ذكرهما؛ ثم أمر لأصحابه و غلمانه أن يختطّوا لأنفسهم حول قصره و ميدانه بيوتا؛ و اختطّوا و بنوا حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط- أعنى بمصر القديمة- ثم بنيت القطائع و سمّيت كل قطيعة باسم من سكنها. قال القضاعىّ: و كان للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم، و للروم قطيعة مفردة تعرف بهم، و للفرّاشين قطيعة [مفردة] تعرف بهم، و لكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم؛ و بنى القوّاد مواضع [متفرّقة]،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۶

و عمرت القطائع عمارة حسنة و تفرّقت فيما السكك و الأزقّة، و عمرت فيها المساجد الحسان و الطواحين و الحمّامات و الأفران و الحوانيت و الشوراع.

و جعل ابن طولون قصرا كبيرا فيه ميدانه الذى يلعب فيه بالكرة، و سمّى القصر كلّه الميدان؛ و عمل للقصر أبوابا لكل باب اسم؛ فباب الميدان الكبير كان منه الدخول و الخروج لجيشه و خدمه؛ و باب الخاصّة لا يدخل منه إلا خاصّته؛ و باب الجبل الذى يلى جبل المقطم؛ و باب الحرم لا يدخل منه إلا خادم خصىّ أو حرمة؛ و باب الدّرسون كان يجلس فيه حاجب أسود عظيم الخلقة يتقلّد جنايات الغلمان السودان الرّجّالة فقط، و اسمه الدرمون و به سمّى الباب المذكور؛ و باب دعناج لأنه كان يجلس فيه حاجب يقال له دعناج؛ و باب الساج لأنه كان عمل من خشب الساج؛ و باب الصلاة لأنه كان يخرج [منه] إلى الصلاة و كان بالشارع الأعظم، و كان هذا الباب يعرف بباب السباع لأنه كانت عليه صورة سبعين من جبس؛ و كانت هذه الأبواب لا تفتح كلّها إلا فى يوم العيد [أو] يوم عرض الجيش [أو يوم صدقة]، و ما كانت تفتح الأبواب إلا بترتيب فى أوقات معروفة؛ و كان للقصر شبابيك تفتح من سائر نواحى الأبواب تشرف كلّ جهة على باب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۷

و لما بنى هذا القصر و الميدان و عظم أمره زادت صدقاته و رواتبه حتى بلغت صدقاته المرتّبة فى الشهر ألفى دينار، سوى ما كان يغطى و يطرأ عليه؛ و كان يقول:

هذه صدقات الشكر على تجديد النعم؛ ثم جعل مطابخ للفقراء و المساكين فى كلّ يوم، فكان يذبح فيها البقر و الغنم و يفرّق للناس فى القدور الفخّار و القصع، و لكل قصعة أو قدر أربعة أرغفة: فى اثنين منها فالوذج، و الاثنان الآخران على القدر أو القصعة؛ و كان فى الغالب يعمل سماط عظيم و ينادى فى مصر: من أحبّ [أن] يحضر سماط الأمير فليحضر؛ و يجلس هو بأعلى القصر ينظر ذلك و يأمر بفتح جميع أبواب الميدان ينظرهم و هم يأكلون و يحملون فيسّره ذلك و يحمد اللّه على نعمته. ثم جعل بالقرب من قصره حجرة فيها رجال سمّاهم بالمكبّرين عدّتهم اثنا عشر رجلا، يبيت فى كلّ ليلة منهم أربعة يتعاقبون بالليل نوبا، يكبّرون و يهلّلون و يسبّحون و يقرءون القرآن بطيّب الألحان و يترسّلون بقصائد زهديّة و يؤذّنون أوقات الأذان؛ و كان هو أيضا [من] أطيب الناس صوتا. قلت: و لهذا كان فى هذه الرتبة، لأن الجنسيّة علة الضم.

و لا زال على ذلك حتى خرج من مصر الى طرسوس، ثم عاد الى أنطاكية فى جيوشه، بعد أن كان وقع له مع الموفّق أمور و وقائع يأتى ذكرها فى حوادث سنيه على مصر.

و كان قد أكل من لبن الجاموس و أكثر منه، و كان له طبيب اسمه سعد بن نوفيل نصرانى؛ فقال له: ما الرأى؟ فقال له: لا تقرب الغذاء اليوم و غدا، و كان جائعا فاستدعى خروفا و فراريج فأكل منها، و كان به علّة القيام فامتنع؛ فأخبر الطبيب؛ فقال: إنا للّه! ضعفت القوّة المدافعة بقهر الغذاء لها، [فعالجه] فعاوده الإسهال؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۸

فخرج من أنطاكية فى محفه تحمله الرجال، فضعف عن ذلك فركب البحر الى مصر؛ فقيل لطبيبه: لست بحاذق؛ فقال: و اللّه ما خدمتى له إلا خدمة الفأر للسّنّور، و إن قتلى عنده أهون علىّ من صحبته!.

و لما دخل ابن طولون الى مصر على تلك الهيئة استدعى الأطباء و فيهم الحسن ابن زيرك، فقال لهم: و اللّه لئن لم تحسنوا فى تدبيركم لأضربنّ أعناقكم قيل موتى؛ فخافوا منه، و ما كان يحتمى، و يخالفهم. و لما اشتدّ مرضه خرج المسلمون بالمصاحف، و اليهود و النصارى بالتوراة و الإنجيل، و المعلّمون بالصّبيان، الى الصحراء و دعوا له؛ و أقام المسلمون بالمساجد يختمون القرآن و يدعون له؛ فلما أيس من نفسه رفع يديه إلى السماء و قال: يا ربّ ارحم من جهل مقدار نفسه، و أبطره حلمك عنه؛ ثم تشهّد و مات بمصر فى يوم الاثنين لثمان عشرة خلت من ذى القعدة سنة سبعين و مائتين، و ولى مصر بعده ابنه أبو الجيش خمارويه؛ و مات و عمره خمسون سنة بحساب من قال إنّ مولده سنة عشرين و مائتين. و كانت ولايته على مصر سبع عشرة سنة. و قيل: إنّه لمّا ثقل فى الضعف أرسل الى القاضى بكّار بن قتيبة الحنفىّ- و كان قد حبسه فى دار بسبب نحكيه هنا بعد ما نذكر ما أرسل يقول له- فجاء الرسول إلى بكّار يقول له: أنا أردّك الى منزلتك و أحسن؛ فقال القاضى بكّار:

قل له: شيخ فان و عليل مدنف، و الملتقى قريب، و القاضى اللّه عزّ و جلّ؛ فأبلغ الرسول ابن طولون ذلك؛ فأطرق ساعة، ثم أقبل يقول: شيخ فان و عليل مدنف و الملتقى قريب و القاضى اللّه! و كرّر ذلك الى أن غشى عليه؛ ثم أمر بنقله من السجن الى دار اكتريت له.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۹

و أما سبب انحراف أحمد بن طولون على القاضى بكّار فلكون أنّ ابن طولون دعا القاضى بكّارا لخلع الموفق من ولاية العهد للخلافة فامتنع؛ فحبسه لأجل هذا؛ و كرر عليه القول فلم يقبل وثالا؛ و كان أوّلا من أعظم الناس عند ابن طولون.

قال الطحاوىّ: و لا أحصى كم كان أحمد بن طولون يجىء إلى مجلس بكار و هو يملى الحديث و مجلسه مملوء بالناس، و يتقدّم الحاجب و يقول: لا يتغيّر أحد من مكانه؛ فما يشعر بكّار إلّا و ابن طولون إلى جانبه؛ فيقول له: أيها الأمير ألا تركتنى [حتى] كنت أقضى حقّك [و أؤدّى واجبك! أحسن اللّه جزاءك و تولّى مكافأتك]؛ ثم فسد الحال بينهما حتى حبسه.

قال القاضى شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان: كان أحمد بن طولون يدفع الى القاضى بكّار فى العام ألف دينار سوى المقرّر له فيتركها بكّار بختمها [و لا يتصرّف فيها]؛ فلما دعاه ابن طولون لخلع الموفّق من ولاية العهد امتنع، فاعتقله و طالبه بحمل الذهب فحمله اليه بختومه، و كان ثمانية عشر كيسا فى كل كيس ألف دينار؛ فاستحى ابن طولون عند ذلك من الملأ. قلت: هذا هو القاضى الذى فى الجنة؛ رحمه اللّه تعالى. و قال أبو عيسى اللؤلؤىّ: رآه بعض أصحابه المتزهّدين فى حال حسنة فى المنام (يعنى ابن طولون)، فقال له: ما فعل اللّه بك؟ و كيف حالك؟ قال: لا ينبغى لمن سكن الدنيا [أن] يحتقر حسنة فيدعها و لا سيئة فيرتكبها، عدل بى عن النار الى الجنة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۰

بتريّثى على متظلّم عىّ اللسان شديد التهيّب، فسمعت منه و صبرت عليه حتى قامت حجته و تقدّمت بإنصافه؛ و ما فى الآخرة على الرؤساء أشدّ من الحجاب لملتمسى الإنصاف.

و رثاه كثير من الشعراء، من ذلك ما قاله بعض المصريّين:

يا غرّة الدنيا الذى أفعاله غرر بها كلّ الورى تتعلّق

أنت الأمير على الشآم و ثغره و الرّقّتين و ما حواه المشرق

و اليك مصر و برقة و حجازها كلّ إليك مع المدى يتشوّق

و خلّف ابن طولون ثلاثة و ثلاثين ولدا، منهم سبعة عشر ذكرا، و هم:

العباس و خمارويه الذى ولى مصر بعد موته، و عدنان و مضر و شيبان و ربيعة و أبو العشائر، و هؤلاء أعيانهم، فأما العباس فهو الذى كان عصى على والده و دخل الغرب و حمل الى أبيه أحمد فحبسه و مات و هو فى حبسه، و مات بعد أبيه بيسير؛ و كان شاعرا، و هو القائل:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۱

للّه درّى إذ أعدو على فرسى الى الهياج و نار الحرب تستعر

و فى يدى صارم أفرى الرءوس به فى حدّه الموت لا يبقى و لا يذر

إن كنت سائلة عنى و عن خبرى فهأنا الليث و الصّمصامة الذّكر

من آل طولون أصلى إن سألت فما فوقى لمفتخر فى الجود مفتخر

و كان أبوه أحمد بن طولون لما خرج الى الشام فى السنة الماضية أخذه مقيّدا معه و عاد به على ذلك.

و خلّف أحمد بن طولون فى خزائنه من الذهب النقد عشرة آلاف ألف دينار؛ و من المماليك سبعة آلاف مملوك، [و من الغلمان أربعة و عشرين ألف غلام]، و من الخيل [الميدانية] سبعة آلاف رأس، و من البغال و الحمير ستة آلاف رأس، و من الدوابّ لخاصته ثلثمائة، و من مراكبه الجياد مائة. و كان ما يدخل إلى خزائنه فى كل سنة بعد مصاريفه ألف ألف دينار. رحمه اللّه تعالى.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۵۵]

السنة الأولى من ولاية أحمد بن طولون على مصر و هى سنة خمس و خمسين و مائتين- فيها كان ابتداء خروج الزّنج، و خرج قائدهم بالبصرة، فلما خرج انتسب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۲

إلى زيد بن علىّ، و زعم أنّه علىّ بن محمد بن أحمد بن علىّ بن عيسى بن زيد بن علىّ [بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب]؛ و هذا نسب غير صحيح. و انضمّ عليه معظم أهل البصرة، و عظم أمره و فعل بالمسلمين الأفاعيل، و هزم جيوش الخليفة، و امتدّت أيّامه الى أن قتل فى سنة سبعين و مائتين بعد أن واقعه الموفّق أخو الخليفة غير مرّة.

و فيها كان بين يعقوب بن الليث و طوق بن المغلّس وقعة كبيرة. و فيها عظم أمر ابن وصيف، و قبض على حواشى المعتزّ باللّه الخليفة؛ فسأله المعتزّ فى إطلاق واحد منهم فلم يفعل. و لا زال أمره يعظم إلى أن خلع المعتزّ باللّه من الخلافة فى رجب، ثم قتل بعد خلعه بأيّام. و اختفت أمّ المعتزّ قبيحة، ثم ظهرت فصادرها صالح بن وصيف المذكور و أخذ منها أموالا عظيمة، ثم نفاها إلى مكّة؛ و كان مما أخذ منها ابن وصيف ألف ألف دينار و ثلثمائة ألف دينار، و أخذ منها من الجواهر ما قيمته ألفا ألف دينار. و كان الجند سألوا المعتزّ فى خمسين ألف دينار و يصطلحون معه؛ فسألها المعتزّ فى ذلك؛ فقالت: ما عندى شىء. فلمّا رأى ابن وصيف هذا المال قال: قبّح اللّه قبيحة، عرّضت ابنها للقتل لأجل خمسين ألف دينار و عندها هذا كلّه. و فيها بويع المهتدى باللّه محمد، و كنيته أبو إسحاق، و قيل: أبو عبد اللّه، ابن الخليفة الواثق باللّه هارون بالخلافة بعد خلع المعتزّ باللّه فى ثانى شعبان. و فيها توفّى عبد اللّه بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الحافظ أبو محمد التّميمىّ الدارمىّ السمرقندى الإمام المحدّث صاحب المسند؛ و مولده سنة مات عبد اللّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۳

ابن المبارك سنة اثنتين و ثمانين و مائة، و كان من الأئمة الأعلام، و قد روينا مسنده المذكور عن الشيخ زين الدين رجب بن يوسف

الخيرىّ و محمد بن أبى الشائب الأنصارىّ حدّثانا أخبرنا أبو إسحاق التّنوخىّ، حدّثنا أبو العباس الحجّار و إسماعيل ابن مكتوم و عيسى المطعّم إجازة، قالوا: أخبرنا ابن اللّيثىّ، حدّثنا أبو الوقت عبد الأوّل ابن [أبى عبد اللّه] عيسى [بن شعيب بن إسحاق السجزى]، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن ابن محمد الدّاودىّ، أخبرنا أبو محمد عبد اللّه بن أحمد بن حمّويه السّرخسىّ، أخبرنا أبو عمران عيسى بن عمر السمرقندىّ، حدّثنا الدارمىّ. و فيها توفى المعتزّ باللّه أمير المؤمنين أبو عبد اللّه محمد، و قيل: إن اسمه الزبير، ابن الخليفة المتوكل على اللّه جعفر ابن الخليفة المعتصم باللّه محمد ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة محمد المهدىّ ابن الخليفة أبى جعفر المنصور بن محمد بن علىّ بن عبد اللّه بن العباس بن عبد المطلب، الهاشمىّ العباسىّ البغدادىّ؛ و مولده سنة اثنتين و ثلاثين و مائتين، و لم يل الخلافة قبله أحد أصغر منه، و أمّه أمّ ولد رومية تسمى قبيحة لجمال صورتها من أسماء الأضداد، لم يقع لخليفة ما وقع عليه من الإهانة، لأن الأتراك أمسكوه و ضربوه و جرّوا برجله و أقاموه فى الشمس فى يوم صائف و هم يلطمون وجهه، و يقولون

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۴

له: اخلع نفسك؛ ثم أحضروا القاضى ابن أبى الشوارب و الشهود، حتى خلع نفسه؛ ثم أخذه الأتراك بعد خمس ليال من خلعه و أدخلوه الحمام فعطش فمنعوه الماء حتى مات فى شعبان سنة خمس و خمسين و مائتين و له أربع و عشرون سنة. و كانت خلافته أربع سنين و ستة أشهر و أربعة عشر يوما. و فيها توفى الحافظ أبو يحيى صاعقة، و اسمه محمد بن عبد الرحيم، و له سبعون سنة. و فيها توفى محمد بن كرّام السّجستانىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ست أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۵۶]

السنة الثانية من ولاية أحمد بن طولون على مصر و هى سنة ست و خمسين و مائتين- فيها وثب موسى بن بغا بالأتراك على صالح بن وصيف و طالبوه بقتل المعتز و بمال أمّه قبيحة، و وقع بينهم حروب قتل فيها صالح بن وصيف المذكور؛ ثم خلعوا الخليفة المهتدى، فقاتلهم حتى ظفروا به و قتلوه، و بايعوا المعتمد بالخلافة.

و فيها استعمل الخليفة أخاه الموفّق طلحة على المشرق، و صيّر ابنه جعفرا ولىّ عهده و ولّاه مصر و المغرب، و لقّبه المفوّض إلى اللّه. و انهمك المعتمد فى اللهو و اللذات.

و اشتغل عن الرعيّة، فكرهه الناس و أحبّوا أخاه الموفّق طلحة، فغلب على الأمر حتى صار المعتمد معه كالمحجور عليه، على ما سيأتى ذكره. و فيها توفّى الحسن بن علىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۵

الإمام العابد الزاهد أبو علىّ التّنوخىّ البغدادىّ أوحد زمانه فى علوم الحقائق، و هو من كبار أصحاب سرىّ السّقطىّ، و هو أوّل من عقدت له الحلقة ببغداد. و فيها توفى الزّبير بن بكار بن عبد اللّه بن مصعب بن ثابت بن عبد اللّه بن الزبير بن العوّام، أبو عبد اللّه الأسدىّ الإمام العلامة صاحب كتاب النسب، كان عالما بالأنساب و أيام الناس، ولى قضاء مكة، و قدم بغداد و حدّث بها. و فيها كان قتل صالح بن وصيف التركى أحد قوّاد المتوكّل، كان قد استطال على الخلفاء و قتل المعتزّ و صادر أمّه قبيحة حسبما تقدّم ذكره. و فيها توفّى الإمام الحافظ الحجة أبو عبد اللّه محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة [بن الأحنف] بن بردزبه البخارىّ الجعفىّ مولاهم؛ و كان المغيرة مجوسيّا فأسلم على يد يمان البخارىّ الجعفىّ. و البخارىّ الجعفىّ مولاهم؛ و كان المغيرة مجوسيّا فأسلم على يد يمان البخارىّ الجعفىّ. و البخارىّ هذا هو صاحب الصحيح، مولده يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوّال سنة أربع و تسعين و

مائة و مات ليلة عيد الفطر بقرية خرتنك بالقرب من بخارى، و قد سمعت صحيحه بفوت على سيدنا شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن البلقينىّ الشافعىّ رضى اللّه عنه؛ أنبأنا والدى شيخ الاسلام، أنبأنا جمال الدين عبد الرحيم بن شاهد الجيش، أنبأنا إسماعيل بن عبد القوىّ بن عزّون و أحمد بن علىّ بن يوسف و عثمان بن عبد الرحمن بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۶

رشيق سماعا عليهم عن هبة اللّه بن علىّ البوصيرىّ و محمد بن أحمد بن حامد الأرتاحىّ، الأوّل عن محمد بن بركات، و الثانى عن علىّ بن [الحسين بن] عمر الفرّاء عن كريمة بنت أحمد المروزيّة عن محمد بن مكّى الكشميهنىّ عن محمد بن يوسف الفربرىّ عن الامام البخارىّ، و أخبرنى به الشيخ الأوحد أبو عبد اللّه محمد بن عبد الكافى السّويفىّ سماعا عليه لجميعه، أنبأنا شمس الدين محمد بن على بن الخشّاب سماعا عليه لجميعه، أنبأنا شيخان أبو العباس أحمد بن أبى طالب بن الشّحنة الحجّار و أم محمد وزيرة بنت عمر التّنوخيّة، قالا أنبأنا أبو عبد اللّه الحسين بن المبارك الزبيدىّ، أنبأنا أبو الوقت عبد الأوّل بن [أبى عبد اللّه] عيسى السّجزىّ، أنبأنا أبو الحسن عبد الرحمن ابن محمد الدّاودىّ، أنبأنا أبو محمد عبد اللّه بن أحمد السّرخسىّ، أنبأنا أبو عبد اللّه محمد بن يوسف الفربرىّ، أنبأنا الامام البخارىّ رضى اللّه عنه. و فيها توفى أمير المؤمنين المهتدى باللّه محمد ابن الخليفة هارون الواثق ابن الخليفة محمد المعتصم ابن الخليفة الرشيد هارون الهاشمىّ العباسىّ، و كان صالحا عابدا يسرد الصوم متقشّفا، لم يل الخلافة بعد الخلفاء الراشدين و عمر بن عبد العزيز أصلح منه، غير أنه لم يجد من ينصره، و حاربته الأتراك و خلعوه و داسوا خصيتيه و صفعوه حتى مات فى منتصف شهر رجب؛ فكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوما؛ و أمّه أمّ ولد رومية تسمّى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۷

قرب. قال الخطيب أبو بكر: لم يزل صائما منذ ولى الخلافة الى أن قتل و له نحو أربعين سنة. و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة الزهرىّ. و فيها توفّى على بن المنذر الطّريقىّ. و فيها توفّى محمد بن أبى عبد الرحمن.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و اثنتان و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۵۷]

السنة الثالثة- من ولاية أحمد بن طولون على مصر، و هى سنة سبع و خمسين و مائتين- فيها دخل الزّنج البصرة و أباحوها و بذلوا فيها السيف، فحاربهم سعيد الحاجب و استخلص منهم كثيرا مما كانوا أسروه. و فيها عقد الخليفة المعتمد لأخيه أبى أحمد الموفّق على الكوفة و الحجاز و الحرمين و اليمن و بغداد و واسط و البصرة و الأهواز و فارس و ما وراء النهر. و فيها قتل ميخائيل بن توفيل ملك الروم، قتله بسيل الصّقلبىّ و كان ميخائيل قد ملك أربعا و عشرين سنة. و فيها حجّ بالناس الفضل ابن إسحاق بن الحسن بن سهل بن العباس العباسىّ. و فيها توفى الحسن بن عبد العزيز الحافظ أبو علىّ الجذامىّ المصرىّ، قدم بغداد و حدّث بها؛ قال الدّار قطنىّ لم أر مثله فضلا و زهدا و دينا و ورعا و ثقة و صدق عبارة. و فيها توفى سليمان بن معبد أبو داود النحوىّ المروزىّ، رحل فى طلب العلم إلى العراق و الحجاز و اليمن و الشأم و مصر، و قدم بغداد و ذاكر الجاحظ، و مات بها فى ذى الحجّة. و فيها توفى شهيدا بأيدى الزّنج العبّاس بن الفرج أبو الفضل الرّياشىّ النحوىّ البصرىّ مولى محمد بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۸

سليمان العباسىّ، رحل فى طلب العلم، و كان من النحو و اللغة و الفقه و الأدب و الفضل بالمحلّ الأعلى، و كان من الثّقات الحفّاظ، و قرأ كتاب سيبويه على المازنىّ، فكان المازنىّ يقول: يقرأ علىّ كتاب سيبويه و هو أعلم به منّى. و فيها توفّيت فضل الشاعرة، كانت من مولّدات اليمامة، و كذا أمها، و بها ولدت؛ فربّاها بعض الفضلاء و باعها، فاشتراها محمد بن الفرج الرّخجىّ و أهداها إلى المتوكّل، و

لم يكن فى زمانها أفصح منها و لا أشعر. و فيها توفى شهيدا بأيدى الزّنج زيد بن أخزم- بمعجمتين- الطائىّ الحافظ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و ستّ عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۵۸]

السنة الرابعة- من ولاية أحمد بن طولون على مصر، و هى سنة ثمان و خمسين و مائتين- فيها عقد المعتمد على اللّه لأخيه الموفّق طلحة على حرب الزّنج، فندب إليهم الموفّق منصورا، فكانت وقعة بين منصور بن جعفر بن دينار و بين يحيى، فانهزم عن منصور عسكره، و ساق وراءه يحيى فضرب عنقه، و استباحت الزّنج عسكره؛ فلما وصل الموفّق إلى نهر معقل انهزم جيش الخبيث رأس الزّنج، ثم تراجعوا و قاتلوا جيش الموفّق حتى هزموه؛ و انحاز الموفّق و همّ بالهروب، ثم تراجع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۹

و واقعهم حتى انتصر عليهم. و أسر طاغيتهم يحيى المذكور، و قتل عامّة أصحابه، و بعث بيحيى إلى المعتمد، فضربه ثم طوّف به ثم ذبحه. و فيها وقع الوباء العظيم بالعراق، و مات خلق لا يحصون. حتى مات غالب عسكر الموفّق؛ فلما وقع ذلك كتر الزّنج على الموفّق و واقعوه ثانيا أشدّ من الأوّل. ثم هزمهم اللّه ثانيا. و فيها كانت زلازل هائلة سقطت منها المنازل و مات خلق كثير تحت الرّدم. و فيها كانت واقعة ثالثة بين الزّنج و الموفّق كانوا فيها متكافئين. و فيها توفّى أحمد بن الفرات بن خالد أبو مسعود الرازى الأصبهانىّ. كان أحد الأئمة الثّقات. ذكره أبو نعيم فى الطبقة السابعة و أثنى عليه. و فيها توفّى أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطّان البصرىّ الحافظ، سكن بغداد و حدّث بها عن جدّه و غيره، و روى عنه المخاملىّ و غيره. و فيها توفى جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علىّ بن عبد اللّه بن العباس الهاشمىّ العباسىّ، كان يقال له قاضى الثغور، و ولى القضاء بسرّمن‌رأى، و حدّث عن أبى عاصم النبيل و غيره؛ قال أبو زرعة الرازىّ: كنت اذا رأيته هبته و أقول: هذا يصلح للخلافة. و فيها توفّى محمد بن يحيى بن عبد اللّه بن خالد بن فارس أبو عبد اللّه النّيسابورىّ الذّهلىّ مولاهم، كان حافظ عصره و إمام الحديث بنيسابور و صاحب الواقعة مع البخارىّ صاحب الصحيح. كان أحد الأئمة الحفّاظ المتقنين؛ كان الامام أحمد بن حنبل يثنى عليه و ينشر فضله و يقول: هو إمام السنة بنيسابور. و فيها توفّى معاوية بن صالح أبو عمرو الحضرمىّ الحمصىّ قاضى الأندلس؛ أصله من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۰

أهل مصر؛ كان إماما عالما فاضلا محدّثا كبير الشأن. و فيها توفّى يحيى بن معاذ ابن جعفر أبو زكريا الرّازى الواعظ أحد الزهّاد أوحد وقته فى علوم الحقائق؛ و كانوا ثلاثة إخوة: يحيى و إسماعيل و إبراهيم؛ كان إسماعيل أكبرهم، و يحيى الأوسط. و فيها توفى يحيى الجلّاء، كان من الزهّاد، و صحب بشرا الحافى و معروفا الكرخىّ و سريّا السّقطىّ. قال أحمد بن حنبل: قلت لذى النّون: لم سمّى بابن الجلّاء؟

فقال: سميناه بذلك لأنه اذا تكلّم جلا قلوبنا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و خمس أصابع و نصف. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و خمس أصابع و نصف.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۵۹]

السنة الخامسة من ولاية أحمد بن طولون على مصر، و هى سنة تسع و خمسين و مائتين- فيها كان أيضا بين الموفّق و بين الزّنج مقتلة

عظيمة، ثم كان بين موسى ابن بغا و بين الزّنج أيضا مقتلة عظيمة، و قتل فيها خلق من الطائفتين. و فيها كانت وقعة بين الروم و بين أحمد بن محمد القابوسيّ على ملطية و شمشاط، و نصر اللّه المسلمين.

و فيها ولد عبيد اللّه الملقّب بالمهديّ والد الخلفاء الفاطميّين. و فيها توفّى الحسين بن عبد السلام أبو عبد اللّه المصريّ المعروف بالجمل، الشاعر المشهور، كان يصحب الشافعيّ رضى اللّه عنه. و فيها توفى محمد بن عمرو بن يونس أبو جعفر الثّعلبيّ،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۱

و يعرف أيضا بالسّوسيّ، الزاهد العابد، مات و قد بلغ من العمر مائة سنة. و فيها توفى محمد بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع أبو الحسن القرشيّ الدمشقيّ الحافظ العالم المحدّث مصنف كتاب الطبقات. و فيها توفى الإمام أبو إسحاق إبراهيم ابن يعقوب السّعديّ الجرجانيّ العالم المشهور. و فيها توفى أيضا أحمد بن إسماعيل السّهميّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و خمس أصابع و نصف.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۰]

السنة السادسة من ولاية أحمد بن طولون على مصر، و هى سنة ستين و مائتين- فيها كان الغلاء المفرط بالحجاز و العراق حتى بلغ الكرّ من الحنطة ببغداد مائة و خمسين دينارا. و فيها أغارت الأعراب على حمص، فخرج أميرهم منجور التركى لحربهم فقتلوه، و تولى بعده حمص بكتمر التركيّ المعتمديّ. و فيها أخذت الروم لؤلؤة.

و فيها أيضا كانت وقعات عديدة بين عساكر الموفّق و بين الزّنج، و قتلت الزّنج عليّ ابن يزيد العلويّ صاحب الكوفة. و فيها توفى إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق الحافظ أبو إسحاق الجرجانيّ- المقدّم ذكره فى الماضية- على الصحيح فى هذه السنة؛ كان يسكن دمشق، و يحدّث على المنبر، و كان من الأئمة الحفّاظ، إلا أنه كان منحرفا عن عليّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه. و فيها توفّى أيّوب بن إسحاق بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۲

إبراهيم بن مسافر، كان يسكن الرّملة، و حدّث بها و بمصر و دمشق، و كان زعر الخلق. و فيها توفى الحسن بن على [بن محمد بن عليّ] بن موسى بن جعفر بن الحسين ابن على بن أبى طالب، و يقال له العسكريّ، كنيته أبو محمد؛ و هو أحد الأئمة الاثنى عشر المعدود [ين] عند الرافضة. و مولده سنة إحدى و ثلاثين و مائتين بسرّمن‌رأى، و أمّه أمّ ولد. و فيها توفى الحسن الفلّاس العابد الزاهد، كان يتقوّت من قمام المزابل، صحبه بشر الحافى و سرىّ السّقطيّ و معروف الكرخيّ، و انتفع به بشر الحافى. و فيها توفّى الحسن بن محمد بن الصبّاح أبو على الزعفرانيّ، أصله من قرية بالعراق يقال لها الزعفرانية، و هو صاحب الإمام الشافعى الذى قرأ عليه كتاب الأم، و روى عنه أقواله القديمة. و فيها توفّى مالك بن طوق بن غياث التّغلبيّ صاحب الرّحبة؛ كان أحد الأجواد، ولى إمرة دمشق و الأردنّ. و فيها توفّى موسى ابن مسلم بن عبد الرحمن أبو بكر القنطريّ، كان ينزل قنطرة البردان ببغداد فنسب إليها، و كان يشبّه فى الزهد و الورع ببشر الحافى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۳

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و أربع أصابع و نصف.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۱]

السنة السابعة من ولاية أحمد بن طولون على مصر، و هى سنة إحدى و ستين و مائتين- فيها ولّى الخليفة المعتمد أبا السّاج إمرة الأهواز و حرب صاحب الزّنج، فكان بينه و بين الزنج حروب. و فيها بايع المعتمد بولاية العهد بعده لابنه المفوّض جعفر المذكور قبل تاريخه أيضا و ولّاه المغرب و الشأم و الجزيرة و أرمينية، و ضمّ إليه موسى بن بغا، و ولّى أخاه الموفّق العهد بعد ابنه المفوّض، و ولّاه المشرق و العراق و بغداد و الحجاز و اليمن و فارس و أصبهان و الرّىّ و خراسان و طبرستان و سجستان و السّند [و ضمّ اليه مسرورا البلخىّ]، و عقد لكل واحد منهما لواءين:

أبيض و أسود، و شرط إن حدث به حدث [الموت] أن الأمر يكون لأخيه الموفق إن لم يكن ابنه المفوّض جعفر قد بلغ؛ و كتب العهد و أرسله مع قاضى القضاة الحسن بن أبى الشّوارب ليعلقه فى الكعبة. و فيها توفى الحافظ مسلم بن الحجّاج بن مسلم الإمام الحافظ الحجّة أبو الحسين النّيسابورىّ صاحب الصحيح، ولد سنة أربع و مائتين. قال الحسين بن محمد الماسرجسىّ: سمعت أبى يقول سمعت مسلما يقول: صنّفت هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث مسموعة.

و قال أحمد بن سلمة: كنت مع مسلم فى تأليف صحيحه اثنتى عشرة سنة؛ قال:

و هو اثنا عشر ألف حديث، يعنى بالمكرّر. قلت: مات يوم الأحد و دفن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۴

يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رجب. و قد روينا صحيحه عن أبى ذرّ الحنبلىّ أنبأنا محمد بن إبراهيم البيانىّ سماعا أنبأنا أبو الفداء إسماعيل و علىّ بن مسعود بن نفيس، قالا أنبأنا إبراهيم بن عمر بن مضر و أحمد بن عبد الدائم، قال ابن مضر أنبأنا منصور، و قال ابن عبد الدائم أنبأنا محمد بن على بن صدقة الحرّانىّ أنبأنا صدر الدّين البكرىّ، قال البكرىّ أنبأنا المؤيّد [بن محمد بن على] الطّوسىّ قال ابن عساكر إجازة قال الفراوىّ، و هو فقيه الحرم، قال أنبأنا الفارسىّ أنبأنا الجلودىّ أنبأنا ابن سفيان أنبأنا مسلم.

و فيها توفى الحسن بن محمد بن عبد الملك أبو محمد القاضى الأموىّ، و يعرف بابن أبى الشوارب، كان فقيها عالما فاضلا جوادا ذا مروءة، ولى القضاء سنين عديدة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۵

و فيها توفى الشيخ الإمام المعتقد أبو يزيد البسطامىّ، و اسمه طيفور بن عيسى بن شروسان، و كان شروسان مجوسيّا، و كان لعيسى ثلاثة أولاد: آدم و هو أكبرهم، و طيفور هذا و هو أوسطهم [و علىّ]، و كان الثلاثة زهّادا عبّادا، و كان طيفور أفضل [أهل] زمانه و أجلّهم محلّا، كان له لسان فى المعارف و التدقيق، و كان صاحب أحوال و كرامات، و قد شاع ذكره شرقا و غربا. و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد بن يزداد أبو صالح الكاتب المروزىّ، وزر أبوه للمأمون و وزر هو للمستعين و المهتدى، و كان أديبا شاعرا فاضلا جوادا ممدّحا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و خمس أصابع و نصف.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۲]

السنة الثامنة من ولاية أحمد بن طولون على مصر، و هى سنة اثنتين و ستين و مائتين- فيها ولى قضاء سرّ من رأى علىّ بن الحسن بن أبى الشوارب عوضا عن أبيه. و ولى قضاء بغداد إسماعيل بن إسحاق القاضى. و فيها اشتغل المعتمد بقتال يعقوب بن الليث الصّفّار؛

فبعث كبير الزّنج عسكره إلى البطيحة فنهبها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۶

و أفسد العسكر بها و أسروا و قتلوا. و فيها تعرّض رجل لامرأة ببغداد و غصبها بمكان و هى تصيح: اتّق اللّه و هو لا يلتفت؛ فقالت: قُلِ اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ عالِمَ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ ... الآية ثم رفعت رأسها إلى السماء و قالت: اللّهمّ إنّه قد ظلمنى فخذه اليك؛ فوقع الرجل ميتا.

قال ابن عون الفرائضىّ: فأنا و اللّه رأيت الرجل ميّتا، فحمل على نعش و الناس يهلّلون و يكبّرون. و فيها غلب يعقوب بن الليث الصفّار على فارس، و هرب عامل المعتمد إلى الأهواز. و فيها توفّى خالد بن يزيد أبو الهيثم التّميمىّ الحرانىّ الكاتب، أحد كتّاب الجيش ببغداد، كان فاضلا شاعرا. و فيها توفّى سعد بن يزيد أبو محمد البزّاز، كان إماما فاضلا شاعرا حافظا، روى عنه يزيد بن هارون و طبقته؛ و مات ببغداد فى شهر رجب. و فيها توفى عبد اللّه بن الفقير.

المروزىّ المعتقد، كان من الأبدال، كان مقيما بقزوين، فاذا كان يوم الجمعة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۷

قد سلك مسافة بعيدة، و كان يمشى على الماء و يقف له بحر جيحون، و كان يتقوّت بالمباحات. و فيها توفى يعقوب بن شيبة بن الصّلت بن عصفور أبو يوسف الحافظ السّدوسىّ البصرىّ، كان إماما حافظا فقيها عالما، صنّف المسند معلّلا إلا أنه لم يتمّه، و كان يتفقّه على مذهب مالك، و سمع منه يزيد بن هارون و غيره، و كان ثقة، إلا أنه كان يقول بالوقف فى القرآن، فهجره الناس.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۳]

السنة التاسعة من ولاية أحمد بن طولون على مصر، و هى سنة ثلاث و ستين و مائتين- فيها سار يعقوب بن الليث الصّفّار إلى الأهواز، و أسر الأمير ابن واصل، و استولى على الأهواز. و فيها استوزر الخليفة المعتمد الحسن بن مخلد بعد موت عبيد اللّه بن يحيى بن خاقان؛ فلما قدم موسى بن بغا إلى سامرّا هرب الحسن المذكور، فاستوزر مكانه سليمان بن وهب فى ذى الحجّة. و فيها حجّ بالناس الفضل ابن إسحاق الذى حجّ بهم فى الماضية. و فيها توفّى الوزير عبيد اللّه بن يحيى بن خاقان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۸

ابن عرطوج أبو الحسين التركىّ الوزير. و سبب موته أنه دخل ميدانا فى داره يوم الجمعة لعشر خلون من ذى القعدة ليضرب الصّوالجة، و ركب و لعث، فصدمه خادمه رشيق، فسقط عن دابته ميتا. و فيها توفى محمد بن محمد بن عيسى أبو الحسن البغدادىّ، و يعرف بابن أبى الورد، كان من الزهّاد الورعين. و فيها توفى الامام الحافظ محمد بن على بن ميمون الرّقّىّ العطّار إمام أهل الجزيرة؛ و فى التهذيب: توفى سنة ثمان و ستين.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۴]

السنة العاشرة من ولاية أحمد بن طولون على مصر، و هى سنة أربع و ستين و مائتين- فيها فى المحرّم خرج أبو أحمد الموفّق طلحة و معه موسى بن بغا إلى قتال الزّنج، فلما نزلا بغداد مات موسى بن بغا، فحمل إلى سامرّا و دفن بها. و فيها فى شهر ربيع الأوّل توفّيت قبيحة أمّ الخليفة المعتزّ بسامرّاء؛ و كان الخليفة المعتمد قد أعادها من مكّة إلى سامرّا و أكرمها، و كانت أمّ ولد للمتوكّل روميّة، و كانت فائقة فى الجمال، فسمّيت قبيحة من أسماء الأضداد؛ و قد تقدّم ذكر مصادرتها من قبل صالح بن وصيف و ما أخذ منها من الذهب و الجواهر. و فيها توفى عبيد اللّه ابن عبد الكريم بن يزيد بن فرّوخ الحافظ أبو زرعة الرازىّ مولى عيّاش بن مطرّف القرشىّ، ولد سنة مائتين بالرّىّ؛ و كان إماما حافظا ثقة صدوقا، و هو أحد الأئمة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۹

المشهورين الرحّالين لطلب الحديث، قدم بغداد و حدّث بها غير مرّة، و جالس الإمام أحمد بن حنبل و كان يحبّه و يثنى عليه. و فيها توفّى إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل ابن عمرو بن مسلم الفقيه أبو إبراهيم المزنىّ المصرىّ صاحب الشافعى، روى عنه و عن غيره، و روى عنه أبو بكر بن خزيمة و الطحاوىّ و غيرهما، و هو أحد الأئمة المشهورين، و تفقّه به جماعة، و صنّف التصانيف، منها: الجامع الكبير، و الجامع الصغير، و مختصر المختصر؛ و لمّا قدم القاضى بكّار بن قتيبة على قضاء مصر و هو حنفىّ، اجتمع به المزنىّ، فسأله رجل من أصحاب بكّار و قال: قد جاء فى الأحاديث تحريم النبيذ و تحليله، فلم قدّمتم التحريم على التحليل؟ فقال المزنىّ: لم يذهب أحد إلى تحريم النهيذ فى الجاهلية ثم حلّل لنا، و وقع الاتفاق على أنه كان حلالا فحرّم، فهذا يعضد أحاديث التحريم. فاستحسن القاضى بكار ذلك منه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانى أذرع و اثنتا عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و اثنتان و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۴۰

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۵]

السنة الحادية عشرة من ولاية أحمد بن طولون على مصر، و هى سنة خمس و ستين و مائتين- فيها خرج صاحب الترجمة أحمد بن طولون من مصر الى الشأم فى المحرّم، و توجّه إلى أنطاكية و حصر بها صاحبها سيما الطويل، و لم يزل مقيما عليها بآلات الحصار إلى أن أخذ أنطاكية و قتل سيما الطويل المذكور، ثم عاد الى مصر. و فيها أمر الموفّق بحبس سليمان بن وهب و ابنه عبد اللّه فحبسا، و أخذ أموالهما و عقارهما، ثم صولحا على تسعمائة ألف دينار. و فيها استوزر الخليفة المعتمد إسماعيل ابن بلبل. و فيها مات يعقوب بن الليث الصفّار بالأهواز، و خلفه أخوه عمرو بن الليث؛ فكتب عمرو بن الليث إلى المعتمد بأنه سامع مطيع. و فيها بعث. ملك الروم بعبد اللّه بن رشيد بن كاوس، الذى كان عامل الثغور و أسره الروم، إلى أحمد بن طولون مع عدّة أسارى. و فيها خرج العبّاس بن أحمد بن طولون إلى برقة مخالفا لأبيه، و كان أبوه قد استخلفه على مصر لمّا توجّه إلى حصار سيما الطويل بأنطاكية، و أخذ معه العبّاس ما فى بيت مال مصر من الأموال و ما كان لأبيه من الآلات و غيرها و توجّه إلى برقة؛ فوجّه أبوه أحمد بن طولون خلفه جيشا فقاتلوه حتى ظفروا به، و أحضروه إلى أبيه فحبسه، و قتل جماعة من القوّاد الذين كانوا معه. و فيها دخل الزّنج النّعمانية فأحرقوا سوقها و أكثر منازل أهلها و قتلوا و سبوا. و فيها ولّى الموفّق عمرو بن الليث الصفّار خراسان و كرمان و فارس و أصبهان و سجستان. و فيها حجّ بالناس هارون بن محمد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۴۱

ابن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمىّ. و فيها توفّى إبراهيم بن هانئ الحافظ أبو إسحاق النّيسابورىّ، كان أحد أئمة الحديث الرّحّالة، و اختفى أحمد بن حنبل فى داره أيام المحنة. و فيها توفّى سعدان بن نصر بن منصور أبو عثمان الثّقفىّ البزّاز، ولد سنة اثنتين

و سبعين و مائة، و سمع سفيان بن عيينة و غيره، و كان أديبا شاعرا، مات فى ذى الحجة.

و فيها توفى صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل أبو الفضل الشّيبانىّ، ولد سنة ثلاث و ثلاثين و مائتين فى [شهر] ربيع الآخر، و ولى قضاء أصبهان، و كان صدوقا كريما جوادا و رعا. و فيها توفى عبد اللّه بن محمد بن أيّوب أبو محمد الزاهد الورع، سئل قضاء بغداد فامتنع. و فيها توفّى علىّ بن الموفّق العابد، كان صاحب كرامات و أحوال، و كان محدّثا ثقة صدوقا. و فيها توفى عمرو بن مسلم الشيخ المعتقد أبو حفص النّيسابورىّ، كان من الأبدال مجاب الدعوة، مات فى [شهر] ربيع الأوّل.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و إحدى و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إحدى و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۶]

السنة الثانية عشرة من ولاية أحمد بن طولون على مصر، و هى سنة ست و ستين و مائتين- فيها دخل علىّ بن أبان مقدّم الزّنج الأهواز فقاتله أغرتمش

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۴۲

التركىّ فانتصر الخبيث على أغرتمش المذكور و قتل و نهب و بعث برءوس القتلى و نصبها على سور مدينته. و فيها وثب الأعراب على الحجّاج و أخذوا الكسوة، و صار بعضهم إلى صاحب الزّنج، و أصاب الحجّ شدة عظيمة. و فيها دخل أصحاب الزنج رامهرمز و استباحوها. و فيها كانت بين الأكراد و الزّنج وقعة ظهر فيها [الزّنج] فى الأوّل ثم كان النصر للأكراد على الزنج، و أعمل فيهم السيف، و للّه الحمد و المنّة. و فيها توفى محمد بن شجاع الحافظ أبو عبد اللّه الثّلجىّ البغدادىّ الفقيه الحنفىّ أحد الأعلام، قرأ القرآن على اليزيدىّ، و روى الحروف عن يحيى بن آدم، و تفقّه على الحسن بن زياد اللؤلؤىّ و غيره، و صار إمام عصره، و به تخرّج غالب علماء عصره. و فيها توفى حمّاد [ابن الحسن] بن عنبسة الورّاق العالم المشهور. و فيها توفى محمد بن عبد الملك الدّقيقىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و ستّ أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۷]

السنة الثالثة عشرة من ولاية أحمد بن طولون على مصر، و هى سنة سبع و ستين و مائتين- فيها دخلت الزّنج واسطا و استباحوها و أحرقوا فيها، فجهّز الموفّق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۴۳

ابنه أبا العباس لحربهم فى جيش عظيم، فكانت بينه و بينهم وقعة عظيمة انهزم فيها الزنج، و قتل أبو العباس فيهم مقتلة عظيمة و أسر جماعة، و فرّقهم و غرّق مراكبهم فى الماء، فكان ذلك أوّل نصر المسلمين على الزنج؛ ثم كان بعد ذلك فى هذه السنة أيضا عدّة وقائع بين الزنج و بينه و الجميع ينتصر فيها أبو العباس بن الموفّق. و فيها بنى الموفّق مدينة بإزاء مدينة صاحب الزنج، و سمّاها الموفّقيّة. و فيها وثب صاحب الترجمة أحمد ابن طولون على أحمد [بن محمد] بن المدبّر، و كان أحمد [بن محمد] بن المدبر متولى خراج دمشق و الأردنّ و فلسطين، و حبسه و أخذ أمواله، ثم صالحه على سمّائة ألف دينار.

و فيها حجّ بالناس هارون بن محمد بن إسحاق العباسىّ. و فيها توفّى على بن الحسن بن موسى بن ميسرة الهلالىّ النّيسابورىّ الدّرابجردىّ- و درابجرد محلة بنيسابور- كان من أكابر علماء نيسابور و ابن عالمهم، و له مسجد بدرابجرد يقصد للزيارة، و قيل: إنه روى عنه البخارىّ و مسلم و غيرهما، و كان ثقة صدوقا فاضلا، وجد فى مسجده ميتا بعد أسبوع و لم يعلموا به، و قيل: أكله الذئب. و

فيها توفّى محمد بن حمّاد بن بكر المقرئ صاحب خلف بن هشام، كان أحد القرّاء المجوّدين و عباد اللّه الصالحين. و فيها توفّى شهيدا يحيى بن محمد بن يحيى أبو زكرياء الذّهلىّ إمام أهل نيسابور فى الفتوى و الرياسة، و كان يتفقّه على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة، و هو ابن صاحب الواقعة مع محمد بن إسماعيل البخارىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۴۴

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و تسع أصابع و نصف.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۸]

السنة الرابعة عشرة من ولاية أحمد بن طولون على مصر، و هى سنة ثمان و ستين و مائتين- فيها غزا خلف الفرغانىّ التركىّ، نائب أحمد بن طولون، ثغور الشام، فقتل من الروم بضعة عشر ألفا، و غنم حتى بلغ السهم أربعين دينارا. و فيها قتل أحمد بن عبد اللّه الخجستانىّ الخارج بخراسان، قتله غلمانه فى آخر السنة.

و فيها أظهر لؤلؤ الخلاف على أحمد بن طولون، و كاتب الموفّق بالقدوم عليه. و لؤلؤ المذكور من موالى أحمد بن طولون. و فيها توفّى أحمد بن سيّار بن أيوب الحافظ أبو الحسن المروزىّ إمام أهل الحديث بمرو، كان جمع بين الحديث و الفقه و الورع و الزهد، و كان يقاس بعبد اللّه بن المبارك، و قد روى عنه أئمة خراسان: البخارىّ و غيره.

و أخرج له النّسائىّ، و اتفقوا على صدقه و ثقته. و فيها توفّى أنس بن خالد بن عبد اللّه ابن أبى طلحة بن موسى بن أنس بن مالك الأنصارىّ، كان إماما حافظا، روى عنه عبد اللّه ابن الإمام أحمد بن حنبل و غيره. و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه بن عبد الحكم أبو عبد اللّه فقيه أهل مصر و محدّثهم، ولد سنة اثنتين و ثمانين و مائة، و مات بمصر فى ذى القعدة و صلّى عليه القاضى بكّار، و كان يعرف بصاحب الشافعىّ لأنه أسند عنه، و كان مالكىّ المذهب، و امتحن بعد أن حمل إلى بغداد فثبت على السّنّة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ستّ عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۴۵

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۶۹]

السنة الخامسة عشرة من ولاية أحمد بن طولون على مصر و هى سنة تسع و ستين و مائتين- فيها قطعت الأعراب الطريق على [قافلة من] الحاجّ، و أخذت خمسمائة جمل بأحمالها. و فيها وثب خلف الفرغانىّ التركىّ عامل أحمد بن طولون، على يازمان خادم الفتح بن خاقان و حبسه بالثغور، فخلّصه الجند و همّوا بقتل خلف، فهرب إلى دمشق؛ فاتفقوا و لعنوا أحمد بن طولون على المنابر. فبلغ ابن طولون، فسار من مصر حتى نزل أذنة و قد تحصّن بها يا زمان المذكور؛ فأقام ابن طولون مدّة على حصاره فلم ينل منها طائلا، فعاد إلى دمشق. و فيها استولى الموفّق على مدينة صاحب الزّنج و دخلها عنوة. و فيها توفى أحمد بن عبد اللّه بن القاسم الحافظ أبو بكر الورّاق على الصحيح؛ حدّث عن عبد اللّه بن معاذ العنبرىّ و غيره، و روى عنه [أبو] سعيد بن الأعرابىّ و غيره. و فيها توفّى الحسن بن مخلد بن الجرّاح أبو محمد الكاتب الوزير، ولد سنة تسع و مائتين، و كان يتولّى ديوان الضّياع للمتوكّل جعفر، و استوزره المعتمد. و فيها توفّى خالد بن أحمد بن عمرو الأمير أبو الهيثم الذّهلىّ، ولى إمرة مرو و هراة و بخارى و غيرها؛ و كان من أهل السنّة، و له أيام

مشهورة و أمور

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۴۶

محمودة. قال ابن قزأوغلى فى تاريخه: و هو الذى نفى البخارىّ عن بخارى لمّا قال:

لفظى بالقرآن مخلوق؛ و كان يحبّ العلماء و الحديث؛ أنفق فى طلب الحديث و العلم ألف ألف درهم. و فيها توفّى عيسى بن الشيخ بن السّليل أبو موسى الذّهلىّ الشّيبانىّ.

كان غلب على دمشق أيام المهتدى و أوّل أيام المعتمد. و فيها توفّى محمد بن إبراهيم أبو حمزة الصّوفىّ البغدادىّ أستاذ البغداديين، و هو أوّل من تكلم فى هذه المذاهب: من صفاء الذكر و جمع الهمّ و المحبّة و العشق و الأنس، لم يسبقه إلى الكلام بهذا على رءوس المنابر ببغداد أحد؛ كان عالما بالقراءات، و جالس الإمام أحمد بن حنبل؛ و كان الإمام أحمد إذا جرى فى مسألة شىء من كلام القوم يلتفت إليه و يقول: ما تقول فى هذه المسألة يا صوفىّ. و صحب سريّا السّقطىّ و الجنيد و حسنا المسوحىّ و غيرهم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ستّ عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۰]

اشارة

السنة السادسة عشرة من ولاية أحمد بن طولون على مصر، و هى سنة سبعين و مائتين، أعنى التى مات فيها أحمد بن طولون المذكور- فيها كانت أيضا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۴۷

وقائع بين الموفّق طلحة و بين صاحب الزّنج، قتل فى آخرها صاحب الزنج علىّ، لعنه اللّه تعالى. و فيها انشقّ ببغداد [فى] الجانب الغربىّ شقّ من نهر عيسى، فجاء الماء إلى الكرخ فهدم سبعة آلاف دار. و فيها ظهر أحمد بن عبد اللّه بن إبراهيم العلوىّ بصعيد مصر و تبعه خلق كثير، فجهّز إليه أحمد بن طولون جيشا، فكانت بينهم حروب حتى ظفر أصحاب ابن طولون به، فحملوه إليه فقتله و مات بعده بيسير. و فيها بنى أحمد ابن طولون على قبر معاوية بن أبى سفيان أربعة أروقة، و رتّب عند القبر أناسا يقرءون القرآن و يوقدون الشموع عند القبر. و فيها توفّى إسماعيل بن عبد اللّه بن ميمون ابن عبد الحميد بن أبى الرجال الحافظ أبو نصر العجلىّ، سمع خلقا كثيرا، و روى عنه غير واحد، و كان ثقة شاعرا فصيحا، و مات و له أربع و ثمانون سنة. و فيها توفّى القاضى بكّار بن قتيبة بن عبد اللّه، و قيل: قتيبة بن أسد، بن [أبى] بردعة بن عبيد اللّه [ابن بشير بن عبيد اللّه] بن أبى بكرة الثّقفىّ، مولى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. و كنية القاضى بكّار هذا أبو بكرة، القاضى البصرىّ الحنفىّ؛ ولد بالبصرة سنة اثنتين و ثمانين و مائة، و هو أحد الأئمة الأعلام، كان عالما فقيها محدّثا صالحا و رعا عفيفا ثقة، مات و هو أعلم أهل زمانه بالديار المصرية. و فيها توفّى داود بن علىّ بن خلف أبو سليمان الظاهرىّ صاحب مذهب الظاهرية المعروف بداود الظاهرىّ، و هو أوّل من نفى القياس فى الأحكام الشرعية و تمسّك بظواهر النصوص؛ و أصله من أصبهان،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۴۸

و سمع الكثير و لقى الشيوخ و تبعه خلق كثير، و قدم بغداد و صنّف بها الكتب، و توفّى بها فى رمضان، و قيل: فى ذى القعدة. و فيها توفّى الرّبيع بن سليمان بن عبد الجبّار ابن كامل أبو محمد المرادىّ الفقيه صاحب الشافعىّ رضى اللّه عنه، نقل عنه معظم أقاويله، و

كان فقيها فاضلا ثقة ديّنا، مات بمصر فى شوّال و صلّى عليه صاحب مصر خمارويه ابن أحمد بن طولون. و فيها توفى عبد اللّه بن محمد بن شاكر أبو البخترىّ العنبرىّ الكوفىّ، كان محدّثا فاضلا، قدم بغداد و حدّث بها. و فيها توفّى علىّ بن محمد صاحب الزّنج و قائدهم، و قيل: اسمه نهيود، و هو صاحب الوقائع المقدّم ذكرها مع الموفّق و عساكره؛ و كانت مدّة إقامته أربع عشرة سنة و أربعة أشهر و عشرة أيام، و لقى الناس منه فى هذه المدّة شدائد؛ قال الصّولىّ: قتل من المسلمين ألف ألف و خمسمائة ألف ما بين شيخ و شابّ و ذكر و أنثى، و قتل فى يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف، و كان له منبر فى مدينته يصعد عليه و يسبّ عثمان و عليّا و معاوية و طلحة و الزبير و عائشة رضى اللّه عنهم، و هذا هو رأى الخوارج الأزارقة- لعنة اللّه عليهم- و استراح المسلمون بموته كثيرا، و للّه الحمد، و فيها توفّى الفضل بن عبّاس بن موسى الأستراباذىّ، سمع أبا نعيم و روى عنه أبو نعيم عبد الملك بن عدىّ، كان فقيها فاضلا مقبول القول عند الخاصّ و العامّ. و فيها توفى محمد [بن اسحاق] بن جعفر الحافظ أبو بكر الصّغانىّ، رحل فى طلب الحديث، و سمع الكثير، و لقى الشيوخ و كتبوا عنه. و فيها توفى محمد بن الحسين بن المبارك أبو جعفر، و يعرف بالأعرابىّ،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۴۹

روى عنه ابن صاعد و غيره. و فيها توفى محمد بن مسلم بن عثمان الرازىّ، و يعرف بابن وارة، كان أحد الحفّاظ الرحّالين و العلماء المتقنين مع الدّين و الورع و الزهد.

و فيها توفّى نصر بن الليث بن سعد أبو منصور البغدادىّ الورّاق، أخرج له الخطيب حديثا يرفعه إلى عثمان بن عفّان.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ثمانى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

ذكر ولاية خمارويه على مصر

هو خمارويه و قيل خمار بن أحمد بن طولون، التركىّ، السّامرّىّ المولد، المصرىّ الدار و الوفاة، تقدّم التعريف بأصله فى ترجمة أبيه أحمد بن طولون؛ الأمير أبو الجيش خمارويه ملك مصر و الشأم و الثغور بعد موت أبيه بمبايعة الجند له فى يوم الأحد العاشر من ذى القعدة سنة سبعين و مائتين. و عند ما ولىّ إمرة مصر أمر بقتل أخيه العباس الذى كان فى حبس أبيه أحمد بن طولون لامتناع العبّاس من مبايعة خمارويه هذا، فقتل. و أمّ خمارويه أمّ ولد يقال لها ميّاس، ولد بسرّمن‌رأى فى سنة خمس و خمسين و مائتين.

و أوّل ما ملك مصر عقد لأبى عبد اللّه أحمد [بن محمد] الواسطىّ على جيش إلى الشأم لستّ خلون من ذى الحجّة سنة سبعين و مائتين المذكورة؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۵۰

و عقد لسعد الأيسر على جيش آخر؛ و بعث بمراكب فى البحر لتقيم بالسواحل الشاميّة؛ فنزل الواسطىّ فلسطين و هو خائف من خمارويه أن يوقع به، لأنه كان أشار عليه بقتل أخيه العبّاس؛ فكتب الواسطىّ إلى أبى أحمد الموفّق يصغّر أمر خمارويه عنده و يحرّضه على المسير إلى قتاله، فأقبل ابن الموفّق من بغداد، و قد انضم إليه إسحاق بن كنداج و محمد بن [ديوداد] أبى السّاج، و نزل الرّقّة فتسلّم قنّسرين و العواصم- و كان خمارويه جميع الشام و الثغور داخلة فى سلطانه- ثم سار ابن الموفّق حتى قاتل أصحاب خمارويه و هزمهم و دخل دمشق؛ فخرج خمارويه فى جيش عظيم لعشر خلون من صفر سنة إحدى و سبعين و مائتين؛ فالتقى مع ابن الموفّق بنهر أبى فطرس المعروف بالطواحين من أرض فلسطين، فاقتتلا فانهزم أصحاب خمارويه، و كان خمارويه فى سبعين ألفا، و ابن الموفّق فى نحو أربعة آلاف، و احتوى على عسكر خمارويه بما فيه. و مضى خمارويه عائدا إلى مصر مهزوما، فخرج كمين كان له مع سعد الأيسر و لم يعلم سعد أنّ خمارويه انهزم؛ فحارب سعد الأيسر ابن الموفّق حتى هزمه و أزاله عن عسكره اثنى عشر ميلا. [و رجع أبو العباس إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۵۱

دمشق فلم تفتح له]. ثم مضى سعد الأيسر الى دمشق، و طمع فى البلاد الشامية و استخفّ بخمارويه و غيره، ثم استولى على دمشق.

و وصل خمارويه إلى مصر فى ثالث شهر ربيع الأوّل من السنة، و لم يعلم ما وقع لسعد الأيسر؛ فلمّا بلغه خبره خرج ثانيا إلى دمشق لسبع بقين من شهر رمضان من السنة فوصل إلى فلسطين، ثم عاد بعساكره من غير حرب لأمور وقعت فى ثامن عشر شوّال؛ و استمرّ بمصر إلى أن خرج ثالثا إلى الشام فى ذى القعدة سنة اثنتين و سبعين و مائتين. و قد خرج سعد الأيسر عن طاعته من يوم الواقعة، فقاتل سعدا الأيسر المذكور و هزمه و ظفر به و قتله، و دخل دمشق و ملكها فى سابع المحرّم من سنة ثلاث و سبعين و مائتين، و أقام بها أياما؛ ثم سار لقتال ابن كنداج فتقاتلا، فكانت الهزيمة أوّلا على خمارويه و انهزم جميع أصحابه و ثبت هو فى طائفة [من حماته]، و قاتل ابن كنداج المذكور حتّى هزمهم و تبعهم بأصحابه حتى وصلت أصحاب خمارويه إلى سرّ من رأى بالعراق؛ و عظم أمر خمارويه فى هذه الوقعة و هابته الناس.

ثم كتب خمارويه إلى أبى أحمد الموفّق طلحة فى الصلح، فأجابه أخو الخليفة الموفّق لذلك؛ و كتب لخمارويه بولايته على مصر و الشام جميعه و الثغور ثلاثين سنة؛ و قدم بالكتاب بعض خدّام الموفّق إلى الشام فى شهر رجب، و عرّفه الخادم أنّ الكتاب كتبه الخليفة المعتمد و أخوه الموفّق و ابنه بأيديهم تعظيما لخمارويه، فسرّ خمارويه بذلك، و عاد إلى مصر فى أواخر رجب المذكور، و أمر بالدعاء لأبى أحمد الموفّق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۵۲

المذكور بعد الخليفة و ترك الدعاء عليه؛ فإنه كان يدعى عليه بمصر من مدّة سنين من أيام إمارة أبيه أحمد بن طولون من يوم وقّع بين الموفّق و بين أحمد بن طولون، و خلع ابن طولون الموفّق من ولاية عهد الخلافة، و أمر القاضى بكّار بن قتيبة بخلعه فلم يوافقه بكّار على ذلك، فحبسه أحمد بن طولون بهذا المقتضى. و قد ذكرنا ذلك كلّه فى آخر ترجمة أحمد بن طولون.

و لما اصطلح خمارويه مع الموفّق عظم أمره و سكنت الفتنة، فإنه كان فى كل قليل يخرج العساكر المصريّة لقتال عسكر الموفّق، فلما اصطلحا زال ذلك كلّه؛ و أخذ خمارويه فى إصلاح ممالكه، و ولّى بمصر على المظالم [محمد بن] عبدة بن حرب. ثم بلغ خمارويه مسير محمد بن [ديوداد] أبى السّاج الى أعماله بمصر، فخرج بعساكره فى ذى القعدة و لقيه بثنيّة العقاب فى دمشق، و قاتله و اشتدّ الحرب بين الفريقين و انكسر عساكر خمارويه، فثبت هو مع خاصّته على عادته و قاتل ابن أبى الساج حتى هزمه أقبح هزيمة، و قتل فى أصحابه مقتلة عظيمة و أسروغنم، و عاد الى الديار المصرية فدخلها فى رابع عشرين جمادى الآخرة سنة ست و سبعين و مائتين؛ فأقام بمصر مدّة يسيرة و خرج الى الإسكندرية فى رابع شوّال، ثم عاد إلى مصر بعد مدّة يسيرة فأقام بها قليلا؛ ثم خرج الى الشام فى سنة سبع و سبعين و مائتين لأمر اقتضى ذلك، و عاد بعد أيام إلى الديار المصريّة، فورد عليه الخبر بها بموت الموفّق فى سنة ثمان و سبعين و مائتين؛ ثم ورد عليه الخبر فى سنة تسع و سبعين و مائتين بموت الخليفة المعتمد؛ و بويع بالخلافة المعتضد أبو العباس أحمد بن الموفّق طلحة بعد عمّه المعتمد؛ فبعث خمارويه إلى المعتضد بهدايا و تحف، فسأله أن يزوّج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۵۳

ابنته قطر الندى لولده المكتفى بالله؛ فقال المعتضد: بل أنا أتزوّجها، فتزوّجها فى سنة إحدى و ثمانين و مائتين، و دخل بها ببغداد فى آخر العام، و أصدقها ألف ألف درهم. يقال. إنّ المعتضد أراد بزواجها أن يفقر أباها خمارويه فى جهازها؛ و كذا وقع، فإنّه جهّزها بجهاز عظيم يتجاوز الوصف، حتى قيل: إنّه دخل معها فى جملة جهازها ألف هاون من الذهب. و لما تصاهر خمارويه مع المعتضد زالت الوحشة من بينهما، و صار بينهما مودّة كبيرة. و ولّاه المعتضد من الفرات إلى برقة ثلاثين سنة؛ و جعل إليه الصّلاة و الخراج [و القضاء] بمصر و جميع الأعمال، على أنّ خمارويه يحمل إلى المعتضد فى العام مائتى ألف دينار عما مضى، و ثلثمائة ألف دينار عن المستقبل. ثم قدم بعد ذلك رسول المعتضد إلى خمارويه بالخلع و كانت اثنتى عشرة خلعة و سيفا و تاجا و وشاحا. انتهى ما سقناه من

وقائع خمارويه. و لا بدّ من ذكر شيء من أحواله و ما جدّده فى الديار المصرية من شعار الملك فى أيام إمرته بها.

و لما ملك خمارويه الديار المصريّة بعد موت أبيه أحمد بن طولون أقبل على عمارة قصر أبيه و زاد فيه محاسن كثيرة؛ و أخذ الميدان الذى كان لأبيه المجاور للجامع فجعله كلّه بستانا، و زرع فيه أنواع الرياحين و أصناف الشجر، و حمل إليه كلّ صنف من الشجر المطعّم و أنواع الورد، و زرع فيه الزعفران، و كسا أجسام النخل نحاسا مذهبا حسن الصنعة، و جعل بين النّحاس و أجسام النخل مزاريب الرّصاص، و أجرى فيها الماء المدبّر؛ فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء فينحدر الى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۵۴

فساقيّ معمولة، و يفيض الماء منها إلى مجار تسقى سائر البستان؛ و غرس فى أرض البستان من الرّيحان المزروع فى زيّ نقوش معمولة و كتابات مكتوبة، يتعاهدها البستانيّ بالمقاريض حتى لا تزيد ورقة على ورقة لئلا يشكل ذلك على القارئ،

و حمل إلى هذا البستان النخل من خراسان و غيرها؛ ثم بنى فى البستان برجا من الخشب الساج المنقوش بالنقر النافذ، و طعّمه ليقوم هذا البرج مقام الأقفاص؛ و بلّط أرضه و جعل فيه أنهارا لطافا يجرى فيها الماء المدبّر من السواقى؛ و سرّح فى البرج من أصناف الفماريّ و الدّباسيّ و النوبيات و ما أشبهها من كلّ طائر يستحسن صوته، و أطلقها بالبرج المذكور، فكانت تشرب و تغتسل من تلك الأنهار؛ و جعل فى البرج أوكارا فى قواديس لطيفة ممكّنة فى جوف الحيطان ليفرخ الطيور فيها؛ و عارض لها فيه عيدانا ممكّنة فى جوانبه لتقف عليها إذا تطايرت حتى يجاوب بعضها بعضا بالصياح؛ و سرّح فى البستان من الطير العجيب كالطواويس و دجاج الحبش و نحو ذلك شيئا كثيرا. و مل فى هذا البستان مجلسا له سمّاه دار الذهب، طلى حيطانه كلّها بالذهب و اللّازورد فى أحسن نقش؛ و جعل فى حيطانه مقدار قامة و نصف صورا بارزة من خشب معمول على صورته و صور حظاياه و المغنيات اللاتى تغنّيه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۵۵

فى أحسن تصوير و أبهج تزويق؛ و جعل على رءوسهنّ الأكاليل من الذهب و الجواهر المرصّعة، و فى آذانها الأخراص الثّقال؛ و لوّنت أجسامها بأصناف تشبه الثياب من الأصباغ العجيبة، فكان هذا القصر من أعجب ما بنى فى الدنيا.

و جعل بين يدى هذا القصر فسقيّة ملأها زئبقا. و سبب ذلك أنه اشتكى إلى طبيبه كثرة السهر و عدم النوم، فأشار عليه بالتكبيس، فأنف من ذلك و قال: لا أقدر على وضع يد أحد علىّ؛ فقال له الطبيب: تأمر بعمل بركة من زئبق، فعمل البركة المذكورة، و طولها خمسون ذراعا فى خمسين ذراعا عرضا و ملأها من الزئبق، فأنفق فى ذلك أموالا عظيمة؛ و جعل فى أركان البركة سككا من فضة، و جعل فى السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة فى حلق من فضّة، و عمل فرشا من أدم يحشى بالريح حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شدّه، و يلقى على تلك البركة الزئبق و يشدّ بالزنانير الحرير التى فى حلق الفضة المقدّم ذكرها، و ينزل خمارويه فينام على هذا الفرش، فلا يزال الفرش يرتجّ و يتحرّك بحركة الزئبق ما دام عليه. و كانت هذه البركة من أعظم الهمم الملوكيّة العالية؛ و كان يرى لها فى الليالى المقمرة منظر عجيب إذا تألّف نور القمر بنور الزئبق.

قال القضاعيّ: و لقد أقام الناس مدّة طويلة بعد خراب هذا القصر يحفرون لأخذ الزئبق من شقوق البركة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۵۶

ثم بنى خمارويه فى القصر أيضا قبّة تضاهى قبة الهواء سماها الدّكة، و جعل لها السّتر الذى يقى الحسرّ و البرد فيسدل حيث شاء و يرفع متى أحبّ؛ و كان كثيرا ما يجلس فى هذه القبة ليشرف منها على جميع ما فى داره من البستان و الصحراء و النيل و الجبل و جميع المدينة. ثم بنى ميدانا آخر أكبر من ميدان أبيه. و بنى أيضا فى داره المذكورة دارا للسباع و عمل فيها بيوتا كل بيت لسبع لم يسع البيت غير السبع و لبؤته، و عمل لتلك البيوت أبوابا تفتح من أعلاها بحركات، و لكلّ بيت منها طاقة صغيرة يدخل منها الرجل الموكّل بخدمة ذلك البيت لفرشه بالرمل؛ و فى جانب كل بيت حوض من الرّخام بميزاب من نحاس يصبّ فيه الماء، و بين يدى هذه البيوت رحبة فسيحة كالقاعة فيها رمل مفروش، و فى جانبها حوض كبير من رخام يصبّ فيه ماء من ميزاب كبير، فإذا أراد سائس من

سوّاس بعض السباع المذكورة [أن] ينظّف بيت ذلك السبع أو يضع له غذاءه من اللحم، رفع الباب بحيلة من أعلى البيت و صاح على السبع يخرج الى الرحبة المذكورة؛ ثم يردّ الرجل الباب و ينزل الى البيت من الطاقة و يكنسه و يبدّل الرمل بغيره من الرمل النظيف، و يضع غذاءه من اللحم فى مكانه بعد ما يقطّع اللحم قطعا و يغسل الحوض و يملؤه ماء، ثم يخرج الرجل و يرفع الباب من أعلاه كما فعل أوّلا، و قد عرف السبع ذاك، فحالما يرفع الباب دخل السبع الى بيته و أكل ما هيّئ له من اللحم؛ فكانت هذه الرحبة فيها عدّة سباع و لهم أوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع فتخرج الى الرحبة المذكورة و تشمّس فيها و يهارش بعضها بعضا فتقيم، يوما كاملا إلى العشىّ و خمارويه و عساكره تنظر إليها؛ فإذا كان العشىّ يصيح

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۵۷

عليها السّوّاس فيدخل كل سبع إلى بيته لا يتعدّاه إلى غيره. و كان من جملة هذه السباع سبع أزرق العينين يقال له له "زريق "قد أنس بخمارويه و صار مطلقا فى الدار لا يؤذى أحدا و راتبه على عادة السباع، فلا يلتفت إلى غذائه بل ينتظر سماط خمارويه، فإذا نصبت المائدة أقبل زريق معها و ربض بين يدى خمارويه، فيبقى خمارويه يرمى إليه بيده الدّجاجة بعد الدجاجة و القطعة الكبيرة من اللحم و نحو ذلك مما على المائدة؛ و كانت له لبؤة لم تأنس بالناس كما أنس هو، فكانت محبوسة فى بيت و له وقت معروف يجتمع بها [فيه]، و كان إذا نام خمارويه جاء زريق و قعد ليحرسه، فإن كان [قد] نام على سريره ربض بين يدى السرير و جعل يراعيه ما دام نائما، و إن نام خمارويه على الأرض قعد قريبا منه و تفطّن لمن يدخل أو يقصد خمارويه لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة؛ و كان فى عنق زريق طوق من ذهب فلا يقدر أحد أن يدنو من خمارويه ما دام نائما لمراعاة زريق له و حراسته إياه، حتى أراد اللّه إنفاذ قضائه فى خمارويه كان بدمشق و زريق بمصر، و لو كان زريق حاضرا لما كان يصل إلى خمارويه أحد. فما شاء اللّه كان.

و كان خمارويه أيضا قد بنى دارا جديدة للحرم من أمّهات أولاد أبيه [مع أولادهنّ و جعل معهنّ المعزولات من أمهات أولاده] و جعل فيها لكل واحدة حجرة واسعة، لتكون لهم بعد زوال دولتهم، و أقام لكلّ حجرة من الخدم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۳؛ ص۵۷

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۵۸

و الأسمطة الواسعة ما كان يفضل عن أهلها منه شىء كثير؛ و كان الخدم الموكّلون بالحرم من الطبّاخين و غيرهم يفضل لكلّ منهم مع كثرة عددهم الشىء الكثير من الدّجاج و لحم الضأن و الحلوى و القطع الكبار من الفالوذج و الكثير من اللّوزينج و القطائف و الهبرات من العصيدة التى تعرف اليوم بالمأمونية و أشباه ذلك مع الأرغفة الكبار؛ و اشتهر بمصر بيع الخدم لذلك؛ فكان الناس يأتونهم لذلك من البعد و يشترون منهم ما يتفكّهون به من الأنواع الغريبة من المأكل؛ و كان هذا دواما فى كلّ وقت بحيث إنّ الرجل إذا طرقه ضيف خرج من فوره الى باب دار الحرم فيجد ما يشتريه ليتجمّل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله. ثم أوسع خمارويه اصطبلاته لكثرة دوابّه فعمل لكلّ صنف من الدوابّ إصطبلا حتى للجمال، ثم جعل للفهود دارا مفردة، ثم للنّمورة دارا مفردة، و للفيلة كذلك، و للزرافات كذلك؛ و هذا كان سوى الاصطبلات التى كانت فى الجيزة و مثلها فى نهيا و وسيم و سفط و طهرمس؛ و كانت هذه الضياع لا تزرع إلا القرط برسم الدوابّ؛ و كان للخليفة أيضا إصطبلات بمصر سوى ذلك، فيها الخيل لحلبة السباق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۵۹

و للرّباط فى سبيل اللّه برسم الغزو، و على كل إصطبل وكلاء لهم الرزق السّنىّ و الأموال المتّسعة.

و بلغ رزق الجيش المصرىّ فى أيام خمارويه فى السنة تسعمائة ألف دينار؛ و كان مصروف مطبخ خمارويه فى كل شهر ثلاثة و عشرين ألف دينار، و هذا سوى مصروف حرمه و جواريه و ما يتعلق بهنّ. و كان خمارويه قد اتّخذ لنفسه من مولّدى الحوف و سائر الضياع قوما معروفين بالشجاعة و شدّة البأس؛ لهم خلق تامّ و عظم أجسام، و أجرى عليهم الأرزاق و وسّع لهم فى الغطاء، و شغلهم عما كانوا فيه من قطع الطريق و أذيّة الناس بخدمته، و ألبسهم الأقبية من الحرير و الديباج و صاغ لهم المناطق و قلّدهم بالسيوف

المحلّاة يضعونها على أكتافهم إذا مشوا بين يديه و سمّاهم المختارة؛ فكان هؤلاء يقاتلون أمام جند خمارويه أضعاف ما يقاتله الجند. و كان إذا ركب خمارويه و مضى الحجّاب بين يديه و مشى موكبه على ترتيبه و مضت أصناف العسكر و طوائفه، تلاهم السودان و عدّتهم ألف أسود لهم درق من حديد محكمة الصنعة و عليهم أقبية سود و عمائم سود، فيخالهم الناظر إليهم بحرا أسود يسير على وجه الأرض لسواد ألوانهم [و سواد ثيابهم]، و يصير لبريق درقهم و حلىّ سيوفهم و الخوذ التى على رءوسهم من تحت العمائم زىّ بهج الى الغاية؛ فإذا مضى السودان قدم خمارويه و قد انفرد عن موكبه و صار بينه و بين الموكب نحو نصف غلوة سهم، و خواصّه تحفّ به.

و كان خمارويه طويل القامة و يركب فرسا تامّا فيصير كالكوكب، إذا أقبل لا يخفى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۶۰

على أحد كأنه قطعة جبل. و كان خمارويه مهيبا ذا سطوة، قد وقع فى قلوب الناس أنه متى أشار إليه أحد بيده أو تكلّم أو قرب منه لحقه ما يكره؛ و كان إذا سار فى موكبه لا يسمع من أحد كلمة و لا سعلة و لا عطسة و لا نحنحة البتّة كأنّما على رءوسهم الطير؛ و كان يتقلّد فى يوم العيد سيفا بحمائل، و لا يزال يتفرّج و يتنزّه و يخرج الى المواضع التى لم يكن أبوه يخرج اليها كالأهرام و مدينة العقاب و نحو ذلك لأجل الصيد، فإنه كان مشغوفا به، لا يكاد يسمع بسبع إلا قصده و معه رجال عليهم لبود فيدخلون الى الأسد و يتناولونه بأيديهم من غابته عنوة و هو سليم، فيضعونه فى أقفاص من خشب محكمة الصنعة تسع الواحد من السباع و هو قائم؛ فإذا قدم خمارويه من الصيد سار القفص [و فيه السبع] بين يديه. و كانت حلبة السّباق فى أيّامه تقوم عند الناس مقام الأعياد لكثرة الزينة و ركوب سائر الجند و العساكر بالسلاح [التامّ و العدد الكاملة]، و يجلس الناس لرؤية ذلك كما يجلسون فى الأعياد.

قلت: و التشبيه أيضا بتلك الأعياد لا بأعياد زماننا هذا، فإن أعيادنا الآن كالمآتم بالنسبة لتلك الأعياد السالفة. انتهى.

و قال القضاعىّ: و كان أحمد بن طولون بنى المنظر لعرض الخيل. قال.

و كان عرض الخيل من عجائب الإسلام الأربع؛ و الأربع العجائب: منها كان عرض الخيل بمصر، و رمضان بمكّة، و العيد بطرسوس، و الجمعة ببغداد. ثم قال القضاعىّ: و قد ذهب اثنتان من الأربع: عرض الخيل بمصر، و العيد بطرسوس.

انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۶۱

و قال المقريزى: و قد ذهبت الجمعة ببغداد بعد القضاعى بقتل هولاكو للخليفة المستعصم ببغداد. و زالت شعائر الإسلام من العراق؛ [و بقيت مكة شرّفها اللّه تعالى، و ليس فى شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه: إنّه من عجائب الإسلام].

انتهى كلام المقريزى رضى اللّه عنه.

قلت: و ما زال أمر خمارويه فى تزايد إلى أن ماتت حظيّته بوران التى بنى لها القصر المعروف ببيت الذهب المقدّم ذكره، فكدّر موتها عيشه و انكسر انكسارا بان عليه. ثم إنه أخذ فى تجهيز ابنته قطر الندى لمّا تزوّجها الخليفة المعتضد، فجهّزها جهازا ضاهى به نعمة الخلافة. و قد ذكرنا سبب زواج الخليفة بابنته قطر الندى المذكور فى أوائل ترجمته، و وعدنا بذكر جهازها فى آخر الترجمة فى هذا المحل.

و كان من جملة جهازها دكّة أربع قطع من ذهب عليها قبّة من ذهب مشبّك فى كل عين من التشبيك قرط معلّق فيه حبّة من جوهر لا يعرف لها قيمة، و مائة هاون من الذهب. و قال الذهبىّ: و ألف هاون من ذهب. قال القضاعىّ: و عقد المعتضد النكاح على ابنته قطر الندى فحملها أبو الجيش خمارويه إلى المعتضد مع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۶۲

أبى عبد اللّه بن الجصّاص، و حمل معها من الجهاز ما لم ير مثله و لا يسمع به.

و لما دخل إلى خمارويه ابن الجصّاص يودّعه قال له خمارويه: هل بقى بينى و بينك حساب؟ قال: لا؛ فقال خمارويه: انظر حسنا، فقال: كسر بقى من الجهاز؛ فقال خمارويه: أحضروه، فأخرج ربع طومار فيه ثبت ذكر نفقة الجهاز فإذا فيه أربعمائة ألف دينار، فوهبها له خمارويه. قال محمد بن علىّ الماذرائى: فنظرت فى الطومار فإذا فيه [": و] ألف تكّة الثمن [عنها] عشرة آلاف دينار. "قال القضاعىّ:

و إنما ذكرت هذا الخبر ليستدلّ به على [أشياء: منها] سعة نفس أبى الجيش خمارويه؛ و منها كثرة مال ابن الجصّاص، حتى إنّه قال: كسر بقى من الجهاز، و هو أربعمائة ألف دينار، لو لم يذكّره بذلك لم يذكره؛ و منها: عمارة مصر فى ذلك الزمان لما طلب فيها ألف تكّة من أثمان عشرة دنانير قدر عليها فى أيسر وقت بأهون سعى، و لو طلب اليوم خمسون لم يقدر عليها. انتهى كلام القضاعى.

قال المقريزى: و لا يعرف اليوم فى أسواق القاهرة تكّة بعشرة دنانير إذا طلبت توجد فى الحال و لا بعد شهر، إلا أن يعتنى بعملها. انتهى كلام المقريزى.

و لمّا فرغ خمارويه من جهاز ابنته قطر النّدى أمر فبنى لها على رأس كل منزلة تنزل فيها قصر فيما بين مصر و بغداد. و أخرج معها خمارويه أخاه خزرج بن أحمد ابن طولون فى جماعة مع ابن الجصّاص، فكانوا يسيرون بها سير الطفل فى المهد؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۶۳

فكانت إذا وافت المنزلة وجدت قصرا قد فرش، فيه جميع ما تحتاج إليه. و قد علّقت فيه الستور و أعدّ فيه كلّ ما يصلح لمثلها. و كانت فى مسيرها من مصر الى بغداد على بعد الشّقة كأنّها فى قصر أبيها، حتى قدمت بغداد فى أوّل المحرّم سنة اثنتين و ثمانين و مائتين؛ و هى سنة قتل فيها خمارويه المذكور، على ما سيأتى ذكره.

و لمّا دخل بها الخليفة المعتضد أحبّها حبّا شديدا لجمال صورتها و كثرة آدابها.

قيل: إنّه خلا بها فى بعض الأيّام فوضع رأسه على ركبتها و نام، و كان المعتضد كثير التحرّز على نفسه؛ فلما نام تلطّفت به و أزالت رأسه عن ركبتها و وضعتها على و سادة، ثم تنحّت عن مكانها و جلست بالقرب منه فى مكان آخر؛ فانتبه المعتضد فزعا و لم يجدها، فصاح بها فكلمته فى الحال؛ فعتبها على ما فعلت من إزالة رأسه عن ركبتها، و قال لها: أسلمت نفسى لكِ فتركتنى وحيدا و أنا فى النوم لا أدرى ما يفعل بى! فقالت: يا أمير المؤمنين، ما جهلت قدر ما أنعمت به علىّ، و لكن فيما أدّبنى به والدى خمارويه: أنى لا أجلس مع النّيام و لا أنام مع الجلوس؛ فأعجبه ذلك منها الى الغاية. قلت: للّه درّها من جواب أجابته به!.

و لمّا فرغ خمارويه من جهاز ابنته قطر الندى المذكورة و أرسلها إلى زوجها المعتضد بالله، تجهّز و خرج إلى دمشق بعساكره، و أقام بها إلى أن قتل على فراشه فى السنة المذكورة.

قال العلامة شمس الدين فى تاريخه مرآة الزمان: كان خمارويه كثير الفساد بالخدم، دخل الحمّام مع جماعة منهم فطلب من بعضهم الفاحشة فامتنع الخادم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۶۴

حياء من الخدم؛ فأمر خمارويه أن يضرب، فلم يزل يصيح حتى مات فى الحمّام، فأبغضه الخدم. و كان قد بنى قصرا بسفح قاسيون أسفل من دير مرّان يشرب فيه [الخمر]، فدخل تلك الليلة الحمّام فذبحه خدمه، و قيل: ذبحوه على فراشه و هربوا، و قيل غير ذلك: إنّ بعض خدمه يولع بجارية له فتهدّدها خمارويه بالقتل، فاتّفقت مع الخادم على قتله. و كان ذبحه فى منتصف ذى الحجة، و قيل: لثلاث خلون منه من سنة اثنتين و ثمانين و مائتين. و كان الأمير طغج بن جفّ معه فى القصر فى تلك الليلة، فبلغه الخبر فركب فى الحال و تتبّع الخدم و كانوا نيّفا و عشرين خادما، فأدركهم و قبض عليهم و ذبحهم و صلبهم، و حمل أبا الجيش خمارويه فى تابوت من دمشق إلى مصر و صلّى عليه ابنه جيش و دفن. و يقال: إنّه دفن بالقصر إلى جانب أبى عبيدة البرانىّ؛ فرآه بعض أصحابه فى المنام فقال له: ما فعل اللّه بك؟ فقال:

غفر لى بالقرب من أبى عبيدة و مجاورته. انتهى كلام صاحب المرآة. و قال غيره: قتل على فراشه، ذبحه جواريه و خدمه و حمل فى صندوق الى مصر.

و كان لدخول تابوته إلى مصر يوم عظيم، استقبله جواريه و جوارى غلمانه و نساء قوّاده بالصّياح و ما تصنع النساء فى المآتم؛ و خرج الغلمان و قد حلّوا أقبيتهم و فيهم من سوّد ثيابه و شقّها، فكانت فى البلد ضجّة و صرخة حتى دفن. و كانت مدّة ملكه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۶۵

على مصر و الشام اثنتى عشرة سنة و ثمانية عشر يوما. و تولّى مصر بعده ابنه أبو العساكر جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون. انتهى.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۱]

السنة الأولى من ولاية خمارويه على مصر، و هى سنة إحدى و سبعين و مائتين- فيها دخل محمد و علىّ ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد المدينة، فقتلا فيها [جماعة من أهلها] و جبيا الأموال و عطّلا الجمعة [و الجماعة] من مسجد النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم شهرا. و فيها عزل الخليفة المعتمد على اللّه عمرو بن الليث الصفّار و أمر بلعنه على المنابر، و ولّى عوضه خراسان محمد بن طاهر بن الحسين. ثم ولّى المعتمد على سمرقند و بخارى نصر بن أحمد بن أسد. و فيها كانت الوقعة بين أبى العباس بن الموفّق و بين خمارويه صاحب الترجمة، و هى الوقعة التى ذكرناها فى أوائل ترجمة خمارويه. و فيها وثب يوسف بن أبى الساج على الحجّاج، فقاتلوه و أسروه و قدموا به بغداد مقيّدا قد أشهر على جمل، و فيها توفّيت بوران بنت الوزير الحسن بن سهل زوجة الخليفة المأمون. و قصّة زواجها مع المأمون مشهورة، و كانت وفاتها فى شهر ربيع الأوّل ببغداد، و قد بلغت ثمانين سنة، و كانت عظيمة الشأن متصدّقة خيّرة فطنة راوية للشعر، و كانت من أحبّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۶۶

نساء المأمون إليه. و فيها توفى أبو حفص عمر بن مسلم و قيل: ابن مسلمة الحدّاد النّيسابورىّ، أصله من قرية على باب نيسابور يقال لها كورداباذ على طريق بخارى.- قلت: و باذ بالتفخيم فى جميع ما يأتى فيه لفظة باذ مثل فيروز باذ و كلاباذ و ما أشبه ذلك، لا يصحّ معنى ذلك إلا بالتفخيم، و متى رقّق كما يتلفّظ به أولاد العرب ذهب معنى الاسم- كان النّيسابورىّ هذا عظيم الشأن أحد السادة الأئمة من كبار مشايخ القوم، و له الكرامات المشهورة، ذكر عند الجنيد فقال:

كان رجلا من أهل الحقائق. و فيها توفّى محمد بن وهب أبو جعفر العابد صاحب الجنيد؛ قال: سافرت لألقى أبا حاتم العطّار البصرىّ الزاهد فطرقت عليه بابه فقال: من؟ فقلت: رجل يقول: ربّى اللّه؛ ففتح الباب و وضع خدّه على الأرض و قال: طأ عليه، فهل بقى فى الدنيا من يحسن أن يقول ربّى اللّه!. و كانت وفاته ببغداد، و تولّى الجنيد غسله و تكفينه و الصلاة عليه، و دفن إلى جانب سرىّ السّقطىّ. و فيها توفّى مصعب بن أحمد بن مصعب أبو أحمد القلانسىّ، ولد ببغداد، و كان عظيم الشأن من أقران الجنيد و كان صاحب كرامات و أحوال.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة فى السنة المذكورة خمس عشرة ذراعا و اثنتان و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۶۷

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۲]

السنة الثانية من ولاية خمارويه على مصر، و هى سنة اثنتين و سبعين و مائتين- فيها وقع خلاف بين أبى العبّاس بن الموفّق و بين يا زمان الخادم فى طرسوس، فأخرج أهل طرسوس أبا العبّاس عنهم، فقدم الى أبيه ببغداد. و فيها دخل حمدان بن حمدون و هارون الشارىّ بالخوارج مدينة الموصل و صلّى الشارىّ بالناس فى الجامع. و فيها تحرّكت الزّنج بواسط و صاحوا: أنكلاى يا منصور، و كان أنكلاى و سليمان بن جامع و [أبان بن على] المهلّبىّ و الشعرانىّ و غيرهم من قوّاد الزّنج محبوسين فى بغداد فى بئر فتح السّعيدىّ، فكتب إليه الموفّق بأن يبعث رءوسهم ففعل، و صلبت أبدانهم على الجسر. و فيها غزا الصائفة يا زمان الخادم و فيها حجّ بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد اللّه بن العباس. و فيها توفّى أحمد بن مهدىّ بن رستم الحافظ أبو جعفر الأصبهانىّ أحد الثّقات الحفّاظ الرحّالين فى طلب الحديث و العلم، كان صاحب صلاة و تعبّد و اجتهاد، لم يفرش له فراش منذ أربعين سنة، و أنفق على محصل العلم ثلثمائة ألف درهم، و صنّف المسند. و فيها توفّى الحسن بن إسحاق بن يزيد أبو علىّ العطّار؛ قال عبد الرّحمن بن هارون: كنّا فى البحر سائرين إلى إفريقيّة فركدت علينا ريح، فأرسينا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۶۸

إلى موضع يقال له البرطون و معنا شخص يصطاد السمك، فاصطاد سمكة نحوا من شبر و أقل، فرأينا على صفحة أذنها اليمنى مكتوبا: «لا إله إلا اللّه» و فى اليسرى:

«محمد رسول اللّه»، فقذفناها فى البحر و منعنا الناس أن يصطادوا من ذلك الموضع.

و فيها توفّى العلاء بن صاعد أبو عيسى البغدادىّ الكاتب، كان يتعاطى علم النجوم، فحبسه الموفّق؛ فقال لأصحابه: طالع الوقت يقتضى أنّ بعد ثلاثة عشر يوما أخرج من الحبس و أعود إلى منزلى، و كان مريضا فمات بعد ثلاثة عشر يوما فى الحبس، فدفع إلى أهله ميّتا؛ قيل: إنه رأى النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم فى المنام فى مرضه فقال:

يا رسول اللّه، ادع اللّه أن يهب لى العافية، فأعرض عنه يمينا و شمالا و هو يقول ذلك، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم: لا أفعل؛ فقال: يا رسول اللّه، و لم؟

قال: لأنّ أحدكم يقول أعلّنى المرّيخ و أبرأنى المشترى. و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه ابن عمّار بن سوادة أبو جعفر الفقيه المخرّمىّ، ولد سنة اثنتين و ستين و مائة، و كان حافظا كثير الحديث سمع سفيان بن عيينة و غيره، و روى عنه عبد اللّه ابن الإمام أحمد بن حنبل و غيره. و فيها توفّى محمد بن أبى داود بن عبيد اللّه أبو جعفر بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۶۹

المنادى، سمع يزيد بن هارون و غيره، و روى عنه البخارىّ و غيره. و فيها توفّى محمد ابن عوف بن سفيان أبو جعفر الطائىّ الحمصىّ الزاهد العابد، كان الإمام أحمد بن حنبل يقول: ما كان بالشام منذ أربعين سنة مثله. و فيها توفّى يعقوب بن سواك الجيلىّ الزاهد، سكن بغداد و صحب بشرا الحافى و انتفع به و كان من الأبدال.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و تسع أصابع، مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۳]

السنة الثالثة من ولاية خمارويه على مصر، و هى سنة ثلاث و سبعين و مائتين- فيها وثب ثلاثة بنين لملك الروم على أبيهم فقتلوه و ملّكوا أحدهم عليهم. و فيها كانت وقعة بين إسحاق بن كنداج و بين محمد بن أبى السّاج فى جمادى الأولى، فانهزم إسحاق، ثم

تواقعا أيضا فى ذى الحجة فانهزم إسحاق أيضا ثانيا. و فيها قبض الموفّق أخو الخليفة على لؤلؤ مولى ابن طولون الذى كان قدم عليه بالأمان من الشام، و أخذ أمواله و كانت أربعمائة ألف دينار. و فيها توفّى أحمد بن سعد بن إبراهيم الزّهرىّ الجوهرىّ، كان عالما فاضلا زاهدا يعدّ من الأبدال، و هو من بيت كلّهم زّهاد و علماء. و فيها توفّى أحمد بن العلاء أبو عبد الرّحمن القاضى الرّقّىّ، و مولده

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۷۰

سنة اثنتين و تسعين و مائة، و توفّى بمصر بعد ابن أخيه أبى الهيثم بعشرين يوما، و رثاهما أخوه هلال. و فيها توفّى حنبل بن إسحاق بن حنبل ابن عمّ الإمام أحمد ابن حنبل، سمع الكثير و صنّف التاريخ، و روى عنه أبو القاسم البغوىّ و غيره، و كان زاهدا عابدا. و فيها توفّى محمد بن إبراهيم بن مسلم الحافظ أبو أميّة البغدادىّ، كان رفيع القدر، إماما فى الحديث، سكن طرسوس و مات فى جمادى الآخرة، سمع أبا نعيم و غيره، و روى عنه أبو حاتم الرازىّ و غيره. و فيها توفى [محمد بن] عبد الرّحمن بن الحكم بن هشام الأموىّ أمير الأندلس، كان فاضلا عالما فصيحا، كان يخرج الى الجهاد فيوغل فى بلاد الكفّار السنة و السنتين و أكثر. و لما مات ولى بعده ابنه المنذر بن محمد. و فيها توفّى محمد بن يزيد بن ماجة الإمام الحافظ الحجّة الناقد أبو عبد اللّه القزوينى صاحب السّنن و التفسير و التاريخ، و هو مولى ربيعة، ولد سنة سبع و مائتين، و رحل الى مكّة و الكوفة و البصرة و بغداد و الشام و مصر و غيرها، و سمع الكثير، و كان صاحب فنون، مات يوم الاثنين و دفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان؛ و قد روينا مسنده عن الشيخ المسند رضوان بن محمد العقبىّ؛ قال أخبرنا أبو إسحاق الأنبارىّ قال أخبرنا الكمال بن حبيب قال أخبرنا سنقر بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۷۱

عبد اللّه الزّينىّ أخبرنا الموفّق بن قدامة أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد [بن طاهر] المقدسىّ أخبرنا أبو منصور محمد بن الحسين أخبرنا أبو طلحة القاسم بن [أبى] المنذر حدّثنا علىّ بن إبراهيم بن سلمة القطّان حدّثنا ابن ماجة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ثلاث و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و خمس أصابع و نصف.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۴]

السنة الرابعة من ولاية خمارويه على مصر، و هى سنة أربع و سبعين و مائتين- فيها غزا يا زمان الخادم الروم، فأسر و قتل و سبى و عاد سالما غانما.

و فيها خرج الموفّق الى كرمان يقصد حرب عمرو بن الليث الصّفّار. و فيها حجّ بالناس هارون بن محمد أيضا. و فيها هجم صدّيق الفرغانى [على] سرّ من رأى فأخذ أموال التجّار و نهب دور الناس و كان يقطع الطريق، و كان الخليفة المعتمد بسرّمن‌رأى و أخوه الموفّق قد خرج لقتال عمرو بن الليث الصفّار. و فيها توفى أحمد بن حرب بن مسمع أبو جعفر العدل، كان من قرّاء القرآن و أحد الشهود الذين رغبوا عن الشهادة فى آخر أعمارهم. و فيها توفى محمد بن عيسى بن حبّان المدائنىّ فى قول الذهبىّ و غيره.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و سبع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و سبع أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۷۲

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۵]

السنة الخامسة من ولاية خمارويه على مصر، و هى سنة خمس و سبعين و مائتين- فيها بعث الموفّق جيشا إلى نواحى سرّ من رأى مع

الطائىّ، فأخذ صدّيقا الفرغانىّ اللصّ فقطعوا يديه و رجليه و أيدى أصحابه و أرجلهم، و حملوا إلى بغداد على تلك الصورة. و فيها أيضا غزا يا زمان الخادم البحر فأخذ عدّة مراكب للروم. و فيها فى شوّال حبس الموفّق ابنه أبا العباس- و أبو العباس هذا هو الذى يلى الخلافة بعد ذلك و يتلقّب بالمعتضد و يتزوّج بقطر النّدى بنث خمارويه صاحب الترجمة- و قد تقدّم ذكر جهازها فى أوّل هذه الترجمة- و لما أمسك الموفّق ابنه أبا العباس المذكور تشغّب أصحابه و حملوا السلاح، فركب الموفّق و صاح بأصحاب أبى العباس: ما شأنكم! أ ترون أنكم أشفق على ولدى منّى! فوضعوا السلاح و تفرّقوا. و فيها حج بالناس هارون بن محمد الهاشمىّ أيضا. و فيها توفى أحمد بن محمد بن الحجاج الفقيه أبو بكر المرّوذىّ صاحب الإمام أحمد بن حنبل، كان أبوه خوارزميّا و أمه مرّوذية، و كان مقدّما فى أصحاب الإمام أحمد لورعه و فضله. و فيها توفّى أحمد بن محمد بن غالب بن خالد أبو عبد اللّه البصرىّ الباهلىّ و يعرف بغلام خليل، سكن بغداد و حدّث بها، و كان من الأبدال، يسرد الصوم دائما. و فيها توفّى سعد الأيسر، كان أمير دمشق و كان عادلا و كان من خواصّ أحمد بن طولون، و هو الذى هزم أبا العباس أحمد بن الموفّق لما حارب خمارويه حسبما ذكرناه، و كان سعد يقول عن خمارويه: هذا الصبىّ مشغول باللهو و أنا أكابد الشدائد؛ فبلغ خمارويه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۷۳

فخرج إلى الرّملة و استدعاه، فلما قدم عليه قتله بيده؛ و بلغ أهل دمشق ذلك فغضبوا و لعنوا خمارويه. و فيها توفى سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدّاد بن عمرو ابن عمران أبو داود السّجستانى الأزدىّ الإمام الحافظ الناقد صاحب السّنن.

مولده سنة اثنتين و مائتين، كان إمام أهل الحديث فى عصره بلا مدافعة، رحل إلى العراق و خراسان و الحجاز و الشام و مصر و بغداد غير مرّة، و روى بها كتاب السنن و عرضه على الإمام أحمد بن حنبل فاستحسنه، و كان عارفا بعلل الحديث ورعا، و كان له كمّ واسع و كمّ ضيّق؛ فقيل له فى ذلك فقال: الواسع للكتب، و الآخر لا أحتاج إليه. و قد سمعت سننه رواية اللؤلؤى عنه على المشايخ الثلاثة: زين الدين عبد الرّحمن الدّمشقى، و علاء الدين علىّ بن بردس البعلبكّى، و شهاب الدين أحمد [المشهور با] بن ناظر الصاحبيّة، بسماع الأوّلين لجميعه على أبى حفص بن أميلة، و بإجازة الثالث من أبى العباس بن الجوخى، قالا: أخبرنا أبو الحسن علىّ بن البخارىّ أخبرنا أبو الحفص بن طبرزذ مما اتفق له. أخبرنا أبو البدر إبراهيم الكرخىّ و أبو الفتح الدّومى قالا أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن على أخبرنا الشريف أبو عمر الهاشمىّ اخبرنا أبو علىّ اللؤلؤى أخبرنا أبو داود. و فيها توفى على بن يحيى بن أبى منصور أبو الحسن المنجّم، كان أصله من أبناء فارس، و كان أديبا شاعرا، و نادم الخلفاء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۷۴

من المتوكّل إلى المعتمد، و كانوا يعظّمونه، و كان عالما بأيام الناس راوية للأشعار.

و فيها توفّى محمد بن إسحاق بن إبراهيم العنبسىّ الصّيمرىّ الشاعر، كان أديبا قدم بغداد و نادم المتوكّل؛ و من شعره رضى اللّه عنه:

كم مريض قد عاش من بعد يأس بعد موت الطبيب و العوّاد

قد يصاد القطا فينجو سليما و يحلّ القضاء بالصّيّاد

و فيها توفّى المنذر بن محمد بن عبد الرّحمن بن الحكم بن هشام أبو الحكم أمير الأندلس، أقام على الأندلس سنتين، و أمّه أمّ ولد، و هو السادس لصلب عبد الرّحمن الداخل الأموىّ المقدّم ذكره.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ستّ عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و ثمانى أصابع و نصف.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۶]

السنة السادسة من ولاية خمارويه على مصر، و هى سنة ستّ و سبعين و مائتين- فيها رضى الخليفة المعتمد على عمرو بن الليث الصّفّار، و كتب اسمه على الأعلام و العدد. و فيها فى [شهر] ربيع الأوّل خرج الموفّق أخو الخليفة المعتمد من بغداد يريد أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف بأصبهان، فتنحّى له أحمد عن داره:

عن آلتها و فرشها، فنزل بها الموفّق؛ و قدم محمد بن أبى الساج على الموفّق هاربا من خمارويه صاحب الترجمة بعد وقعات جرت بينهما، فأكرمه الموفّق و خلع عليه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۷۵

و فيها ولّى عمرو بن الليث الصّفّار شرطة بغداد. و فيها انفرج تلّ بنهر الصّلح عند فم الصّلح بالعراق، و يعرف بتلّ بنى شقيق، عن سبعة قبور فيها سبعة أبدان صحيحة و الأكفان جدد تفوح منها رائحة المسك، و أحدهم شابّ له جمّة طويلة طريّة، و لم يتغيّر منه شىء، و فى خاصرته ضربة؛ و كانت القبور حجارة مثل المسنّ، و عندهم كتاب ما يدرى ما فيه. و فيها توفّى بقىّ بن مخلد بن يزيد الحافظ أبو عبد الرّحمن الأندلسىّ صاحب الرحلة و التصانيف، كان مجاب الدعوة، رحل الى مكة و المدينة و مصر و الشام و بغداد و الشرق و العراقين، و كان له مائتان و أربعة و ثمانون شيخا، و مولده فى شهر رمضان سنة إحدى و مائتين، و مات ليلة الثلاثاء ثامن عشرين جمادى الآخرة. و فيها توفّى عبد اللّه الفرحان أبو طاهر الأصبهانى العابد المشهور، كان مجاب الدعوة و له آثار فى الدعاء مشهورة، كتب الكثير من الحديث بالعراق و الشام و مصر، و سمع هشام بن عمّار و غيره، و روى عنه محمد بن عبد اللّه الصّفّار و غيره. و فيها توفّى عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة أبو محمد المروزىّ الكاتب مصنّف كتاب غريب الحديث و غريب القرآن و مشكل القرآن، مات فجأة، صاح صيحة عظيمة ثم مات فى شهر رجب؛ و قال الدارقطنىّ: كان يميل الى التشبيه، و كلامه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۷۶

يدلّ عليه، و قال البيهقىّ: كان يرى رأى الكرّامية، و ذكر عنه أشياء غير ذلك، و كان خبيث اللسان يقع فى حقّ كبار العلماء. و فيها توفّى عبد الملك بن محمد بن عبد اللّه الحافظ أبو قلابة الرّقاشىّ، مولده بالبصرة سنة تسعين و مائة، و سمع يزيد بن هارون و غيره، و روى عنه المحاملى و آخرون.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و تسع أصابع، مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۷]

السنة السابعة من ولاية خمارويه على مصر، و هى سنة سبع و سبعين و مائتين- فيها اتفق يا زمان الخادم مع خمارويه صاحب الترجمة و دعا له على المنابر بطرسوس، و سببه أن خمارويه استماله و تلطّف به و بعث له بثلاثين ألف دينار و خمسمائة ثوب و خمسمائة دابّة و سلاح كثير. و فيها حجّ بالناس هارون بن محمد العباسىّ الهاشمىّ على العادة. و فيها توفى أحمد بن عيسى أبو سعيد الخرّاز الصّوفىّ البغدادىّ أحد المشايخ المذكورين بالزهد، كان من أئمة القوم و جلّة مشايخهم؛ قال الجنيد: لو طالبنا اللّه بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخرّاز لهلكنا، قيل له: و على أىّ شىء حاله؟ قال: أقام كذا و كذا سنة يخرز ما فاته [الحقّ] بين الخرزتين، يعنى ذكر اللّه تعالى. و فيها توفى إبراهيم ابن إسحاق بن أبى العنبس أبو إسحاق الزّهرىّ الكوفىّ، ولى قضاء بغداد ثم صرفه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۷۷

الموفّق، أراد منه أن يدفع إليه أموال الأوقاف فامتنع، و كان عالما محدّثا حمل الناس عنه الحديث الكثير. و فيها توفى محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحافظ أبو حاتم الرّازى الحنظلىّ مولى بنى تميم بن حنظلة الغطفانىّ، و قيل: سمّى الحنظلىّ لأنه كان يسكن بالرّىّ بدرب حنظلة، كان أحد الأئمة الرحّالين عارفا بعلل الحديث و الجرح [و] التعديل، رحل إلى خراسان و العراقين و

الحجاز و اليمن و الشأم و مصر، و مات بالرّىّ فى شعبان. و فيها توفى يعقوب بن سفيان الحافظ أبو يوسف الفارسىّ الفسوىّ صاحب التاريخ و المصنّفات الحسان، كان إمام أهل الحديث، سافر [الى] البلاد و لقى الشيوخ، قال: كتبت عن ألف شيخ و أكثر، و كلّهم ثقات، و قال أبو زرعة الدمشقىّ: قدم علينا يعقوب دمشق و تعجّب أهل العراق أن يروا مثله.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و إصبعان، مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۸]

السنة الثامنة من ولاية خمارويه على مصر، و هى سنة ثمان و سبعين و مائتين- فيها فى الثامن و العشرين من المحرّم ظهر فى السماء كوكب ذو جمّة. و فيها قال أبو المظفر بن قزأوغلى و غيره من المؤرّخين: غار نيل مصر حتى لم يبق منه شىء.

قال الذّهبىّ: و لم يتعرّض المسبّحىّ فى تاريخه إلى شىء من ذلك. و غلت الأسعار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۷۸

فى هذه السنة بمصر و قراها. و فيها ظهرت القرامطة بسواد الكوفة، و قد اختلفوا فيهم و فى مبتدأ أمرهم على أقوال نذكر منها نبذة لما سيأتى من ذكر القرامطة و استيلائهم على البلاد و قتلهم للعباد، فأحد الأقوال: أن رجلا قدم من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة و أظهر الزهد و التقشّف، و كان يسفّ الخوص و يأكل من كسبه، و لا زال يظهر التديّن و الزهد إلى أن مال إليه الناس فدرّجهم من شىء إلى شىء حتى صاروا معه حيث شاء، و قيل غير ذلك أقوال كثيرة؛ و هم من الذين أكثروا فى الأرض الفساد و أخربوا البلاد. و فيها غزا يا زمان الخادم الصائفة فبلغ حصنا يقال له سلند فنصب عليه المجانيق، و أشرف على فتحه فجاءه حجر من الحصن فقتله، فارتحلوا به و فيه رمق فمات فى الطريق فى رجب، فحمل على الأكتاف الى طرسوس فدفن بها، و كان شجاعا جوادا رضى اللّه عنه. و فيها توفى ديك الجنّ الشاعر المشهور و اسمه عبد السلام ابن رغبان بن عبد السلام، و سمّى ديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين، و كان قبيح المنظر [و كان شاعرا] فصيحا، عاصر أبا تمّام الطائىّ، و كان أبو تمام يعترف له بالفضل، و هو من شعراء الدولة العباسيّة، و كان يتشيّع، و كان له غلام كالبدر و جارية أحسن منه، و كان يهواهما جميعا، فدخل يوما منزله فوجدهما متعانقين و الجارية تقبّل الغلام، فشدّ عليهما فقتلهما ثم رثاهما بعد ذلك و حزن عليهما حزنا شديدا، و تنغّص عيشه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۷۹

بعدهما الى أن مات. و شعر ديك الجنّ مشهور. و فيها توفى أبو أحمد طلحة، و قيل:

محمد ابن الخليفة المتوكل على اللّه جعفر ابن الخليفة المعتصم محمد ابن الخليفة الرشيد هارون، كان لقبه الموفّق ثم لقّب بعد قتل الزّنجىّ الناصر لدين اللّه، كان يخطب له على المنابر بعد أخيه الخليفة المعتمد، و كان يقول الخطيب: اللهم أصلح الأمير الناصر لدينك أبا أحمد الموفّق باللّه ولىّ عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين، و كانت أمّ الموفق أمّ ولد يقال لها إسحاق؛ و كان الموفّق من أجلّ الملوك رأيا و أسمحهم نفسا و أحسنهم تدبيرا، كان أخوه المعتمد قد جعله ولىّ عهده بعد ولده جعفر المفوّض فغلب الموفّق على الأمر حتى صار أخوه الخليفة المعتمد معه كالمحجور عليه؛ و مات الموفّق فى حياة أخيه المعتمد فبايع المعتمد ابن الموفّق أبا العباس و لقّبه بالمعتضد، و جعله ولىّ عهده بعد ابنه المفوّض كما كان أبوه الموفّق، و ظنّ المعتمد أنه استراح من الموفّق فعظم أمر المعتضد أضعاف ما كان عليه الموفّق، حتى إنه خلع المفوّض من ولاية العهد و صار ولىّ عهد عمّه المعتمد؛ و تولّى الخلافة بعده، و كان الموفّق قد حبس ابنه أبا العباس المعتضد هذا لشدّة بأسه فلما احتضر الموفّق، أو فى حال مرضه، أخرج الجند المعتضد المذكور من حبسه بغير رضا أبيه، ثم مات بعد أيام فى يوم الأربعاء ثانى عشر من صفر، و كان من أجلّ ملوك بنى العبّاس.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و سبع عشرة إصبعا، مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۸۰

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۷۹]

السنة التاسعة من ولاية خمارويه على مصر، و هى سنة تسع و سبعين و مائتين- فيها عظم أمر المعتضد بتقديمه فى ولاية العهد على جعفر المفوّض، فإن الخليفة المعتمد خلع ولده و قدّم ابن أخيه المعتضد هذا على ولده المفوّض المذكور؛ و أظنّ ذلك كان لقوّة شوكة المعتضد، ثم فوّض المعتمد لابن أخيه المعتضد ما كان لأبيه الموفّق من الأمر و النهى و كتب بذلك الى الآفاق؛ ثم أمر المعتضد ألّا يقعد على الطريق ببغداد و لا فى المسجد الجامع قاصّ و لا صاحب نجوم، و حلّف باعة الكتب ألّا يبيعوا كتب الفلاسفة و الجدل و نحو ذلك، و لما قدّم الخليفة [المعتمد] المعتضد هذا على ولده قدّم له المعتضد ثيابا بمائتى ألف درهم و حمل الى ابن عمّه المفوّض ثيابا بمائة ألف درهم، و طابت نفوسهما فلم يكن بعد ذلك إلا أيام و مات الخليفة المعتمد؛ و تولّى المعتضد الخلافة بعد عمّه المعتمد فى صبيحة يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رجب. و فيها أرسل خمارويه الى المعتضد مع ابن الجصّاص هدايا و تحفا و أموالا كثيرة و سأله أن يزوّج ابنه المكتفى ببنته قطر النّدى؛ فقال المعتضد: بل أنا أتزوّجها فتزوّجها. و قد سقنا حكاية زواجها فى ترجمة أبيها خمارويه.

و فيها فتح أحمد بن عيسى بن الشّيخ قلعة ماردين و كانت مع محمد بن إسحاق بن كنداج. و فيها صلّى المعتضد بالناس صلاة الأضحى فكبّر فى الأولى ستّ تكبيرات

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۸۱

و فى الثانية واحدة، و لم تسمع منه خطبة. و فيها توفّى محمد بن عيسى بن سورة الإمام الحافظ أبو عيسى التّرمذىّ مصنّف الجامع و العلل و الشمائل و غيرها، و كانت وفاته فى شهر رجب، و قد روينا كتابه الجامع سماعا على الشيخين علاء الدين علىّ بن بردس البعلبكّى و شهاب الدين أحمد [المشهور با] بن ناظر الصاحبيّة، بسماع الأوّل عن أبى حفص ابن أميلة و إجازة الثانى من أحمد بن محمد بن أحمد بن الجوخى؛ قالا أخبرنا أبو الحسن علىّ بن البخارى [وا] بن أميلة- الأوّل سماعا و الثانى إجازة- أخبرنا أبو حفص ابن طبرزذ أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبى [القاسم عبد اللّه بن أبى] سهل [القاسم بن أبى منصور] الكروخىّ أخبرنا أبو عامر محمود بن القاسم الأزدى و أبو بكر أحمد بن عبد الصمد الغورجىّ و أبو نصر عبد العزيز بن محمد التّرياقىّ سماعا عليهم سوى الترياقىّ، فمن أوّله الى مناقب ابن عباس قال الكروخىّ، و أخبرنا من مناقب ابن عباس الى آخر الكتاب عبد اللّه بن على بن يس الدهّان، قالوا أخبرنا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۸۲

أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجرّاحى أخبرنا أبو العبّاس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبى أخبرنا الإمام الحافظ أبو عيسى التّرمذىّ؛ و روينا أيضا كتابه الشمائل سماعا على الشيخين المذكورين بسماع الأوّل من المسند صلاح الدين محمد [بن أحمد] بن أبى عمر المقدسىّ و إجازة الثانى من ابن الجوخى، قالا- أخبرنا ابن البخارىّ الأوّل سماعا و الثانى إجازة أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندىّ أخبرنا أبو شجاع البسطامىّ، أخبرنا أبو القاسم البلخىّ أخبرنا أبو القاسم الخزاعىّ أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشىّ أخبرنا أبو عيسى التّرمذىّ. و فيها حجّ بالناس هارون بن محمد الهاشمىّ و هى آخر حجّة حجّها بالناس، و كان قد حجّ بالناس ستّ عشرة حجّة أوّلها سنة أربع و ستين و مائتين الى هذه السنة. و فيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين المعتمد على اللّه أبو العبّاس أحمد ابن الخليفة المتوكل على اللّه جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة المهدىّ محمد ابن الخليفة أبى جعفر المنصور بن محمد بن على بن عبد اللّه بن العبّاس الهاشمىّ العباسىّ فى ليلة الاثنين تاسع عشر شهر رجب فجأة ببغداد،

فحمل و دفن بسرّمن‌رأى؛ و مولده سنة تسع و عشرين و مائتين بسرّمن‌رأى، و أمّه أمّ ولد رومية اسمها فتيان، و فى موته أقوال كثيرة، منهم من قال: إنه اغتيل بالسمّ، و منهم من قال: إنه خنق، و قيل غير ذلك؛ و كانت خلافته ثلاثا و عشرين سنة و ثلاثة أيّام، و كان فيها كالمحجور عليه مع أخيه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۸۳

الموفّق، فإنه كان منهمكا فى اللذّات، فولّى أخاه الموفّق أمر الناس فقوى عليه و انقهر المعتمد معه الى أن مات قهرا منه و من ولده المعتضد؛ و تولّى الخلافة من بعده المعتضد ابن أخيه الموفّق المذكور. و فيها توفّى أحمد بن أبى خيثمة زهير بن حرب ابن شدّاد النّسائىّ الأصل، كان عالما حافظا ذا فنون بصيرا بأيام الناس راوية للآداب؛ أخذ علم الحديث عن الإمام أحمد بن حنبل و عن يحيى بن معين، و علم النسب عن مصعب الزّبيرىّ، و أيام الناس عن أبى الحسن المدائنىّ؛ و صنّف التاريخ فأكثر فوائده و مات فى جمادى الأولى. و فيها توفّى أحمد بن عبد الرّحمن بن مرزوق أبو عبد اللّه البزورىّ البغدادىّ و يعرف بابن أبى عوف، كان إماما عالما محدّثا ثقة نبيلا. و فيها توفّى أحمد بن يحيى بن جابر أبو بكر و قيل أبو جعفر و قيل أبو الحسن البلاذرىّ، الكاتب البغدادىّ صاحب التاريخ، و كان أديبا مدح المأمون و جالس المتوكّل و سمع هشام بن عمّار و غيره و روى عنه جمّ غفير. و فيها توفى نصر بن أحمد ابن أسد بن سامان، كان سامان مع أبى مسلم الخراسانىّ صاحب الدعوة و كان ينسب الى الأكاسرة، فمات سامان و بقى ابنه أسد. و توفّى أسد فى خلافة الرشيد و خلّف ابنه نوحا و أحمد و يحيى و إلياس، فولى أحمد بن أسد فرغانة، و نوح سمرقند،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۸۴

و يحيى الشاش و أشروسنة، و ولى إلياس هراة؛ و كان أحمد والد نصر هذا أحسنهم سيرة، و مات فى أيام عبد اللّه بن طاهر بن الحسين، و خلّف سبعة بنين، منهم نصر ابن أحمد هذا، فولّى نصر ولايات أبيه مثل سمرقند و الشاش و فرغانة، و ولّى أخوه إسماعيل بخارى و أعمالها؛ و هؤلاء يسمّون السامانيّة و هم عدّة ملوك، و لهذا أوضحنا أصلهم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و إصبع و نصف، مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ستّ عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۰]

السنة العاشرة من ولاية خمارويه على مصر، و هى سنة ثمانين و مائتين- فيها فتح محمد بن أبى السّاج مراغة بعد حصار طويل و أخذ منها مالا كثيرا. و فيها غزا إسماعيل بن أحمد بلاد الترك من وراء النهر و أسر ملكها و زوجته و أسر عشرة آلاف و قتل مثلهم. و فيها شكا الناس إلى الخليفة المعتضد ما يقاسون

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۸۵

من عقبة حلوان من المشقّة، فبعث عشرين ألف دينار فأصلحها. و فيها بنى المعتضد القصر الحسنىّ الذى صار دار الخلافة ببغداد الى آخر وقت؛ و تحوّل إليه المعتضد و سكنه. و فيها حج بالناس محمد بن عبد اللّه بن محمد العباسىّ. و فيها توفى جعفر المفوّض ابن الخليفة المعتمد على اللّه أحمد فى شهر ربيع الآخر، و كان محبوسا فى دار المعتضد لا يراه أحد، و قيل: إنّ المعتضد ندمه فى خلوته و صار يكرمه. و فيها توفى عثمان بن سعيد بن خالد الحافظ أبو سعيد الدّارمىّ نزيل هراة، رحل الى الأمصار و لقى الشيوخ و جالس الإمام أحمد بن حنبل و ابن معين و الحفّاظ، حتى قالوا: ما رأينا مثله و لا رأى هو مثل نفسه، و كان لا يحدّث من يقول بخلق القرآن.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ثمانى أصابع، مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۸۶

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۱]

السنة الحادية عشرة من ولاية خمارويه على مصر، و هى سنة إحدى و ثمانين و مائتين- فيها أرسل خمارويه طغج بن جفّ الى غزو الروم فتوجّه من طرسوس حتى بلغ طرابزون و فتح ملورية فى جمادى الآخرة. و فيها غارت المياه بالرّىّ و طبرستان فصار الماء يباع ثلاثة أرطال بدرهم، و غلت الأسعار و قحط الناس و أكل بعضهم بعضا، حتى أكل رجل ابنته. و فيها توفى ابن أبى الدّنيا و اسمه عبد اللّه بن محمد أبو بكر القرشىّ البغدادىّ مولى بنى أميّة، ولد سنة ثمان و مائتين، و كان مؤدّبا لجماعة من أولاد الخلفاء منهم المعتضد و ابنه المكتفى، و كان عالما زاهدا ورعا عابدا و له التصانيف الحسان، و الناس بعده عيال عليه فى الفنون التى جمعها، و روى عنه خلق كثير، و اتفقوا على ثقته و صدقه و أمانته. و فيها توفى أبو بكر عبد اللّه بن محمد بن النعمان الأصبهانىّ الإمام المتقن.

و فيها توفى الإمام الفقيه محمد بن إبراهيم بن الموّاز المالكىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء، مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و عشر أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۲]

اشارة

السنة الثانية عشرة من ولاية خمارويه على مصر- فيها مات- و هى سنة اثنتين و ثمانين و مائتين- فيها فى المحرّم أمر المعتضد بتغيير نوروز العجم الذى هو افتتاح الخراج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۸۷

و أخّره إلى حادى عشر حزيران و سمّاه النّوروز المعتضدىّ، و قصد بذلك الرّفق بالرعيّة، و منع الناس ما كانوا يعملونه فى كل سنة من إيقاد النّيران و صبّ الماء على الناس، فكان ذلك من أحسن أفعال المعتضد. و فيها لليلتين خلتا من المحرّم قدم ابن الجصّاص بقطر النّدى بنت خمارويه صاحب الترجمة إلى بغداد فأنزلت فى دار صاعد، و كان المعتضد غائبا بالموصل، فلمّا سمع بقدومها عاد الى بغداد و دخل بها فى خامس شهر ربيع الأوّل بعد أن عمل لها مهمّا يتجاوز الوصف. و فيها قتل خمارويه صاحب الترجمة و قد نقدّم ذكر مقتله فى ترجمته. و فيها توفى عبد الرّحمن ابن عمرو بن عبد اللّه بن صفوان بن عمرو الحافظ أبو زرعة النّصرىّ الدّمشقىّ، كان من أئمة الحفّاظ، رحل إلى البلاد و كتب الكثير حتى صار شيخ الشام و إمام وقته، و كتب عنه خلائق؛ و كانت وفاته بدمشق فى جمادى الآخرة. و فيها توفى محمد ابن الخليفة جعفر المتوكّل عمّ المعتضد، و كان فاضلا شاعرا و هو القائل لمّا أراد أخوه المعتمد الخروج إلى الشام و الدنيا مضطربة:

أقول له عند توديعه و كلّ بعبرته مبلس

لئن بعدت عنك أجسامنا لقد سافرت معك الأنفس

و فيها توفى محمد بن عبد الرّحمن بن محمد بن عمارة بن القعقاع أبو قبيصة الضّبّىّ كان صالحا عابدا مجتهدا سمع من سليمان و غيره، روى عنه جماعة كثيرة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء مثل الماضية، مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعا و اثنتان و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۸۸

ذكر ولاية أبى العساكر جيش على مصر

هو أبو العساكر جيش بن أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون. ولى مصر و الشام بعد قتل أبيه خمارويه بدمشق فى يوم سابع عشر ذى القعدة سنة اثنتين و ثمانين و مائتين، فأقام بدمشق أيّاما ثم عاد الى ديار مصر، و دام بها الى أن وقع منه أمور أنكرت عليه فاستوحش الناس منه؛ و كان لمّا مات أبوه تقاعد عن مبايعته جماعة من كبار القوّاد لقلّة المال و عجزه عن أن ينعم عليهم لأن أبا الجيش خمارويه كان أنفق فى جهاز ابنته قطر الندى لما زوّجها للخليفة المعتضد جميع ما كان فى خزائنه، و مات بعد ذلك بمدّة يسيرة. قال بعضهم: فمات حقّا حين حاجته إلى الموت، لأنه لو عاش أكثر من هذا حتى يلتمس ما كانت جرت عادته به لاستصعب ذلك عليه، و لو نزلت به ملمّة لافتضح. انتهى.

و لّما تقاعد كبار القوّاد عن بيعة جيش تلطّف بعض القوّاد فى أمره حتى تمّت البيعة، و بايعوه و هو صبىّ لم يؤدّبه الزمان، و لا محنه التجارب و العرفان؛ و قد قيل: «بعيد نجيب ابن نجيب من نجيب».

فلما تمّ أمر جيش المذكور أقبل على الشّرب و اللهو مع عامّة أوباش، منهم:

غلام رومىّ لا وزن له و لا قيمة يعرف ببندقوش، و رجلان من عامّة العيّارين الذين يحملون الحجارة الثّقال و العمد الحديد و يعانون الصّراع، أحدهما يعرف بخضر، و الثانى يعرف بابن البوّاش، و غير هؤلاء من غلمان لم يكن لهم حال، جعلهم بطانته؛ فأوّل شىء حسّنوه له أن وثّبوه على عمّه أبى العشائر، فقالوا له: هذا يرى نفسه أنه هو

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۸۹

الذى ردّ الدولة يوم الطواحين لمّا انهزم أبوك، و كان يقرّع أباك بهزيمته يومئذ و يذيع ذلك عند خاصّته. و يقولون أيضا: إنه هو الذى همّ بالوثوب حتى صنع أهل برقة فيه ما صنعوا، و يتلفّت الى أهل برقة و يرى أنهم أعداؤه، و يتربّص بهم أن تدول له دولة فيأخذ بثأره منهم، فهو يتلمّظ إلى الدولة و الى ما فى نفسه مما ذكرناه و المنايا تتلمّظ إليه كما قال الشاعر:

تلمّظ السيف من شوق إلى أنس و الموت يلحظ و الأقدار تنتظر

فعند ذلك قبض عليه جيش هذا ودسّ إليه من قتله، ثم قال عنه: إنه مات حتف أنفه؛ و تحقّق الناس قتله فنفرت القلوب عنه أيضا، لكونه قتله بغيا عليه و تعدّيا. ثم اشتغل بعد ذلك جيش بهذه الطائفة المذكورة عن حقوق قوّاد أبيه و عن أحوال الرعيّة، و كانت القوّاد أمراء شدادا يرون أنفسهم بعينها فى التقديم و الرياسة و الشجاعة، و إنما كان قيّدهم أبوه خمارويه بجميل أفعاله و كريم مقدّماته اليهم و لسعة الإفضال عليهم، و هم مثل خاقان المفلحى، و محمد بن إسحاق بن كنداج،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۹۰

و وصيف بن سوار تكين، و بندقة بن لمجور، و أخيه محمد بن لمجور، و ابن قراطغان، و من أشبههم. ثم انتقل من هذا إلى أن صار إذا أخذ منه النبيذ يقول لطائفته التى ذكرناها واحدا بعد واحد: غدا أقلّدك موضع فلان و أهب لك داره و أسوّغك نعمته، فأنت أحقّ من هؤلاء الكلاب؛ كلّ ذلك و مجالسه تنقل إليهم. فعند ذلك بسط القوّاد ألسنتهم فيه، و شكا القوّاد بعضهم إلى بعض ما يلقونه منه، فقالوا:

نفتك به و لا نصبر له على مثل هذا، و بلغه الخبر فلم يكتمه و لم يتلاف القضيّة و لا شاور من يدلّه على مداواة أمره، بل أعلن بما بلغه عنهم و توعّدهم، و قال:

لأطلقنّ الرجّالة عليهم و لأفعلنّ بهم؛ فاتصلت بهم مقالته فاعتزل من عسكره كبار القوّاد من الذين سمّيناهم، مثل ابن كنداج و طبقته، و خرجوا فى خاصّة غلمانهم و هى زهاء ثلثمائة غلام، و ساروا على طريق أيلة و ركبوا جبل الشّراة حتى وصلوا إلى الكوفة، بعد أن نالهم فى طريقهم كدّ شديد و مشقّة، و كادوا أن يهلكوا عطشا، و اتصلت أخبارهم بالخليفة المعتضد ببغداد فوجّه إليهم بالزاد و الميرة و الدوابّ، و بعث إليهم من يتلقّاهم و قبلهم أحسن قبول و أجزل جوائزهم و ضاعف أرزاقهم، و خلع عليهم و صنع فى أمرهم كلّ جميل. و المعتضد هذا هو صهر جيش صاحب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۹۱

الترجمة و زوج أخته قطر النّدی المقدّم ذکرها فی ترجمة أبیها خمارویه. و استمرّ جیش هذا مع أوباشه بمصر، و بینما هو فی ذلک ورد علیه الخبر بخروج طغج بن جفّ أمیر دمشق عن طاعته، و خروج ابن طغان أمیر الثغور أیضا، و أنهما خلعاه جمیعا و أسقطا اسمه من الدعوة و الخطبة علی منابر أعمالهم، فلم یکر به ذلک و لا استشنعه و لا رئی له علی وجهه أثر. فلمّا رأی ذلک من بقی من غلمان أبیه بمصر مشی بعضهم إلی بعض و تشاوروا فی أمره، فاجتمعوا علی خلعه، و رکب بعضهم و هجم علیه غلام لأبیه خزریّ یقال له برمش، فقبض علیه و همّ بقتله ثم کفّ عنه؛ فلمّا کان من الغد اجتمع القوّاد فی مجلس من مجالس دار أبیه، و تذاکروا أفعاله و أحضروا معهم عدول البلد، و أعادوا لهم أخباره، و قالوا لهم: ما مثل هذا یقلّد شیئا من أمور المسلمین؛ و أحضروه لأن جماعة من غلمان أبیه- یعنی ممالیکه- قالوا: لا نقلّد غیره حتی یحضر و نسمع قوله، فإن وعد برجوع و تاب من فعله أمهلناه و جرّبناه، و إن أقرّ بعجزه عن حمل ما حمل و جعلنا فی حلّ من بیعته بایعنا غیره علی یقین و علی غیر إثم؛ فأحضروه فاعترف أنه یعجز عن القیام بتدبیر الدولة و أنه قد جعل من له فی عنقه بیعة فی حلّ، و عمل بذلک محضر شهد فیه عدول البلد و وجوهه و من حضر من القوّاد و الغلمان- أعنی الممالیک- و صرفوه؛ و کان قبل القبض علیه رکبوا إلی أبی جعفر ابن أبیّ و قالوا له: أنت خلیفة أبیه و کان ینبغی لک أن تؤدّبه و تسدّده؛ فقال لهم: قد تکلمت جهدی، و لکن لم یسمع منّی، و بعد فتقدّمونی إلیه فتسمعون ما أخاطبه به،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۹۲

فتقدّموه و رکب من داره فلما جاوز داره قلیلا لقیه برمش فضرب بیده علی شکیمة فرسه، و قال له: أنت خلیفة أبیه و خلیفته، و نصف ذنبه لک، و جرّه جرّا؛ و بینما هو فی ذلک إذ أقبل علیّ بن أحمد فقبض علی الآخر و قال له: أنت وزیره و کاتبه و علیک ذنبه، لأنه کان یجب علیک تقویمه و تعریفه ما یجب علیه، فصعد بالاثنین جمیعا الی المنظر و قعد معهما کالملازم، و بینهما هو علی ذلک إذ خطر علی قلبه شیء، فقام الی دابته وترکهما و مضی نحو باب المدینة، فوثب من فوره ابن أبیّ الی دابّته و رکبها و قال لعلیّ ابن أحمد: ارکب و الحقنی، و حرّک دابّته فإنه کان أحسّ الموت، ثم جاءه الخلاص من اللّه؛ و رکب بعده علیّ بن أحمد، فلم یتحاوز المنظر حتی لحقه طائفه من الرّجّالة فقتلوه؛ و مرّ ابن أبیّ إلی نحو المعافر فتکمّن هناک و اختفی؛ و عاد برمش فلم یجد ابن أبیّ، فمضی من فوره و هجم علی جیش و قبض علیه، حسبما ذکرناه من خلعه و حبسه. و ورّی جثّة علیّ بن أحمد؛ و سلم ابن أبیّ. فقال بعضهم فی علیّ بن أحمد:

أحسن الی الناس طرّا فأنت فیهم معان

و اعلم بأنک یوما کما تدین تدان

و قیل فی أمر جیش المذکور وجه آخر، و هو أنه لمّا وقع من أمر القوّاد ما وقع خرج أبو العساکر جیش الی متنزّه له بمنیة الأصبغ غیر مکترث بما وقع له، و بینما هو فی ذلک ورد علیه الخبر بوثوب الجند علیه، و قالوا له: لا نرضی بک أبدا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۹۳

فتنحّ عنّا حتی نولّی عمّک نصر بن أحمد بن طولون؛ فخرج الیهم کاتبه علیّ بن أحمد الماذرائیّ، الذی تقدّم ذکر قتله، و سألهم أن ینصرفوا عنه یومهم فانصرفوا؛ فقام جیش المذکور من وقته و دخل علی عمّه نصر و کان فی حبسه فضرب عنقه و عنق عمّه الآخر، و رمی برأسیهما الی الجند، و قال: خذوا أمیرکم؛ فلما رأوا ذلک هجموا علیه و قتلوه و قتلوا أمّه معه و نهبوا داره و أحرقوها و أقعدوا أخاه هارون بن خمارویه فی الإمرة مکانه. ثم طلب علیّ بن أحمد الماذرائیّ کاتبه المقدّم ذکره و قتلوه، و قتلوا أیضا بندقوش و ابن البواش، و نهبت دار جیش؛ قوقع فی أیدی الجند من نهبها ما یملأ قلوبهم و عیونهم، حتی إنّ بعضهم من کثرة ما حصل له ترک الجندیّة و سکن الریف، و صار من مزارعیه و تجّاره. و قال العلامة شمس الدین یوسف ابن قزأوغلی فی مرآة الزمان وجها آخر فی قتل جیش هذا، فقال: ولی إمرة دمشق بعد موت أبیه بمدّة یسیرة، ثم خرج الی مصر فی هذه السنة- یعنی سنة ثلاث و ثمانین و

مائتين- و استعمل على دمشق طغج بن جفّ؛ فلما دخل الى مصر لم يرض به أهلها، و قالوا: نريد أبا العشائر هارون؛ فوثب عليه هارون فقتله فى جمادى الآخرة، و كانت ولايته خمسة أشهر، و استولى على مصر.

قال ربيعة بن أحمد بن طولون: لما قتل أخى خمارويه و دخل ابنه جيش مصر قبض علىّ و على عمّيه نصر و شيبان ابنى أحمد بن طولون، و حبسهما فى حجرة معى فى الميدان، و كان كلّ يوم تأتينا المائدة عليها الطعام فكنّا نجتمع عليها؛ فجاءنا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۹۴

يوما خادم، فأخذ أخانا نصرا فأدخله بيتا، فأقام خمسة أيام لا يطعم و لا يشرب و الباب عليه مغلق؛ فدخل علينا ثلاثة من أصحاب جيش و قالوا: أمات أخوكما؟ فقلنا: لا ندرى، فدخلوا عليه البيت فرماه كلّ واحد منهم بسهم فى مقتل فقتلوه، و كانت ليلة الجمعة [فأخرجوه] ثم أغلقوا علينا الباب، و بقينا يوم الجمعة و يوم السبت لم يقدّم إلينا طعام، فظننا أنهم يسلكون بنا مسلك أخينا؛ فلما كان يوم الأحد سمعنا صراخا فى الدار، و فتح باب الحجرة علينا و أدخل علينا جيش بن خمارويه، فقلنا: ما حالك؟

فقال: غلبنى أخى هارون على البلد و تولّى الإمارة؛ فقلنا: الحمد للّه [الذى] قبض يدك و أضرع خدّك! فقال: ما كان عزمى إلا أن ألحقكما [بأخيكما]. ثم جاء الرسول و قال: الأمير هارون قد بعث اليكما بهذه المائدة، و كان فى عزم جيش أن يلحقكما بأخيكما نصر، فقوما إليه فاقتلاه و خذا بثأركما منه و انصرفا على أمان؛ قال: فلم نقتله و انصرفنا الى منازلنا، و بعث هارون خدما فقتلوه و كفينا أمر عدوّنا. انتهى كلام أبى المظفّر.

قلت: و كان خلع جيش لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث و ثمانين، و كانت ولايته ستة أشهر و اثنى عشر يوما، و قتل فى السجن بعد خلعه بأيام يسيرة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۳]

اشارة

السنة التى حكم فى أوّلها جيش بن خمارويه على مصر، على أنه حكم من الماضية شهرا و أياما، و هذه السنة سنة ثلاث و ثمانين و مائتين- فيها قدم رسول عمرو بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۹۵

الليث الصفّار على الخليفة المعتضد العباسىّ من خراسان بالهدايا و التّحف؛ و فيها مائتا جمل و مائتا حمارة؛ و من الطرائف شىء كثير، منها: صنم على خلقة امرأة كان قوم من الهند فى مدينة يقال لها "أيل شاه "كانوا يعبدونها. و فيها خرج جماعة من قوّاد مصر الى المعتضد، منهم محمد بن إسحاق و خاقان البلخىّ و بدر بن جفّ؛ و سبب قدومهم الى المعتضد أنهم كانوا أرادوا أن يقتلوا جيش بن خمارويه المذكور فسعى بهم إليه و كان راكبا [و كانوا] فى موكبه، و علموا أنه قد علم بهم، فخرجوا من وقتهم و سلكوا البرّيّة و تركوا أموالهم و أهاليهم، فتاهوا أيّاما و مات منهم جماعة من العطش، ثم خرجوا على طريق الكوفة؛ فبلغ [أمرهم] الخليفة المعتضد فأرسل اليهم الأطعمة و الدوابّ، ثم وصلوا بغداد فأكرمهم المعتضد و قرّبهم. و فيها توفّى إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم أبو إسحاق الثّقفىّ السّرّاج النيسابورىّ، كان الإمام أحمد بن حنبل يزوره فى منزله لزهده و ورعه. و فيها توفّى سهل بن عبد اللّه بن يونس أبو محمد التّسترىّ أحد المشايخ، و من أكابر القوم و المتكلّم فى علوم الإخلاص و الرياضات و كان كبير الشأن. و فيها توفّى صالح بن محمد بن عبد اللّه الشيخ أبو الفضل الشّيرازىّ البغدادىّ، كان رجلا صالحا، ختم القرآن أربعة آلاف مرة. و فيها توفّى عبد الرّحمن ابن يوسف بن سعيد بن خراش أبو محمد الحافظ البغدادى، أقام بنيسابور مدّة مستفيدا من محمد بن يحيى الذّهلىّ و غيره و سمع منه

جماعة، و کان أوحد زمانه و فرید عصره.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۹۶

و فیها توفّی علیّ بن العبّاس بن جریح أبو الحسن الشاعر المشهور المعروف بابن الرومی مولی عبید اللّه بن عیسی بن جعفر؛ کان فصیحا بلیغا، و هو أحد الشعراء المکثرین فی الغزل و المدح و الهجاء. قال صاحب المرآة: إنه مات فی هذه السنة.

و قال ابن خلّکان: توفّی لیلة الأربعاء للیلتین بقیتا من جمادی الأولی سنة ثلاث و ثمانین، و قیل: أربع و ثمانین، و قیل: سنة ستّ و سبعین. و هذه الأقوال أثبت من قول صاحب المرآة. انتهی. و من شعره و لم یسبق إلی هذا المعنی:

آراؤکم و وجوهکم و سیوفکم فی الحادثات إذا دجون نجوم

منها معالم للهدی و مصابح تجلو الدّجی و الأخریات رجوم

و له من قصیدة:

و إذا امرؤ مدح امرأ لنواله و أطال فیه فقد أراد هجاءه

و یحکی أنّ لائما لامه و قال له: لم لا تشبّه تشبیه ابن المعتز و أنت أشعر منه؟

قال له: أنشدنی شیئا من شعره أعجز عن مثله؛ فأنشده صفة الهلال:

فانظر إلیه کزورق من فضّة قد أثقلته حمولة من عنبر

فقال ابن الرومی: زدنی، فأنشده:

کأنّ آذریونها و الشمس فیه کالیه

مداهن من ذهب فیها بقایا غالیه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۹۷

فقال ابن الرّومی: وا غوثاه! لا یکلّف اللّه نفسا إلّا وسعها، ذلک إنما یصف ماعون بیته لأنه ابن الخلفاء، و أنا مشغول بالتصرّف فی الشعر و طلب الرزق به، أمدح هذا مرّة، و أهجو هذا کرّة، و أعاتب هذا تارة، و أستعطف هذا طورا. انتهی.

و فیها توفّی علیّ بن محمد بن عبد الملک بن أبی الشوارب الأمویّ البصریّ قاضی القضاة أبو الحسن، کان ولی القضاء بسرّمن‌رأی، و کان عالما عفیفا ثقة. و فیها توفّی الولید بن عبید بن یحیی [بن عبید] بن شملال، أبو عبادة الطائیّ البحتریّ الشاعر المشهور، أحد فحول الشعراء و صاحب الدیوان المعروف به، کان حامل لواء الشعر فی عصره، مدح الخلفاء و الوزراء و الملوک، و أصله من أهل منبج و قدم دمشق صحبة المتوکّل، و وصل الی مصر الی خمارویه. حکی أن المتوکّل قال له یوما: یا بحتریّ، قل فی راح بیت شعر و لا تصرح باسمه؛ فقال:

جاز بالودّ فتی أم سی رهینا بک مدنف

اسم من أهواه فی شعری مقلوب مصحّف

و من شعره فی المتوکّل أیضا من قصیدة:

فلو انّ مشتاقا تکلّف غیر ما فی وسعه لسعی الیک المنبر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۹۸

فلمّا تخلف المستعین قال: لا أقبل إلا ممّن قال مثل هذا؛ قال أبو جعفر أحمد بن یحیی البلاذریّ فأنشدته:

و لو أنّ برد المصطفی إذ لبسته یظنّ لظنّ البرد أنک صاحبه

و قال و قد أعطیته و لبسته نعم هذه أعطافه و مناکبه

و له:

شكرتك إنّ الشكر للعبد نعمة و من شكر المعروف فاللّه زائده

لكل زمان واحد يقتدى به و هذا زمان أنت لا شك واحده

الذين ذكر الذهبىّ و فاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى سهل بن عبد اللّه التّسترىّ الزاهد، و العباس بن الفضل الأسفاطىّ، و على بن محمد بن عبد الملك ابن أبى الشوارب القاضى، و محمد بن سليمان الباغندى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع و إصبعان، مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا.

ذكر ولاية هارون بن خمارويه على مصر

هو الأمير أبو موسى هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون التركىّ الأصل المصرىّ المولد. ولى مصر بعد قتل أخيه جيش بن خمارويه فى اليوم العاشر من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۹۹

جمادى الآخرة سنة ثلاث و ثمانين و مائتين، و تمّ أمره و كانت بيعته من غير عطاء للجند، و هو من الغرائب، و بايعوه طوعا أرسالا و لم يمتنع عليه أحد، و جعلوا أبا جعفر ابن أبّى خليفته و المؤيّد لأمره و لتدبيره؛ و سكنت ثائرة الحرب و قرّ قرار الناس و قتل غالب أصحاب جيش و لم يسلم منهم إلا عبد اللّه بن الفتح، و استتر أبو عبد اللّه القاضى خوفا من مثل مصرع على بن أحمد لأنه يعلم ما كان له فى نفوس الناس، و ما ظهر إلا فى اليوم الذى دخل فيه محمد بن سليمان البلد، و قلّد القضاء بعده أبو زرعة محمد بن عثمان من أهل دمشق، و أخرج جيش بعد أيام أمر أبو جعفر بن أبّى ربيعة بن أحمد بن طولون أن يخرج الى الإسكندرية فيسكنها هو و ولده و حريمه و يبعد عن الحضرة، فتوجّه الى الإسكندرية و أقام بها على أجمل وجه الى أن حرّكه أجله، و كاتبه قوم و وثّبوه و قالوا له: أنت رجل كامل مكمّل التدبير، و قد تقلّدت البلدان و أحسنت سياستها، و لو كشفت وجهك لتبعك أكثر الجيش؛ فأطاعهم و أقبل ركضا فسبق من كان معه، فلم يشعر الناس به إلا و هو بالجبل المقطم وحده و معه غلام له نوبىّ و بيده مطرد ينشد الناس لنفسه و يدعوهم إلى ما كاتبوه؛ و اتّصل خبره بابن أبّى فبعث النقباء الى الناس و أمرهم بالركوب، فركب الناس و أقبلوا يهرعون من كلّ جانب. و نزل ربيعة مدلّا بنفسه و كان من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۰۰

الفرسان طمعا فيمن بقى له ممّن كاتبه، فلم يأته أحد و سار وحده و فرّ عنه من كان معه أيضا، و بقى كاللّيث يحمل على قطعة قطعة فينقضها و تنهزم منه، حتى برز له غلام أسود خصىّ يعرف بصندل المزاحمى- مولى مزاحم بن خاقان الذى كان أميرا على مصر، و قد تقدّم ذكره- فحمل عليه ربيعة فرمى صندل بنفسه الى الأرض و قال له:

بتربة الماضى، فكفّ عنه و قال له: امض الى لعنة اللّه، ثم برز إليه غلام آخر يعرف بأحمد غلام الكفتىّ- و الكفتىّ أيضا كان من جملة قوّادهم- فحمل عليه ربيعة فقتله، و أقبل ربيعة يحمل على الناس ميمنة و ميسرة و يحملون عليه بأجمعهم فيكدّونه و يردّونه الى الصحراء ثم يرجع عليهم فيردّهم الى موضعهم؛ فلم يزل هذا دأبه الى الزوال فتقطّر عن فرسه فأكبّوا عليه و رموا بأنفسهم عليه حتى أخذوه مقانصة فاعتقل يومه ذلك؛ فلما كان من الغد أمر أن يضرب مائة سوط و وكّل به الكفتىّ القائد ليأخذه بثأر غلامه، فكان الكفتىّ يحضّ الجلّادين و يصيح عليهم و يأمرهم بأن يوجعوا ضربه حتى استرخى، و قيل: إنه مات، فقال الكفتىّ: هيهات! لجم البقر لا ينضج سريعا! فضرب أسواطا بعد موته ثم أمر به فدفن فى حجرة بقرب من بئر الجلودىّ و منع أن يدفن مع أهله. فلما كان من غد يوم دفنه بلغ سودان أبيه أن الكفتىّ قال: لحم البقر لا ينضج سريعا، و أنه ضربه بعد أن مات أسواطا، فغاظهم ذلك و حرّكهم عليه و زحفوا الى داره، و بلغه الخبر فتنحّى عنها، فجاءوا داره فلم يجدوه فنهبوا داره و لم يكن له علم بذلك، فأخذوا منها شيئا كثيرا حتى تركت حرمته عريانة فى البيت لا يواريها شىء، و رجع الكفتىّ الى داره فرأى نعمته قد سلبت و حرمته قد هتكت، فدخل قلبه من ذلك حسرة

فمات كمدا بعد أيام.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۰۱

و ثبت ملك هارون هذا و هو صبىّ يدبّر و لا يحسن [أن] يدبّر، و الأمر كلّه مردود الى أبى جعفر بن أبىّ يدبّر كما يرى. فلما رأى غلمان أبيه الكبار الأمر كلّه لأبى جعفر، و هم بدر و فائق و صافى. قبض كلّ منهم على قطعة من الجيش و حازها لنفسه و جعلها مضافة له يطالب عنهم ما يستحقّونه من رزق و جراية و غيرها، و سأل أن يكون ما لهم محمولا الى داره يتولّى هو عطاءهم، فصار عطاء كل طائفة من الجند الى دار الذى صارت فى جملته و صاروا له كالغلمان. ثم خرج بدر القائد و الحسن بن أحمد الماذرائىّ الى الشأم فأصلحوا أمرها، و استخلفوا على دمشق من قبل هارون المذكور الأمير طغج؛ ابن جفّ، و قرّروا جميع أعمال الشامات ثم عادوا الى مصر. ثم حجّ بدر المذكور فى السنة و أظهر زيّا حسنا و أنفق نفقة كثيرة و أصلح من عقبة أيلة جرفا كبيرا.

و لمّا كان فى السنة المقبلة حجّ فائق فزاد فى زيّه و نفقاته على كلّ ما فعله بدر؛ و كان دأبهم المنافسة فى حسن الزّىّ و بسط اليد بالإنفاق فى وجوه البرّ. و بنى بدر الميضأة المعروفة به على باب الجامع العتيق، و وقف عليها القيسارية الملاصقة لها، و جعل مع الميضأة ماء عذبا فى كيزان توضع فى حلقة من حلق المسجد؛ و كان صاحب صدقات بدر رجل يعرف بالليث بن داود، فكان الشخص يرى المساكين زمرا زمرا يتلو بعضهم بعضا ينادون فى الطريق: دار الليث، دار الليث! فيعطيهم الليث الدراهم و اللحم المطبوخ و يكسوهم فى الشتاء الجباب الصوف و يفرّق فيهم الأكسية؛ و تمّ ذلك أيام حياة بدر كلّها؛ و كان لصافى و فائق أيضا أعمال مثل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۰۲

ذلك و أكثر. قال محمد بن عاصم العمرىّ- و كان من علماء الناس- قال:

صرت الى مصر فلم يحتف بى أحد غير أبى موسى هارون بن محمد العباسىّ، فصار يحضر لى مائدة و يباسطنى فى محادثته، و حملنى ذلك على أن استحييته، فقال لى:

أنا أعرف بصدقك فيما ذكرت و ليس يرضينى لك ما ترى، لأن [هذه] أشياء تقصر عن مرادى، و لكنى سأقع لك على موضع يرضيك و يرضينى فيك؛ و دام على ذلك مدّة لا يقطع عنّى عادته؛ الى أن توفّى لها رون صاحب مصر ولد صغير، فبادر هارون بإخراجه و الصلاة عليه و صرنا به الى الصحراء، فما وضع عن أعناق حامليه حتى أقبل موكب عظيم فيه بدر و فائق و صافى موالى أبى الجيش خمارويه، و محمد بن أبّى و جماعة، فقالوا: نصلّى عليه؛ فقال هارون: قد صلّيت عليه؛ فقالوا: لا بدّ أن نصلّى عليه؛ فقال هارون بن محمد العباسىّ: ادعوا الىّ محمد بن عاصم العمرىّ، و كنت فى أخريات الناس، فلم يزالوا قياما ينتظرونني حتى أتيت؛ فقال لى: صلّ بهم، فصلّيت بهم؛ و انصرفنا؛ فلمّا كان بعد يومين قال لى: قد عرّفت بك هؤلاء القوم فامض اليهم فإنّك تنال أجرا كبيرا؛ قال: فصرت الى أبوابهم و سلّمت عليهم، فلم يمض أقلّ من شهر حتى نالنى منهم مال كثير و حسنت حالى الى الغاية، ثم ذكر عن هؤلاء القوم من هذه الأشياء نبذا كثيرة.

و أمّا أمر هارون صاحب الترجمة فانه لمّا تمّ أمره صار أبو جعفر بن أبىّ هو مدبّر مملكته، و كان أبو جعفر عنده دهاء و مكر فبقى فى قلبه [أثر] مما فعله برمش

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۰۳

من يوم خلع جيش و قتل علىّ بن أحمد، و كان من القوّاد رجل يعرف بسمجور قد قلّد حجابة هارون، فبسط لسانه فى ابن أبّى المذكور و حرّك عليه القوّاد؛ و بلغ ذلك ابن أبّى فقال لهارون: احذر سمجور هذا، و هارون صبىّ فلم يتحمّل ذلك؛ و دخل القوّاد فى شهر رمضان يفطرون عنده و كان سمجور فيهم؛ فلما نجز أمرهم و خرجوا استقعد سمجور و قال له: يا سمجور، أنت مدسوس إلىّ و أنا مدسوس اليك و تريد كيت و كيت، و غمز غلمانه عليه فقبضوا عليه و اعتقله فى خزانة من خزائنه فكان ذلك آخر العهد به. و أما برمش فانّ أبا جعفر بن أبىّ خلا به و قال له: ويحك! ألا ترى ما نحن فيه مع هؤلاء القوم! انقلبت الدولة روميّة ما لنا معهم أمر و لا

نهى.

و كان برمش خزريّا أحمق، فبسط لسانه فى بدر و غيره من الأروام، فنقل اليهم.

و كان بـدر أخلاقه كريمة، و كان من أحسن خلقه أنّ الرجل إذا قبّل فخذه يقبّل هو رأس الرجل؛ فدسّ له برمش غلاما فوقف له على الباب، فلمّا خرج بـدر أقبل عليه الغلام و قبّل فخذه فانكبّ بدر على رأسه، فضـربه الغلام فى رأسه فشـجّه، و قبض على الغلام الأسود، فقال: دسّـنى برمش؛ فغضب له الناس و ركبوا قاصدين دار برمش، فعرف برمش الأمر فركب لحماقته و أمر غلمانه و حواشيه فركبوا و خرجوا الى الموضع المعروف ببئر برمش، و كـان هو الـذى احتفرهـا و بناهـا و صفّ هناك مماليكه؛ فركب فى الحال ابن أبّى لما فى نفسه من برمش قديما و قد تمّ له ما دبّره عليه، و قال لهارون: هذا غلامك برمش قد خرج عليك فأرسل بالقبض عليه، ثم قال:

الصواب أن تخرج بنفسك إليه فى مماليكك و تبادر الأمر قبل أن يتّسع و يعسـر أمره؛ فركب هارون فى دسـته فلم يبق أحد إلا ركب بركوبه؛ فلما رأى برمش ذلك تأهب لقتالهم و أخذ قوسه و بادر أن يرمى به؛ فقالوا له: مولاك، و يلك!

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۰۴

مولاك الأمير! فقال: أرونى إن كان هو مولاى لم أقاتله، و إن كان هؤلاء الأروام أقاتلهم كلّهم و نموت جميعا: فلما رأى الأمير هارون رمى بنفسه عن دابّته إلى الأرض، فغمز ابن أبىّ الرّجّالة عليه فتعاوروه بأسيافهم حتى قتل، و نهبت داره؛ و رجع هارون إلى دار الإمارة. ثم بعـد مدّة قدّم هارون القائد لحجا و كان من أصاغر القوّاد لأبى الجيش خمارويه، و بلّغه مراتب غلمان أبيه الكبار. فغاظ ذلك بدرا و صافيا و فائقا لأنهم كانوا يرون تفوسـهم أحقّ بـذلك منه، ثم بعـد ذلك نفى هارون صافيا الى الرملـة فتأكّدت الوحشـة بينهم و بين هارون؛ و بينما هم فى ذلك أتاهم الخبر أنّ رجلا يزعم أنه علوىّ قـد ظهر بالشأم فى طائفة من الناس، فعاث أوّلا بنواحى الرّقّة ثم قدم الشـأم، فاتصـل خبره بطغـج بن جفّ و هو يومئـذ أمير دمشق، فتهاون به و ركب إليه، و هو يظن أنه من بعض الأعراب، بغير أهبـة و لا عـدّة، و معه البزاة و الصّقورة كـأنه خارج الى الصـيد؛ فلما صافّه لقيه رجلا متلهفا على الشـرّ لما تقـدّم له من الظفر بجماعـة من أعيان الملوك، فقاتله طغـج فانهزم منه أقبـح هزيمـة و نهبت عساكره، و عاد طغج إلى دمشق مكسورا؛ فدخل قلوب الشاميّين منه فزع شديد؛ فكتب طغـج إلى هـارون هـذا يسـتمدّه على قتـاله؛ فأخرج إليه هارون بـدرا الحمّامىّ و جماعـة من القوّاد فى جيش كثيف فساروا الى الشأم و التقوا مع الخارجىّ المذكور،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۰۵

و قـد لقّب بـالقرمطىّ، و كـان من أصـحاب بـدر رجل يقال له زهير، فحلف زهير المـذكور بالطلاق إنه متى وقع بصـره على القرمطىّ ليرمينّ بنفسه عليه و ليقصدنّه حيث كان؛ فلما تصافّ العسـكران سأل زهير المذكور عن القرمطىّ، فقيل له: هو الراكب على الجمل، و له كمّان طويلان يشير بهما، فحيث أومأ بكمّة حملت عساكره؛ فقال زهير:

أرى على الجمل اثنين، أهو المقـدّم أم الرّديف؟ قالوا: بل هو الرديف؛ فجعل زهير يشقّ الصـفوف حتى وصل إليه فطعنه طعنـة و قطّره عن جمله صـريعا؛ فلما رآه أصـحابه مصـروعا حملوا على المصـريّين و الشاميّين حملـة واحـدة شديـدة هزموهم فيها و قتلوا منهم خلقا كثيرا، ثم أقـاموا عليهم أخا القرمطىّ و رأّسوه عليهم. و أقبل زهير المـذكور الى بـدر الحمّامىّ فقال له: قـد قتلت الرجل؛ فقال له بـدر: فـأين رأسه؟ فرجع ليأخـذ رأسه فقتـل زهير قبـل ذلـك؛ ثم كانت لهم بعـد ذلك وقائع كثيرة و القرمطىّ فيها هو الظافر، فقتل من قوّاد المصـريين و فرسانهم خلق كثير، و طالت مقاومته معهم حتى سـمع بذلك المكتفى الخليفة العباسـىّ و كان متيقّظا فى هذا الحال يرى الإنفاق فيه سـهلا و يقول: المبادرة فى هـذا أولى، فبادر بإرسال جيش كثيف نحوه، و جعل على الجيش محمد بن سـليمان الذى كان كاتبا للؤلؤ غلام أحمد بن طولون الآتى ذكره فى عدّة أماكن؛ و سار الجيش نحو البلاد الشاميّة؛ فلما أحسّ القرمطىّ بحركة محمد بن سليمـان المـذكور من العراق عـدل عن دمشق الى نواحى حمص؛ فقتـل منهم مقتلـة عظيمـة و سبى النسـاء و عاث فى تلك النواحى و عظم شأنه و كثر أعوانه و دعا لنفسه و خطب على المنابر باسمه و تسمّى بالمهدىّ؛ و كان له شامة زعم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۰۶

أصحابه أنها آيته، و زعم أنّه عبد اللّه بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علىّ زين العابدين بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب. و من شعره فى هذا المعنى قوله:

سبقت يداى يديه قصرته هاشمىّ المجيد

و أنا ابن أحمد لم أقل كذبا و لم به أستزيد

ثم بثّ القرمطىّ عمّاله فى البلاد و النواحى و كاتبهم و كاتبوه. فمن رسائله الى بعض عماله:

من عبد اللّه المهدىّ المنصور بالله، الناصر لدين اللّه، القائم بدين اللّه، الحاكم بحكم اللّه، الداعى لكتاب اللّه، الذابّ عن حرم اللّه، المختار من ولد رسول اللّه (صلى اللّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۰۷

عليه و سلم) أمير المؤمنين، و إمام المسلمين، و مذلّ المنافقين، و خليفة اللّه على العالمين، و حاصد الظالمين، و قاصم المعتدين، و مهلك المفسدين، و سراج المستبصرين، و ضياء المبصرين. و مشتّت المخالفين، و القيّم بسنة المرسلين، و ولد خير الوصيّين، صلى اللّه عليه و على آله الطاهرين [الى] جعفر بن حميد الكردىّ: سلام عليك، فإنى أحمد إليك اللّه الذى لا إله إلا هو و أسأله أن يصلّى على محمد جدّى. أما بعد، ما هو كيت و كيت. فهذه صورة مكاتبته الى الأقطار. انتهى.

و أما محمد بن سليمان الكاتب فإنّ القاسم بن عبيد اللّه وزير المكتفى كتب إليه بطلب القرمطىّ المذكور و الجدّ فى أمره، فسار محمد بن سليمان بعساكره نحوه فالتقوا بموضع دون حماة، و كان القرمطىّ قد قدّم أصحابه أمامه و تخلّف هو فى نفر و معه المال الذى جمعه، فوقع بين محمد بن سليمان و بين أصحاب القرمطىّ وقعة انهزم فيها أصحاب القرمطىّ أقبح هزيمة، و كان ذلك فى المحرّم سنة إحدى و تسعين و مائتين. فلما علم القرمطىّ [ب] هزيمة أصحابه أعطى أخاه أمواله و أمره بالنفوذ الى بعض النواحى التى يأمن على نفسه فيها إلى أن يتهيّأ له ما يحب، ثم مضى هو و ابن عمه المدّثّر و غلام له يسمّى المطوّق و غلام آخر يسمّى دليلا، و طلب القرمطىّ بهم طريق الكوفة و سار حتى انتهى الى قرية تعرف بالداليّة، و عجزوا عن زادهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۰۸

فدخل أحدهم الى القرية ليشترى لهم زادا [فأنكروا زيّه و سئل عن أمره فمجمج، فأعلم المتولّى مسلحة هذه الناحية بخبره و هو رجل يعرف بأبى خبزة خليفة أحمد بن محمد بن كشمرد] فأقبل عليه أبو خبزة المذكور مع أحداث ضيعته فقاتله و كسره و قبض عليه و على من معه: فانظر الى هذا الأمر الذى عجز عنه الملوك حتى كانت منيّته على يد هذا الضعيف. و للّه درّ القائل:

و قد يسلم الإنسان ممّا يخافه و يؤتى الفتى من أمنه و هو غافل

فقبض عليه المذكور. و كان أمير هذه النواحى القاسم بن سيما، فكتب بالخبر الى الخليفة المكتفى و هو بالرّقّة، و قد كان رحل فى أثر محمد بن سليمان، و اتّفق مع هذا موافاة كتاب محمد بن سليمان الى القاسم بن عبيد اللّه بالفتح و النّصرة على القرمطىّ، ثم أحضر القرمطىّ الى بين يدى الخليفة المكتفى، فأخذه الخليفة و عاد هو و وزيره القاسم بن عبيد اللّه من الرّقة الى بغداد، و هو على جمل يشهر به فى كلّ بلد يمرّون به، و معه أيضا أصحاب القرمطىّ، و دخل بهم بغداد و قد زيّنت بغداد بأفخر الزينة، و كان لدخولهم يوم عظيم الى الغاية. فلما كان يوم الاثنين الثالث و العشرون من شهر ربيع الأوّل جلس الخليفة مجلسا عاما، و أحضر القرمطىّ و أصحابه فقطعت أيديهم و أرجلهم ثم رمى بهم من أعلى الدكّة الى أسفل، و لم يبق منهم إلّا ذو الشامة أعنى القرمطىّ، ثم قدّم القرمطىّ فضرب بالسّوط حتى استرخى، ثم قطعت يداه و رجلاه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۰۹

و نخس فى جنبه بخشب، فلمّا خافوا عليه الموت ضربوا عنقه؛ ثم حضر محمد بن سليمان و خلع عليه الخليفة المكتفى ثم خلع على

القوّاد الذين كانوا معه، و هم محمد بن إسحاق بن كنداج و حسين بن حمدان و أحمد بن إبراهيم بن كيغلغ و أبو الأغرّ و وصيف، و أمرهم الجميع بالسمع و الطاعة لمحمد بن سليمان. ثم أمر الخليفة محمد بن سليمان بالتوجّه الى مصر لقتال هارون بن خمارويه صاحب الترجمة، فسار محمد بن سليمان بمن معه فى شهر رجب، و كتب الى دميانة غلام يا زمان و هو يومئذ أمير البحر أن يقفل بمراكبه الى مصر؛ و سار الجيش قاصدا دمشق، فلما قربوا منها تلقّاهم بدر و فائق فى جميع جيشهما لما فى نفوسهما من هارون حسبما قدّمناه من تقديم من تقدّم ذكره عليهما؛ و صاروا مع محمد بن سليمان جيشا واحدا؛ و ساروا نحو مصر؛ فاتّصلت أخبارهم بهارون بن خمارويه هذا، فتهيأ لقتالهم و جمع العساكر و أمر بمضربه فضرب بباب المدينة بعد أن نعق فى جنده و أمرهم بالتأهّب للرحيل، فاستعدّوا ثم رحلوا الى العبّاسة يريدون الشأم؛ و تربّص هارون بالعبّاسة أيّاما، و كتب لبدر و فائق يستعطفهما و يذكر لهما الحرمة و ما يجب عليهما من حفظ ذمام الماضين من أبيه و جدّه، و صارت كتبه صادرة اليهم و الى القوّاد بذلك؛ فبينما هو [ذات] ليلة بالعباسة و قد شرب و ثمل و نام آمنا فى مضربه إذ وثب عليه بعض غلمانه فذبحه،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۱۰

و قيل: إن ذلك كان بمساعدة بعض عمومته فى ذلك، و أصبح الناس و أميرهم مذبوح و قد تفرّقت الظنون فى قاتله؛ فنهض عمّه شيبان بن أحمد بن طولون و دعا لنفسه، و ضمن للناس حسن القيام بأمر الدولة و الإحسان لمن ساعده، فبايعه الناس على ذلك. انتهى. و قد ذكر بعضهم قصّة هارون هذا بطريق آخر قال: و استمرّ هارون هذا فى إمرة مصر من غير منازع؛ لكن أحوال مصر كانت فى أيّامه مضطربة إلى أن ورد عليه الخبر بموت الخليفة المعتضد بالله فى شهر ربيع الآخر سنة تسع و ثمانين و مائتين، و بويع لابنه محمد المكتفى بالخلافة. ثم خرج القرمطىّ بالشأم فى سنة تسعين، فجهّز هارون لحربه القوّاد فى جيش كبير فهزمهم القرمطىّ؛ ثم وقع بين هارون و بين الخليفة المكتفى وحشة و تزايدت الى أن أرسل المكتفى لحربه محمد بن سليمان الكاتب؛ فسار محمد بن سليمان من بغداد إلى أن نزل حمص و بعث بالمراكب من الثغور الى سواحل مصر و سار هو حتى نزل بفلسطين؛ فتجهّز هارون أيضا لقتال محمد ابن سليمان المذكور و سيّر المراكب فى البحر لحربه و فيها المقاتلة، حتى التقوا بمراكب محمد بن سليمان و قاتلوهم فانهزموا؛ و كان القتال فى تنّيس و ملك أصحاب محمد بن سليمان تنّيس و دمياط؛ و كان هارون قد خرج من مصر يوم التّروية لقتال محمد بن سليمان، فلما بلغه الخبر توجّه الى العبّاسة و معه أهله و أعمامه فى ضيق و جهد، فتفرّق عنه كثير من أصحابه و بقى فى نفر يسير، و هو مع ذلك متشاغل باللهو و السكر؛ فاجتمع عمّاه شيبان و عدىّ ابنا أحمد بن طولون على قتله، فدخلا عليه و هو ثمل فقتلاه ليلة الأحد لإحدى عشرة بقيت من صفر سنة اثنتين و تسعين و مائتين، و سنّه يومئذ اثنتان و عشرون سنة؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۱۱

و كانت ولايته على مصر ثمانى سنين و ثمانية أشهر و أيّاما؛ و تولّى عمّه شيبان مصر بعده.

و قال سبط ابن الجوزىّ فى تاريخه: و فيها- يعنى سنة اثنتين و تسعين و مائتين- فى صفر سار محمد بن سليمان إلى مصر لحرب هارون بن خمارويه، و خرج إليه هارون فى القوّاد فجرت بينهم وقعات؛ ثم وقع بين أصحاب هارون فى بعض الأيام عصبيّة، فاقتتلوا، فخرج هارون ليسكتهم فرماه بعض المغاربة بسهم فقتله و تفرّقوا؛ فدخل محمد بن سليمان مصر و ملكها و احتوى على دور آل طولون و أسبابهم و أخذهم جميعا، و كانوا بضعة عشر رجلا، فقيّدهم و حبسهم و استصفى أموالهم و كتب بالفتح إلى المكتفى. و قيل: إن محمد بن سليمان لمّا قرب من مصر أرسل الى هارون يقول:

إن الخليفة قد ولّانى مصر و رسم أن تسير بأهلك و حشمك إلى بابه إن كنت مطيعا، و بعث بكتاب الخليفة إلى هارون؛ فعرضه هارون على القوّاد فأبوا عليه فخرج هارون؛ فلمّا وقع المصافّ صاح هارون: يا منصور؛ فقال القوّاد: هذا يريد هلا كنا، فدسّوا عليه خادما فقتله على فراشه و ولّوا مكانه شيبان بن أحمد بن طولون؛ ثم خرج شيبان الى محمد مستأمنا. و كتب الخليفة إلى محمد بن سليمان فى إشخاص آل طولون و أسبابهم و القوّاد و ألّا يترك أحدا منهم بمصر و الشأم؛ فبعث بهم إلى بغداد فحبسوا فى دار صاعد.

انتهى ما أوردناه من ترجمة هارون من عدّة أقوال بخلف وقع بينهم فى أشياء كثيرة.

و أما محمد بن سليمان المذكور فأصله كاتب الخادم لؤلؤ الطولونىّ. قال القضاعىّ:

يقال: إن أحمد بن طولون جلس يوما فى بعض متنزّهاته و معه كتاب ينظر فيه، و إذا بشابّ قد أقبل، فالتفت أحمد الى لؤلؤ الطولونىّ و قال. اذهب و أتنى برأس هذا الشابّ؛ فنزل إليه لؤلؤ و سأله من أىّ بلد هو و ما صنعته؟ فقال: من العراق من أبناء الكتّاب؛ فقال له: و ما أتيت تطلب؟ قال: رزقا؛ فعاد لؤلؤ إلى أحمد بن طولون؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۱۲

فقال له: ضربت عنقه؟ فسكت، فأعاد عليه القول فسكت؛ فاستشاط أحمد ابن طولون غيظا ثم أمره بقتله؛ فقال لؤلؤ: يا مولاى بأىّ ذنب تقتله؟ فقال:

إنى أرى فى هذا الكتاب من منذ سنين أن زوال ملك ولدى يكون على يد رجل هذه صفته فقال: يا مولاى، أو هذا صحيح؟ قال: هذا الذى رأيته و تفرّسته؛ فقال: يا مولاى، لا يخلو هذا الأمر من أن يكون حقّا أو كذبا، فإن كان كذبا فما لنا و الدخول فى دم مسلم! و إن كان حقّا فلعلّنا نفعل معه خيرا علّه يكافئ به يوما، و إن كان اللّه قدّر ذلك فإنا لا نقدر على قتله أبدا؛ فسكت أحمد بن طولون، فأضافه لؤلؤ إليه؛ و كان هذا الشابّ يسمى محمد بن سليمان الكاتب الحنيفىّ، منسوب إلى حنيفة السّمرقندىّ، فلم تزل الأيام تنتقل بمحمد المذكور و الدّهر يتصرّف فيه إلى أن بقى ببغداد قائدا من جملة القوّاد، و جرى من أمره ما تقدّم ذكره من قتال القرامطة و هارون صاحب مصر، إلى أن ملك الديار المصريّة و أمسك الطولونيّة و خرّب منازلهم، و هدم القصر المسمّى بالميدان الذى كان سكن أحمد بن طولون، و تتبع أساسه حتى أخرب الديار و محا الآثار، و نقل ما كان بمصر من ذخائر بنى طولون إلى العراق. و قال صاحب كتاب الذخائر: إن محمد بن سليمان المذكور رجع إلى العراق فى سنة اثنتين و تسعين و مائتين و معه من ذخائر بنى طولون أموال عظيمة، يقال: إنّه كان معه أكثر من ألف ألف دينار عينا، و إنّه حمل إلى الخليفة الإمام المكتفى من الذخائر و الحلىّ و الفرش أربعة و عشرين ألف حمل جمل، و حمل آل طولون معه إلى بغداد؛ و أخذ محمد بن سليمان لنفسه و أصحابه غير ذلك ما لا يحصى كثرة. و لما و صل محمد بن سليمان إلى حلب متوجّها إلى العراق، كتب الخليفة المكتفى إلى وصيف مولى المعتضد أن يتوكّل بإشخاص محمد بن سليمان المذكور؛ فأشخصه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۱۳

و صيف المذكور إلى الحضرة؛ فأخذه المكتفى و قيّده و صادره و طالبه بالأموال التى أخذها من مصر. و لم يزل محمد بن سليمان معتقلا إلى أن تولّى ابن الفرات للخليفة المقتدر جعفر، فأخرجه إلى قزوين واليا على الضّباع و الأعشار بها. يأتى ذكر محمد ابن سليمان هذا ثانيا بعد ذلك فى حوادث هارون على الترتيب المقدّم ذكره بعد فى ولاية شيبان إن شاء اللّه تعالى.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۴]

السنة الأولى من ولاية هارون بن خمارويه على مصر، و هى سنة أربع و ثمانين و مائتين- فيها كانت وقعة بين الأمير عيسى النّوشرىّ الآتى ذكره فى أمراء مصر و بين بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف، و كان قد أظهر العصيان فهزمه النّوشرىّ بقرب أصبهان و استباح عسكره. و فيها ظهرت بمصر حمرة عظيمة فى الجوّ حتى إنه كان الرجل إذا نظر فى وجه الرجل يراه أحمر و كذا الحيطان، فتضرّع الناس بالدعاء إلى اللّه، و كانت من العصر إلى الليل. و فيها بعث عمرو بن الليث بألف ألف درهم لتنفق على إصلاح درب مكّة من العراق، قاله ابن جرير الطبرىّ.

و فيها عزم المعتضد على لعن معاوية على المنابر، فخوّفه عبيد اللّه الوزير باضطراب العامة، فلم يلتفت و تقدّم إلى العامة بلزوم أشغالهم

و ترك الاجتماع بالناس، و منع القصّاص من القعود فى الأماكن، ثم منع من اجتماع الحلق فى الجوامع، و كتب المعتضد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۱۴

كتابا فى ذلك و اجتمع الناس يوم الجمعة بناء على أنّ الخطيب يقرؤه فما قرئ. و فيها ظهر فى دار الخليفة المعتضد شخص فى يده سيف مسلول، فقصده بعض الخدّام فضربه بالسيف فجرحه و اختفى فى البستان، فطلب فلم يوجد له أثر؛ فعظم ذلك على المعتضد و احترز على نفسه و ساءت الظنون فيه فقيل هو من الجنّ، و قيل غير ذلك؛ و أقام الشخص يظهر مرارا ثم يختفى، و لم يظهر خبره حتى مات المعتضد و المكتفى، فاذا هو خادم كان يميل إلى بعض الجوارى التى فى الدور، و كانت عادة المعتضد أنه من بلغ الحلم من الخدّام منعه من الدخول الى الحرم، و كان خارج دور الحرم بستان كبير، فاتخذ هذا الخادم لحية بيضاء و بقى تارة يظهر فى صورة راهب و تارة يظهر بزىّ جندىّ بيده سيف، و اتخذ عدّة لحّى مختلفة الهيئات و الألوان؛ فاذا ظهر خرجت الجارية مع الجوارى لتراه فيخلو بها بين الشجر، فاذا طلب دخل بين الشجر و نزع اللحية و البرنس و نحو ذلك، و خبأها و ترك السيف فى يده مسلولا كأنه من جملة الطالبين لذلك الشخص؛ و بقى كذلك إلى أن ولى المقتدر الخلافة و أخرج الخادم إلى طرسوس، فتحدّثت الجارية بحديثه بعد ذلك. و فيها فى يوم الخميس رابع المحرّم قدم [رسول] عمرو بن الليث الصفّار على المعتضد برأس رافع بن هرثمة؛ فخلع على الرسول و نصب الرأس فى جانبى بغداد. و فيها وعد المنجّمون الناس بغرق الأقاليم السبعة، و يكون ذلك من كثرة الأمطار و زيادة المياه فى العيون و الآبار، فانقطع الغيث و غارت العيون و قلّت المياه، حتى احتاج الناس إلى أن استسقوا ببغداد حتى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۱۵

أمطروا و كذّب اللّه المنجّمين. و فيها حجّ بالناس محمد بن عبد اللّه بن ترنجة.

و فيها توفّى أحمد بن المبارك أبو عمرو المستملى النّيسابورىّ الزاهد العابد، كان يسمّى راهب عصره، يصوم النهار و يقوم الليل، و كانت وفاته بنيسابور فى جمادى الآخرة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى إسحاق بن الحسن الحربىّ، و أبو عمرو أحمد بن المبارك المستملى، و أبو خالد عبد العزيز بن معاوية القرشىّ [العتابىّ] و محمود بن الفرج الأصبهانىّ الزاهد، و هشام بن على السّيرافىّ، و يزيد بن الهيثم أبو خالد البادىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ثلاث عشرة إصبعا، مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۵]

السنة الثانية من ولاية هارون على مصر، و هى سنة خمس و ثمانين و مائتين- فيها فى يوم الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من المحرّم قطع صالح بن مدرك الطائىّ الطريق فى جماعة من طيئ على الحجّاج [بالأجفر]، فأخذوا من الأموال و المماليك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۱۶

و النساء ما قيمته ألف ألف دينار. و فيها ولّى المعتضد ابن أبى الساج أرمينية و أذربيجان و كان قد غلب عليهما. و فيها غزا راغب الخادم مولى الموفّق بلاد الروم فى البحر فأظفره اللّه بمراكب كبيرة و فتح حصونا كثيرة. و فيها حجّ بالناس محمد بن عبد اللّه بن ترنجة. و فيها فى شهر ربيع الأوّل هبّت ريح صفراء بالبصرة ثم صارت خضراء ثم سوداء و امتدّت فى الأمصار، ثم وقع عقيبها مطر و برد وزن البردة مائة و خمسون درهما، و قطعت الريح نحو ستمائة نخلة، و مطرت قرية من القرى حجارة سودء و بيضاء. و فيها فى ذى الحجة منها قدم الأمير على ابن الخليفة المعتضد بالله بغداد، و كان قد جهّزه أبوه لقتال محمد بن زيد العلوىّ، فدفع محمد ابن زيد عن الجبال و تحيّز الى طبرستان، ففرح به أبوه المعتضد و قال: بعثناك ولدا فرجعت أخا، ثم أعطاه ألف ألف دينار. و فى ذى الحجة أيضا

خرج الخليفة المعتضد و ابنه علىّ يريد آمد لمّا بلغه موت عيسى بن الشيخ بعد أن صلّى ابنه علىّ المذكور بالناس يوم الأضحى ببغداد، و ركب كما يركب ولاة العهود. و فيها توفى إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد اللّه أبو إسحاق المروزىّ الحربىّ، كان إماما عالما فاضلا زاهدا مصنّفا، كان يقاس بالإمام أحمد بن حنبل فى علمه و زهده. و فيها توفى الأمير أحمد بن عيسى بن الشيخ صاحب آمد و ديار بكر، كان ولّاه إيّاهما المعتزّ، فلما قتل المعتزّ استولى عليهما الى أن مات فى هذه السنة، فاستولى عليهما ابنه محمد فسار المعتضد فأخذهما منه و استعمل عليهما نوّابه. و فيها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۱۷

توفّى إمام النحاة المبرّد و اسمه محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسّان بن سليمان الإمام العلّامة أبو العبّاس البصرىّ الأزدىّ المعروف بالمبرّد، انتهت إليه رياسة النحو و اللغة بالبصرة، ولد سنة ستّ و مائتين و قيل: سنة عشر و مائتين.

و كان المبرّد و أبو العبّاس أحمد بن يحيى الملقّب بثعلب صاحب كتاب الفصيح عالمين متعاصرين؛ و فيهما يقول أبو بكر بن أبى الأزهر:

أيا طالب العلم لا تجهلن و عد بالمبرّد أو ثعلب

تجد عند هذين علم الورى فلا تك كالجمل الأجرب

علوم الخلائق مقرونة بهذين فى الشرق و المغرب

و كان المبرّد يحبّ الاجتماع و المناظرة بثعلب و ثعلب يكره ذلك و يمتنع منه. و من شعر المبرّد:

يا من تلبّس أثوابا يتيه بها تيه الملوك على بعض المساكين

ما غيّر الجلّ أخلاق الحمار و لا نقش البرادع أخلاق البراذين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۱۸

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى إبراهيم الحربىّ، و إسحاق بن إبراهيم الدّبرىّ، و عبيد [اللّه] بن عبد الواحد بن شريك، و أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و ستّ عشرة إصبعا، مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۶]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۳؛ ص۱۱۸

سنة الثالثة من ولاية هارون على مصر، و هى سنة ستّ و ثمانين و مائتين- فيها أرسل هارون بن خمارويه صاحب الترجمة الى الخليفة المعتضد يعلمه أنه نزل عن أعمال قنّسرين و العواصم، و أنّه يحمل الى المعتضد فى كلّ سنة أربعمائة ألف دينار و خمسين ألف دينار، و سأله تجديد الولاية له على مصر و الشأم؛ فأجابه المعتضد الى ذلك و كتب له تقليدا بهما. و فيها فى شهر ربيع الآخر نازل المعتضد آمد و بها محمد بن أحمد ابن [عيسى بن] الشيخ فحاصرها أربعين يوما حتى ضعف محمد و طلب الأمان [لنفسه و أهل البلد فأجابه الى ذلك فخرج إليه محمد و معه أصحابه و أولياؤه فوصلوا الى المعتضد] فخلع عليه المعتضد. و فيها قبض المعتضد على راغب الخادم أمير طرسوس و استأصل أمواله فمات بعد أيّام. و فيها التقى جيش عمرو بن الليث الصفّار و اسماعيل بن أحمد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۱۹

ابن أسد [السامانىّ] بما وراء النهر فانكسر أصحاب عمرو، ثم التقى هو و عمرو ثانيا على بلخ، و كان أهل بلخ قد ملّوا عمرا و أصحابه و نجروا من نزولهم فى دورهم و أخذهم أموالهم، فساعد أهل بلخ إسماعيل فانكسر عمرو و انهزم الى بلخ، فوجد أبوابها مغلقة ثم

فتحوا له و لجماعة معه؛ فلما دخل وثب عليه أهل بلخ فأوثقوه و حملوه الى إسماعيل فأكرمه إسماعيل ثم بعث به الى المعتضد فخلع المعتضد على إسماعيل خلعة السلطنة، و أدخل عمرو بغداد على جمل ليشهّروه بها ثم حبسه المعتضد فى مطمورة، فكان يقول: لو أردت أن أعمل على جيحون جسرا من ذهب لفعلت، و كان مطبخى يحمل على ستمائة جمل، و أركب فى مائة ألف، أصارنى الدهر إلى القيد و الذلّ! و قيل: إنه خنق قبل موت المعتضد بيسير. و فيها ظهر بالبحرين أبو سعيد الجنّابىّ القرمطىّ فى أوّل السنة، و فى وسطها قويت شوكته و انضمّ إليه طائفة من الأعراب، فقتل أهل تلك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۲۰

القرى و قصد البصرة، فبنى عليها المعتضد سورا؛ و كان أبو سعيد هذا كيّالا بالبصرة.

و جنّابة من قرى الأهواز، و قيل: من قرى البحرين.

قلت: و هذا أوّل من ظهر من القرامطة الآتى ذكرهم فى هذا الكتاب فى عدّة مواطن. و هذا القرمطىّ هو الذى قتل الحجيج و اقتلع الحجر الأسود حسبما يأتى ذكره.

و فيها حضر مجلس القاضى موسى بن إسحاق قاضى الرّىّ وكيل امرأة ادّعى على زوجها صداقها بخمسمائة دينار فأنكر الزوج؛ فقال القاضى: البيّنة، فأحضرها الوكيل فى الوقت، فقالوا: لا بدّ أن ننظر المرأة [و هى مسفرة لتصحّ عندهم معرفتها] فتتحقّق الشهادة؛ فقال الزوج: و لا بدّ؟ فقالوا: و لا بدّ؛ فقال الزوج: أيها القاضى عندى الخمسمائة دينار و لا ينظر هؤلاء الى امرأتى [فأخبرت بما كان من زوجها]؛ فقالت المرأة: إنى أشهد القاضى أنّنى قد وهبت له ذلك و أبرأته منه فى الدنيا و الآخرة! فقال القاضى: تكتب هذه الواقعة فى مكارم الأخلاق. و فيها توفّى إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران أبو بكر السّراج النيسابورىّ مولى ثقيف، سمع الإمام أحمد و صحبه. و فيها توفى الحسين بن سيّار أبو على البغدادىّ الخيّاط، كان إماما عارفا بتعبير الرؤيا، و كانت وفاته فى صفر، أسند عن أبى بلال الأشعرىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۲۱

و غيره، و روى عنه جماعة كثيرة. و فيها توفى محمد بن يونس بن موسى بن سليمان ابن عبيد بن ربيعة بن كديم أبو العباس الكديمىّ القرشىّ البصرىّ، حجّ أربعين حجّة، و كان حافظا متقنا ورعا، مات ببغداد فى نصف جمادى الآخرة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى أحمد بن سلمة النّيسابورىّ الحافظ، و أحمد بن علىّ الخزّاز، و أبو سعيد الخرّاز شيخ الصوفيّة، و أحمد ابن المعلّى [بن يزيد أبو بكر الأسدىّ القاضى] الدّمشقىّ، و ابراهيم بن سويد الشامىّ، و إبراهيم [بن محمد] بن برّة الصّيدنانىّ، و الحسن بن عبد الأعلى البوسىّ أحد أصحاب عبد الرزّاق، و عبد الرّحيم بن عبد اللّه البرقىّ، و على بن عبد العزيز البغوىّ، و محمد بن وضّاح القرطبىّ، و محمد بن يوسف البنّاء الزاهد، و محمد بن يونس الكديمىّ، و أبو عبادة البحترىّ الشاعر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و خمس عشرة إصبعا، مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۷]

السنة الرابعة من ولاية هارون على مصر، و هى سنة سبع و ثمانين و مائتين- فيها فى المحرّم واقع صالح بن مدرك كبير عرب طيّئ الحاجّ العراقىّ كما فعل بهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۲۲

فى العام الماضى، و كان فى ثلاثة آلاف من عرب طيّئ و غيرهم ما بين فارس و راجل، و كان أمير الحاج أبا الأغرّ، فأقاموا يقاتلونهم

يوما و ليلة حتى هزم صالح بن مدرك و قتل معه أعيان طيّ، و دخل الرّكب بغداد بالرءوس على الرّماح و بالأسرى. و فيها عظم أمر القرامطة و أغاروا على البصرة و نواحيها، فسار لحربهم العبّاس بن عمرو الغنويّ فالتقوا فأسر الغنويّ و قتل خلق من جنده، ثم إنّ أبا سعيد القرمطيّ أطلقه، و قال له: بلّغ المعتضد عنّى رسالة و مضمونها: أنه يكفّ عنه و يحفظ حرمته، و قال: فأنا قنعت بالبرّيّة فلا يتعرّض لى. و فيها مات صاحب طبرستان محمد بن زيد العلويّ. و فيها أوقع بدر غلام الطائى بالقرامطة على غرّة، فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم تركهم خوفا على السواد. و فيها حجّ بالناس محمد بن عبد اللّه بن ترنجة. و فيها توفى أحمد بن عمرو بن [أبى عاصم] الضحاك القاضى أبو بكر الشّيبانيّ الفقيه المحدّث و ابن محدّث، ولى القضاء بأصبهان و صنّف علوم الحديث و كان عالما بارعا. و فيها توفى يعقوب بن يوسف بن أيوب الشيخ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۲۳

أبو بكر المطّوّعيّ الزاهد العابد، و عنه قال: كان وردى فى شبيبتى كلّ يوم و ليلة أربعين ألف مرّة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ).

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى أحمد بن إسحاق ابن إبراهيم بن نبيط، و أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبى عاصم أبو عليّ فى [شهر] ربيع الآخر و له نيّف و ثمانون سنة، و محمد بن عمرو الحوشىّ، و موسى بن الحسن الجلاجلىّ، و أبو سعد يحيى بن منصور الهرويّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و خمس و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۸]

السنة الخامسة من ولاية هارون على مصر، و هى سنة ثمان و ثمانين و مائتين- فيها وقع و باء بأذربيجان فمات فيه خلق كثير و فقدت الأكفان فكفّن الناس فى الأكسية و اللّبود ثم فقدت، و فقد من يدفن الموتى فكانوا يطرحون على الطريق، ثم وقع الطاعون فى أصحاب محمد بن أبى الساج فمات لمحمد مائتا ولد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۲۴

و غلام، ثم مات محمد بن أبى السّاج المذكور بمدينة أذربيجان، و كان يلقّب بالأفشين، فاجتمع غلمانه و أمّروا عليهم ابنه ديوداد فاعتزلهم أخوه يوسف بن أبى الساج و هو مخالف لهم. و فيها حجّ بالناس هارون بن محمد بن العباس بن إبراهيم ابن عيسى بن أبى جعفر المنصور. و فيها كانت زلزلة. قال أبو الفرج بن الجوزىّ:

[ورد الخبر بأنه مات تحت الهدم فى يوم واحد أكثر من ثلاثين ألف إنسان و دام عليهم هذا أيّاما فبلغ من هلك خمسين و مائة ألف] و قيل: كان ذلك فى العام الماضى. و فيها قدم المعتضد العراق و معه وصيف خادم محمد بن أبى السّاج، و كان قد عصى عليه بالثغور، فأسره و أدخل على جمل، ثم توفّى بالسجن بعد أيام فصلبت جثته على الجسر. و فيها ظهر أبو عبد اللّه الشّيعىّ بالمغرب و نزل بكتامة و دعاهم إلى المهدىّ عبيد اللّه- أعنى بعبيد اللّه جدّ الخلفاء الفاطميّة- و فيها توفى ثابت بن قرّة العلامة أبو الحسن المهندس صاحب التصانيف فى الفلسفة و الهندسة و الطبّ و غيره، كان فاضلا بارعا فى علوم كثيرة، و مولده فى سنة إحدى و عشرين و مائتين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۲۵

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى إسحاق بن إسماعيل الرّملى بأصبهان، و بشر بن موسى الأسدىّ، و جعفر بن محمد بن سوّار الحافظ، و أبو القاسم عثمان بن سعيد بن بشّار الأنماطىّ شيخ ابن سريج، و معاذ بن المثنّى العنبرىّ، و خلق سواهم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع سواء، مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۸۹]

السنة السادسة من ولاية هارون على مصر، و هى سنة تسع و ثمانين و مائتين- فيها فاض البحر على الساحل فأخرب البلاد و الحصون [التى عليه]. و فيها فى [شهر] ربيع الآخر اعتلّ الخليفة المعتضد بالله علّة صعبة و هى العلة التى مات بها؛ فقال عبد اللّه بن المعتزّ فى ذلك:

طار قلبى بجناح الوجيب جزعا من حادثات الخطوب

و حذارا أن يشاك بسوء أسد الملك و سيف الحروب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۲۶

ثم انتكس و مات فى الشهر، و تحلّف بعده ولده المكتفى بالله أبو محمد علىّ.

و ليس فى الخلفاء من اسمه على غير علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه و هذا. و فيها فى شهر رجب زلزلت بغداد زلزلة عظيمة دامت أيّاما. و فيها هبّت ريح عظيمة بالبصرة قلعت عامّة نخلها و لم يسمع بمثل ذلك. و فيها انتشرت القرامطة بسواد الكوفة، و كان رئيسهم يقال له ابن أبى الفوارس، فظفر به عسكر المعتضد- أعنى قبل موت المعتضد- فحمل هو و جماعة معه الى بغداد فعذّبوا بأنواع العذاب ثم صلوا و أحرقوا؛ و أمّا كبيرهم ابن أبى الفوارس المذكور فقلعت أضراسه ثم شدّ فى إحدى يديه بكرة و فى الأخرى صخرة، و رفعت البكرة ثم لم يزل على حاله الى وقت الظّهر؛ ثم قطعت يداه و رجلاه و ضربت عنقه. و فيها حجّ بالناس الفضل بن عبد الملك ابن عبد اللّه العباسىّ. و فيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو العباس أحمد ابن الأمير ولىّ العهد أبى أحمد طلحة الموفّق ابن الخليفة المتوكّل على اللّه جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدىّ محمد ابن الخليفة أبى جعفر المنصور عبد اللّه بن محمد بن على بن عبد اللّه بن العباس الهاشمىّ العباسىّ البغدادىّ، و مولده فى سنة اثنتين و أربعين و مائتين فى ذى القعدة فى أيام جدّه المتوكّل؛ و استخلف بعده عمّه المعتمد أحمد فى شهر رجب سنة تسع و سبعين و مائتين. قال ابراهيم [بن محمد] بن عرفة: و توفّى المعتضد فى يوم الاثنين لثمان بقين من [شهر] ربيع الآخر سنة تسع و ثمانين و مائتين و دفن فى حجرة الرخام و صلّى عليه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۲۷

يوسف بن يعقوب القاضى، و كانت خلافته تسع سنين و تسعة أشهر و نصفا.

قلت: و بويع بالخلافة بعده ولده علىّ بعهد منه، و لقّب بالمكتفى. و كان المعتضد شجاعا مهيبا أسمر نحيفا معتدل الخلق ظاهر الجبروت وافر العقل شديد الوطأة، من أفراد خلفاء بنى العباس و شجعانهم، كان يتقدّم على الأسد وحده.

و قال المسعودىّ: كان المعتضد قليل الرحمة، قيل: إنه كان إذا غضب على قائد أمر أن تحفر له حفيرة و يلقى فيها و تطمّ عليه، قال: شكّوا فى موت المعتضد فتقدّم الطبيب فجسّ نبضه ففتح عينه و رفس الطبيب برجله فدحاه أذرعا فمات الطبيب، ثم مات المعتضد أيضا من ساعته. هكذا نقل المسعودىّ. و رثاه الأمير عبد اللّه بن المعتزّ العبّاسىّ فقال:

يا ساكن القبر فى غبراء مظلمة بالطاهريّة مقصى الدار منفردا

أين الجيوش التى قد كنت تسحبها أين الكنوز التى لم تحصها عددا

أين السرير الذى قد كنت تملؤه مهابة من رأته عينه ارتعدا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۲۸

أين الأعادى الألى ذلّلت مصعبهم أين الليوث التى صيّرتها بعدا

أين الجياد التى حجّتها بدم و كنّ يحملن منك الضّيغم الأسدا

أين الرماح التى غذّيتها مهجا مذمت ما وردت قلبا و لا كبدا

أين الجنان التى تجرى جداولها و تستجيب اليها الطائر الغردا

أين الوصائف كالغزلان رائحة يسحبن من حلل موشيّة جددا

أين الملاهى و أين الراح تحسبها ياقوتة كسيت من فضّة زردا

أين الوثوب إلى الأعداء مبتغيا صلاح ملك بنى العبّاس إذ فسدا

ما زلت تقسر منهم كلّ قسورة و تخيط العالى الجبّار معتمدا

ثم انقضيت فلا عين و لا أثر حتى كأنك يوما لم تكن أحدا

و فيها خرج يحيى بن زكرويه بن مهرويه داعية قرمط و جمع جموعا كثيرة من الأعراب، و كانت بينه و بين طغج بن جفّ تائب هارون بن خمارويه على الشام وقعات عديدة، تقدّم ذكر ذلك كله فى أوّل ترجمة هارون المذكور. و فيها صلّى المكتفى بالناس يوم عيد النحر و كان بين يديه ألوية الملوك، و ترجّل الملوك و الأمراء بين يديه ما خلا وزيره القاسم بن عبيد اللّه فإنه ركب و سايره دون الناس؛ و لم ير قبل ذلك خليفة يسايره وزير غيره.

قلت: و هذا أوّل وهن وقع فى حقّ الخلفاء. و أنا أقول: إنّ المعتضد هو آخر خليفة عقد ناموس الخلافة، ثم من بعده أخذ أمر الخلفاء فى إدبار إلى يومنا هذا. و فيها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۲۹

توفّى بدر المعتضدىّ، كان يخدم المعتضد و الموفّق و أباه المتوكّل، و أصله من غلمان المتوكّل فرفعته السعادة. قال يحيى بن علىّ النّديم: كنت واقفا على رأس المعتضد و هو مقطّب فدخل بدر فأسفر وجهه لمّا رآه و ضحك، ثم قال لى: يا يحيى، من القائل:

فى وجهه شافع يمحو إساءته من القلوب وجيه حيثما شفعا

فقلت: الحكم بن قنبر المازنىّ؛ فقال: أنشدنى تمامه، فأنشدته:

و يلى على من أطار النوم فامتنعا وزاد قلبى على أوجاعه وجعا

كأنما الشمس من أعطافه لمعت حسنا أو البدر من أزراره طلعا

مستقبل بالذى يهوى و إن كثرت منه الذنوب و معذور بما صنعا

فى وجهه شافع يمحو إساءته من القلوب وجيه حيثما شفعا

و كان بدر هذا شجاعا ممدّحا جوادا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۳۰

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع سواء، مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ستّ عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۰]

السنة السابعة من ولاية هارون على مصر، و هى سنة تسعين و مائتين- فيها فى المحترم قصد يحيى بن زكرويه القرمطىّ الرّقّة فى جمع كثير؛ فخرج إليه أصحاب السلطان فقتل منهم جماعة و انهزم الباقون؛ فبعث طغج بن جفّ أمير دمشق من قبل هارون بن خمارويه صاحب الترجمة جيشا مع خادمه بشير إلى القرمطىّ، فواقعهم القرمطىّ و قتل بشيرا و هزم الجيش. و فيها أيضا خلع الخليفة المكتفى على أبى الأغرّ و بعثه فى عشرة آلاف لقتال القرمطىّ. و فيها حصر القرمطىّ دمشق و فيها أميرها طغج بن جفّ فعجز طغج عن مقاومته بعد أن واقعه غير مرّة؛ و قتل يحيى بن زكرويه كبير القرامطة؛ فأقاموا عليهم أخاه الحسين بن زكرويه؛ و بلغ المكتفى [ذلك] فاستحثّ

العساكر المندوبة لقتال القرامطة بالخروج لقتالهم، فتوجه إليهم أبو الأغرّ و واقع القرامطة فانهزم أبو الأغرّ، و قتل غالب أصحابه؛ و تبعه القرمطىّ إلى حلب، فقاتله أهل حلب. و فيها توفّى عبد اللّه ابن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الرّحمن الشّيبانىّ، مولده سنة ثلاث عشرة و مائتين، و لم يكن فى الدنيا أحد أروى عن أبيه منه، و سمع منه المسند و هو ثلاثون ألف حديث، و التفسير مائة و عشرين ألفا، و الناسخ و المنسوخ [و المقدّم و المؤخر فى كتاب اللّه]، و جوابات القرآن، و المناسك الكبير و الصغير، و كان عالما بفنون [كثيرة]؛ و كان أبوه يقول: لقد وعى عبد اللّه علما كثيرا. و فيها توفّى عبد اللّه بن أحمد بن أفلح بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الرّحمن بن أبى بكر الصدّيق أبو الصدّيق محمد القاضى البكرىّ، كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۳۱

إماما عالما بارعا. و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه الشيخ أبو بكر الدّقاق، كان من كبار مشايخ القوم و كان صاحب أقوال و كرامات.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى أحمد بن على الأبّار، و الحسن بن سهل المجوّز، و الحسين بن إسحاق التّسترىّ، و عبد اللّه بن أحمد بن محمد ابن حنبل، و محمد بن زكريا الغلابىّ الإخبارى، و محمد بن العباس المؤدّب، و محمد ابن يحيى بن المنذر القزّاز أحد شيوخ الطّبرانى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و ثلاث و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ثلاث عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۱]

اشارة

السنة الثامنة من ولاية هارون على مصر، و هى سنة إحدى و تسعين و مائتين- فيها قتل الحسين بن زكرويه القرمطىّ المعروف بصاحب الشامة. و فيها زوّج المكتفى ولده أبا أحمد بابنة وزيره القاسم بن عبيد اللّه؛ و خطب أبو عمر القاضى، و خلع على القاسم أربعمائة خلعة، و كان الصّداق مائة ألف دينار. و فيها خرجت الترك إلى بلاد المسلمين فى جيوش عظيمة، يقال: كان معهم سبعمائة خركاة تركية

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۳۲

و لا تكون الخركاه إلا لأمير، فنادى إسماعيل بن أحمد فى خراسان و سجستان و طبرستان بالنّفير و جهّز جيوشه فوافوا الترك على غرّة سحرا فقتلوا منهم مقتلة عظيمة و انهزم من بقى، و غنم المسلمون و سلموا و عادوا منصورين. و فيها بعث صاحب الروم جيشا مبلغه مائة ألف فوصلوا الى الحدث فنهبوا و سبوا و أحرقوا. و فيها غزا غلام زرافة من طرسوس الى الروم فوصل الى أنطاكية و هى تعادل قسطنطينية، فنازلها الى أن افتتحها عنوة و قتل نحوا من خمسة آلاف و أسر أضعافهم و استنقذ من الأسر أربعة آلاف مسلم، و غنم من الأموال ما لا يحصى بحيث إنه أصاب سهم الفارس ألف دينار. و فيها خلع المكتفى على محمد بن سليمان الكاتب و على محمد بن إسحاق ابن كنداج و على أبى الأغرّ و على جماعة من القوّاد، و أمرهم بالسمع و الطاعة لمحمد ابن سليمان المذكور، و ندب الجميع بالمسير الى دمشق لقبض ما كان بيد هارون بن خمارويه صاحب الترجمة من الأعمال، لأنه كانت الوحشة قد وقعت بينهما.

و فيها حجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ العباسىّ. و فيها توفّى إبراهيم بن أحمد ابن اسماعيل، الشيخ أبو إسحاق الخوّاص البغدادىّ، كان أوحد أهل زمانه فى التوكّل، صحب أبا عبد اللّه المغربىّ، و كان من أقران الجنيد، و له فى الرياضات و السياحات

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۳۳

مقامات. و فيها توفّى أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار أبو العبّاس الشّيبانى مولاهم ثعلب النحوىّ إمام أهل الكوفة، مولده فى سنة

مائتين. و فيها توفّى الوزير القاسم بن عبيد اللّه وزير المعتضد و المكتفى، كان شابّا غرّا قليل الخبرة بالأمور مستهتكا للمحارم؛ و إنما استوزره المكتفى لأنه أخذ له البيعة و حفظ عليه الأموال.

و فيها توفّى هارون بن موسى بن شريك أبو عبد اللّه الثّعلبىّ الأخفش الشامى النحوىّ اللغوىّ، ولد سنة مائتين، سمع هشام بن عمّار و طبقته، و كان إماما فى فنون كثيرة بارعا مفنّنا؛ و لما مات جلس مكانه محمد بن نصير بن أبى حمزة.

و هذا هو الأخفش الشامىّ. و أما الأخفش البصرىّ فآسمه سعيد بن مسعدة.

قلت: و ثمّ أخفش ثالث وفاته سنة خمس عشرة و ثلثمائة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو العبّاس ثعلب، و اسمه أحمد بن يحيى، فى جمادى الأولى و له إحدى و تسعون سنة. و هارون بن موسى ابن شريك الأخفش المقرئ. و عبد الرّحمن بن محمد بن مسلم الرّازى. و محمد بن أحمد ابن النّضر ابن بنت معاوية. و محمد بن إبراهيم البوشنجىّ الفقيه. و محمد بن على الصائغ المكىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۳۴

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و إحدى و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و إصبع واحدة و نصف إصبع.

ذكر ولاية شيبان بن أحمد بن طولون على مصر

هو شيبان بن أحمد بن طولون الأمير أبو المقانب التركىّ المصرى، ولى إمرة مصر بعد قتل ابن أخيه هارون بن خمارويه لإحدى عشرة بقيت من صفر سنة اثنتين و تسعين و مائتين. قال صاحب البغية: و لما تم أمره أقرّ شيبان المذكور موسى على شرطة مضرة و خرج من الفسطاط ليلة الخميس لليلة خلت من [شهر] ربيع الأوّل سنة اثنتين و تسعين و مائتين، فكانت ولايته اثنى عشر يوما. انتهى. قلت: و نذكر أمر شيبان هذا بأوسع مما ذكره صاحب البغية فنقول: و لما قتل هارون بن خمارويه و رجع الناس إلى مصر و هم بغير أمير، نهض شيبان هذا و دعا لنفسه و ضمن للناس حسن القيام بأمر الدولة و الإحسان إليهم، فبايعه الناس و هو لا يدرى بأن الدولة الطّولونية قد انتهى أمرها. و ما أحسن قول من قال فى هذا المعنى:

أصبحت تطلب أمرا عزّ مطلبه هيهات! صدع زجاج ليس ينجبر

و قام شيبان بالأمر و دخل المدينة و طاف بها حتى وصل إلى الموضع المعروف بمسجد الرّمح، فصدم الرمح الذى فيه لواؤه سقف الدّرب فانكسر، فتطيّر الناس من ذلك و قالوا: أمر لا يتمّ. و قيل: إن شيبان المذكور كان أسر فى نفسه قتل ابن أخيه هارون المقدّم ذكره، فتهيّأ لذلك و واطأ عليه بعض خاصّة هارون، فكان شيبان ينتظر الفرصة؛ و بينما شيبان على ذلك إذ صار إليه بعض الخدم الذين واطأهم على أمر هارون، و بايعوه على قتله و أعلموه أن هارون قد غطّ فى نومه من شدّة السّكر،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۳۵

و أنه لم ير فى مثل حالته تلك قطّ من شدّة السكر الذى به، و قالوا له: إن أردت شيئا فقد أمكنك ما تريد؛ فقام شيبان و دخل من وقته على ابن أخيه هارون بن خمارويه، فوافاه فى مرقده غاطّا مثقلا من سكره، فذبحه بسكّين كان معه فى مرقده بالعبّاسة، و كان ذلك فى ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة اثنتين و تسعين و مائتين؛ و عرف الناس بقتله فى غد ليلته، و استولى شيبان على الملك كما ذكرناه؛ و بويع فى يوم الاثنين لعشر ليال بقين من صفر من السنة المذكورة؛ و علم أبو جعفر بن أبى و نجيح الرومىّ القائد ما كان من أمر هارون و قتله، فرحلا من موضعهما من العبّاسة مع نفر من خاصّة أصحابهما و تركا بقيّة عسكرهما، و لحقا بعسكر طغج بن جفّ الذى كان نائب دمشق؛ و قد وصل محمد بن سليمان الكاتب وقائق و يمن و غيرهم من موالى خمارويه و أخبروهم بذلك، ثم جاءهم الخبر بأن الحسين بن حمدان قد دخل الفرما يريد جرجير و كانوا بها فرحلوا بعساكرهم حتى نزلوا

العبّاسة، و ذلك بعد رحيل شيبان بن أحمد بن طولون المذكور عنها إلى مدينة مصر.

و أما شيبان فإنه لما دخل مصر مع جميع إخوته و بنى عمّه و العسكر الذى كان بقى من عسكر ابن أخيه هارون تهيّأ لقتال القوم، و كان شيبان أهوج جسورا جسيما جلدا شديد البدن فى عنفوان شبابه، فصار يسرع فى أموره و ذلك بعد أن تمّ أمره،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۳۶

و خطب له يوم الجمعة على سائر منابر مصر، ثم أخذ فى العطاء للجند، فلم يجد من المال سعة فقلق، فسعى إليه ساع بأن أمّ هارون المقتول أودعت ودائع لها فى بعض الدّور التى للتّجار بمدينة الفسطاط- أعنى مصر- فوجّه شيبان بأبى جيشون أحد إخوته إلى هذه الدّور حتى استخرج منها خبايا كانت لأمّ هارون، و حمل ذلك إلى أخيه شيبان فى أعدال محزومة لا يدرى ما فيها؛ و انتهى الخبر إلى الحسين بن حمدان بأن هارون صاحب مصر قد قتل، و كان على مقدّمة عسكر محمد بن سليمان الكاتب و هو بجرجير، فرحل عنها يريد العبّاسة، فلقيه فى طريقه محمد بن أبىّ مع جميع الرؤساء الذين كانوا معه، فصار الحسين فى عسكر كبير؛ و بلغ ذلك أيضا محمد بن سليمان الكاتب فحثّ فى مسيره حتى لحق بمقدّمة الحسين بن حمدان المذكور، و قد انضاف إليه غالب عسكر مصر الذى وصل مع أبى جعفر بن أبّى و غيره؛ و عند ما اجتمع الجميع وصل إليهم أيضا دميانة البحرىّ فى ثمانية عشر مركبا حربيّا مشحونة بالرجال و السّلاح و ذلك فى يوم الثلاثاء ثامن عشرين صفر، فضرب جسر مصر الشرقىّ بالنار و أحرقه عن آخره و أحرق بعض الجسر الغربىّ، ثم وافى محمد بن سليمان الكاتب بعسكره حتى نزل بباب مصر، فضرب خيامه بها فى يوم الأربعاء. تاسع عشرين صفر، كل ذلك فى سنة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۳۷

اثنتين و تسعين و مائتين. و لما بلغ ذلك شيبان خرج بعساكره من مدينة مصر، و قد اجتمع معه من الفرسان و الرّجّالة عدّة كثيرة، و وقف بهم لممانعة محمد بن سليمان من دخول المدينة، و عبّأ أيضا محمد بن سليمان عسكره للمصافّ لمحاربة شيبان، و التقى الجمعان و كانت بينهم مناوشة ساعة؛ ثم كتب محمد بن سليمان إلى شيبان و الحرب قائمة يؤمّنه على نفسه و جميع أهله و ماله و ولده و إخوته و بنى عمّه جميعا؛ و نظر شيبان عند وصول الكتاب إليه قلّة من معه من الرجال و كثرة جيوش محمد بن سليمان مع ما ظنّ من وفاء محمد بن سليمان له، فاستأمن إلى محمد بن سليمان و جمع إخوته و بنى عمّه فى الليل و توجّهوا الى محمد بن سليمان و صاروا فى قبضته و مصافّ شيبان على حاله، لكن الفرسان علموا بما فعل شيبان فكفّوا عن القتال، و بقيت الرجّالة على مصافّها و لم تعلم بما أحدثه شيبان، و أصبحت الرجّالة غداة يوم الخميس و ليس معهم حام و لا رئيس، فالتقوا مع عسكر محمد بن سليمان فانكسروا، و انكبت خيل محمد بن سليمان على الرجّالة فأزالتهم عن مواقفهم، ثم انحرفت الفرسان الى قطائع السودان الطولونيّة و صاروا يأخذون من قدروا عليه منهم فيصيرون بهم الى محمد بن سليمان، و هو راكب على فرسه فى مصافّه، فيأمر بذبحهم فيذبحون بين يديه كما تذبح الشاة. ثم دخل محمد بن سليمان بعساكره الى مدينة مصر من غير أن يمنعه عنها مانع، و كان ذلك فى يوم الخميس سلخ صفر المذكور، فطاف محمد بن سليمان و هو راكب بمدينة مصر و معه محمد بن أبّى و جماعة من جند المصريّين من الفرسان و الرجّالة إلّا من هرب منهم، و صار كلّ من أخذ من المصريين ممّن هرب أو قاتل ضربت عنقه؛ و أحرقت القطائع التى كانت حول الميدان من مساكن السودان بعد أن قتل فيها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۳۸

منهم خلق كثير، حتى صارت خرابا يبابا، و زالت دولة بنى طولون كأنّها لم تكن.

و كانت مدّة تغلّب شيبان هذا على مصر تسعة أيّام، منها أربعة أيّام كان فيها أمره و نهيه؛ ثم دخلت الأعراب الخراسانيّة من عساكر محمد بن سليمان الكاتب الى مدينة مصر فكسروا جيوشها و أخرجوا من كان بها، ثم هجموا [على] دور الناس فنهبوها و أخذوا أموالهم و استباحوا حريمهم و فتكوا فى الرعيّة و افتضّوا الأبكار و أسروا المماليك و الأحرار من النساء و الرجال، و فعلوا فى مصر ما

لا يحلّه اللّه من ارتكاب المآثم، ثم تعدّوا الى أرباب الدولة و أخرجوهم من دورهم و سكنوها كرها، و هرب غالب أهل مصر منها، و فعلوا فى المصريّين مالا يفعلونه فى الكفرة؛ و أقاموا على ذلك أيّاما كثيرة مصرّين على هذه الأفعال القبيحة. ثم ضربت خيام محمد بن سليمان على حافة النيل بالموضع المعروف بالمقس، و نزلت عساكره معه و من انضم اليه من عساكر المصريّين بالعبّاسة. ثم أمر محمد بن سليمان أن تحمل الأسارى من المصريّين من الذين كان دميانة أسرهم فى قدومه من دمياط على الجمال، فحملوا عليها و عليهم القلانس الطوال و شهرّهم و طيف بهم فى عسكره من أوّله الى آخره.

ثم قلّد محمد بن سليمان أصحابه الأعمال بمصر، فكان الذى قلّده شرطة العسكر رجلا يقال له غليوس، و قلّد شرطة المدينة رجلا يقال له وصيف البكتمرىّ، و قلّد أبا عبد اللّه محمد بن عبدة قضاء مصر، كلّ ذلك فى يوم الخميس لسبع خلون من شهر ربيع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۳۹

الأول؛ ثم قبض أيضا على جماعة من أهل مصر من الكتّاب و غيرهم، فصادرهم و غرّمهم الأموال الجليلة بعد العذاب و التهديد و الوعيد؛ ثم أمسك محمد بن أبّى خليفة هارون بن خمارويه على مصر- أعنى الذى كان توجّه إليه من العبّاسة- و صادره و أخذ منه خمسمائة ألف دينار من غير تجشيم. و محمد بن أبّى هذا هو الذى قدّمنا ذكره فى ترجمة جيش بن خمارويه و ما وقع له مع برمش. و كان محمد بن سليمان هذا لا يسمّى باسمه و لا بكنيته و ما كان يدعى إلا بالأستاذ؛ و كان حكمه فى أهل مصر بضرب أعناقهم و بقطع أيديهم و أرجلهم جورا و تمزيق ظهورهم بالسياط و صلبهم على جذوع النخل و نحو ذلك من أصناف النّكال؛ و لا زال على ذلك حتى رحل عن مدينة مصر فى يوم الخميس مستهلّ شهر رجب من سنة اثنتين و تسعين و مائتين، و استصحب معه الأمير شيبان بن أحمد بن طولون صاحب الترجمة و بنى عمّه و أولادهم و أعوانهم، حتى إنّه لم يدع من آل طولون أحدا، و الجميع فى الحديد الى العراق و هم عشرون إنسانا؛ ثم أخرج قوّادهم الى بغداد على أقبح وجه، فلم يبق بمصر منهم أحد يذكر؛ و خلت منهم الديار و عفت منهم الآثار، و حل بهم الذلّ بعد العزّ و التطريد و التشريد بعد اللّذ، ثم سيق جماعة من أصحاب شيبان اليّ محمد بن سليمان ممّن كان أمّنهم فذبحوا بين يديه. و زالت الدولة الطولونية و كانت من غرر الدول، و أيامهم من محاسن الأيام، و خرّب الميدان و القصور التى كانت به، التى مدحتها الشعراء. قال القاضى أبو عمرو عثمان النابلسىّ فى كتاب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۴۰

"حسن السيرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة: "رأيت كتابا قدر اثنتى عشرة كرّاسة مضمونه فهرست شعراء الميدان الذى كان لأحمد بن طولون؛ قال: فاذا كان اسم الشعراء فى اثنتى عشرة كرّاسة فكم يكون شعرهم!. انتهى.

و قال ابن دحية فى كتابه: و خرّبت القطائع التى لأحمد بن طولون فى الشدّة العظمى زمن الخليفة المستنصر العبيدىّ أيّام القحط و الغلاء المفرط الذى كان بالديار المصريّة؛ قال: و هلك من كان فيها من السكان، و كانت تيّفا على مائة ألف دار. قلت: هذا الذى ذكره ابن دحية هو الذى بقى بعد إتلاف محمد بن سليمان المذكور.

و مما قيل فى ميدان أحمد بن طولون و فى قصوره من الشعر من المراثى على سبيل الاقتصار؛ فمما قاله إسماعيل بن أبى هاشم:

قف وقفة بفناء باب السّاج و القصر ذى الشّرفات و الأبراج

وربوع قوم أزعجوا عن دارهم بعد الإقامة. أيّما إزعاج

كانوا مصابيحا لدى ظلم الدجى يسرى بها السارون فى الإدلاج

و منها:

كانوا ليسوثا لا يرام حماهم فى كلّ ملحمة و كلّ هياج

فانظر الى آثارهم تلقى لهم علما بكلّ ثنيّة و فجاج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۴۱

و قال سعيد القاصّ:

جرى دمعه ما بين سحر الى نحر و لم يجر حتّى أسلمته يد الصبر

و منها:

و هل يستطيع الصبر من كان ذا أسى يبيت على جمر و يضحى على جمر

تتابع أحداث تحيّفن صبره و غدر من الأيّام و الدهر ذو غدر

أصاب على رغم الأنوف وجدعها ذوى الدّين و الدّنيا بقاصمة الظهر

طوى زينة الدنيا و مصباح أهلها بفقد بنى طولون و الأنجم الزّهر

و منها:

و كان أبو العبّاس أحمد ماجدا جميل المحيّا لا يبيت على وتر

كأنّ ليالى الدّهر كانت لحسنها و إشراقها فى عصره ليلة القدر

يدلّ على فضل ابن طولون همّة محلّقة بين السّماكين و الغفر

فإن كنت تبغى شاهدا ذا عدالة يخبّر عنه بالجلىّ من الأمر

فبالجبل الغربىّ خطّة يشكر له مسجد يغنى عن المنطق الهذر

و هى طويلة جدّا كلّها على هذا المنوال. و لما أمر الحسين بن أحمد الماذرائىّ متولّى خراج مصر من قبل المكتفى بهدم الميدان ابتدأ بهدمه فى أوّل شهر رمضان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۴۲

من سنة ثلاث و تسعين و مائتين و بيعت أنقاضه، حتّى دثروزال مكانه كأنّه لم يكن.

فقال فيه محمد بن طشويه:

من لم ير الهدم للميدان لم يره تبارك اللّه ما أعلاه و اقدره

لو أنّ عين الذى أنشاه تبصره و الحادثات تعاديه لأكبره

و منها:

و أين من كان يحميه و يحرسه من كلّ ليث يهاب الليث منظره

صاح الزمان بمن فيه ففرّقهم و حطّ ريب البلى فيه فدعثره

و منها:

أين ابن طولون بانيه و ساكنه أماته الملك الأعلى فأقبره

ما أوضح الأمر لو صحّت لنا فكر طوبى لمن خصّه رشد فذكره

و قال أحمد بن إسحاق:

و كانّ الميدان ثكلى أصيبت بحبيب صباح ليلة عرس

يتغشّى الرياح منه محلّا كان للصون فى ستور الدّمقس

و منها:

و وجوه من الوجوه حسان و خدود مثل اللآلئ ملس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۴۳

كلّ كحلاء كالغزال و نجلا ء رداح من بين حور و لعس

آل طولون كنتم زينة الأر ض فأضحى الجديد اهدام لبس

و قال ابن أبى هاشم:

يا منزلا لبنى طولون قد دثرا سقاك صوب الغوادى القطر و المطرا

يا منزلا صرت أجفوه و أهجره و كان يعدل عندى السمع و البصرا

بالله عندك علم من أحبّتنا أم هل سمعت لهم من بعدنا خبرا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۴۴

ذكر أوّل من ولى مصر بعد بنى طولون و خراب القطائع إلى الدولة الفاطمية العبيديّة و بناء القاهرة على الترتيب المقدّم ذكره

فأوّل من حكمها محمد بن سليمان الكاتب المقدّم ذكره، أرسله الخليفة المكتفى بالله علىّ العباسىّ حسبما ذكرناه فى غير موضع، و ملك محمد بن سليمان الديار المصريّة، بعد قتل شيبان بن أحمد بن طولون، فى يوم الخميس مستهلّ شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين و تسعين و مائتين، و دعا على منابر مصر للخليفة المكتفى بالله وحده؛ و ولّى محمد ابن سليمان أبا علىّ الحسين بن أحمد الماذرائىّ على الخراج عوضا عن أحمد بن علىّ الماذرائىّ. فلم تطل مدّة محمد بن سليمان بمصر حتى قدم عليه كتاب الخليفة المكتفى بالله بولاية عيسى بن محمد النّوشرىّ؛ و دخل خليفة عيسى المذكور إلى مصر لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى، فتسلّم من محمد بن سليمان المذكور الشّرطتين و سائر الأعمال؛ فكان مقام محمد بن سليمان المذكور الكاتب بمصر أربعة أشهر.

و فى ولايته أقوال كثيرة: فمن الناس من لا يعدّه من الأمراء بمصر بل ذكر دخوله لفتح مصر و أنّه كان مقدّم العساكر لا غير؛ و قائلو هذه المقالة هم الأكثر، و وافقتهم أنا أيضا على ذلك، لأن المكتفى لما خلع عليه أمره بالتوجّه لقتال مصر و أمر أصحابه بالسمع و الطاعة و لم يولّه عملها؛ و عند ما بلغ الخليفة المكتفى فتح مصر ولّى عليها فى الحال عيسى النّوشرىّ؛ و لهذا لم نفتتح ترجمته بافتتاح تراجم ملوك مصر على عادة ترتيب هذا الكتاب؛ و من الناس من عدّه من جملة أمراء مصر بواسطة تحكّمه و تصرّفه فى الديار المصرية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۴۵

ذكر ولاية عيسى النّوشرىّ على مصر

هو عيسى بن محمد الأمير أبو موسى النوشرىّ، ولّاه الخليفة المكتفى من بغداد على مصر، فأرسل عيسى خليفته على مصر فاستولى عليها إلى حين قدمها لسبع خلون من جمادى الآخرة من سنة اثنتين و تسعين و مائتين. و كان محمد بن سليمان لما وصل الى مصر بالعساكر كان الأمير عيسى النوشرىّ المذكور من جملة القوّاد الذين قدموا معه، فلما افتتح محمد بن سليمان مصر أرسل عيسى هذا الى الخليفة رسولا يخبره بفتح مصر، لأنه كان من كبار القوّاد الشاخصين معه الى مصر، و توجّه عيسى الى نحو العراق؛ فلما وصل الى دمشق وافاه كتاب الخليفة المكتفى بها بولايته على إمرة مصر، فعاد من وقته إلى أن دخل مصر فى التاريخ المقدّم ذكره؛ فخلع عليه محمد ابن سليمان الكاتب و طاف به مدينة مصر و عليه الخلعة، و استمرّ على عمل معونة مصر و جندها؛ ثم ورد عليه أيضا كتاب الخليفة إلى جماعة من القوّاد ممن كان فى عسكر محمد بن سليمان: منهم علىّ بن حسّان بتقليده أعمال الإسكندريّة، والى مهاجر بن طليق بتقليده ثغر تنّيس و دمياط، و إلى رجل يعرف بالكندىّ بتقليده الأحواف، و إلى رجل يقال له موسى بن أحمد بتقليده برقة و ما والاها، و إلى رجل يعرف بمحمد بن ربيعة بتقليده الصعيد و أسوان، و إلى رجل يعرف بأبى زنبور الحسين ابن أحمد الماذرائىّ بتقليده أعمال الخراج بمصر، و جلس فى ديوان الخراج لخمس بقين من جمادى الآخرة؛ ثم إلى دميانة البحرىّ بالانصراف عن مصر، فانصرف دميانة عنها لثمان بقين من جمادى الآخرة. و نزل عيسى النوشرىّ

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۴۶

المذکور فی الدار التی کانت سکنی بدر الحمّامیّ بمصر، و کانت بالموقف بسوق الطیر، و هی الدار التی کان نزل بها محمد بن سلیمان الکاتب لما افتتح مصر.

و کان خروج محمد بن سلیمان من مصر فی مستهلّ شهر رجب من السنة، و أخرج معه کلّ من بقی من الطّولونیّة بمصر، کما ذکرناه فی ترجمة شیبان بن أحمد ابن طولون، و استصحب معه أیضا جماعة بعد رحیله عنها، فخرج الجمیع إلی الشام، و هم: أبو جعفر محمد بن أبیّ و ابنه الحسن و طغج بن حفّ الذی کان نائب دمشق و ولده و أخوه و بدر و فائق الرومیّ الخازن و صافی الرومیّ و غیرهم من موالی أحمد و خمارویه، و خرج الجمیع موکّلا بهم، و أخرج معهم أیضا جماعة کثیرة ممن هم أقلّ رتبة ممّن ذکر، غیر أنّهم أیضا من أعیان الدولة و أکابر القوّاد، و هم: محمد ابن علیّ بن أحمد الماذرائیّ وزیر هارون بن خمارویه و أبو زرعة القاضی و أبو عبد اللّه محمد بن زرعة القاضی و خلق کثیر من آل طولون و غیرهم من الجند، و ضمّهم إلی عسکره وقت خروجه من مصر؛ فتخلّف عنه جماعة بدمشق و غیرها و سار معه بعضهم إلی حلب فی الحدید، و هم: موسی بن طرنیق و أحمد بن أعجر- و کانا علی شرطتی مصر کما تقدّم ذکره- و ابن با یخشی الفرغانیّ- و کان عاملا علی سیادة أسفل الأرض- و وصیف القاطرمیز و خصیف البربریّ مولی أحمد بن طولون:

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۴۷

فلما استقرّ قرار محمد بن سلیمان بحلب وافاه رسول الخلیفة بأن یسلّم ما کان معه من الأموال و الخیل و الطّرز و الذهب و غیر ذلک مما کان حمله من مصر إلی من أمر بتسلیمه إلیه، فقدّر المقدّرون فیه ما حمله من الأموال مع الذی أخذه من الناس ألفی ألف دینار؛ و تفرّق من کان معه من الجند من المصریّین، فمنهم من سار إلی العراق، و منهم من رجع یرید مصر إلی من خلّفه من أهله بها؛ فممّن رجع إلی مصر شفیع اللؤلؤیّ الخادم و رجل شابّ یقال له محمد بن علی الخلنجیّ من الجند من المصریّین، و محمد هذا ممن کان فی قیادة صافیّ الرّومیّ- أعنی أنه کان مضافه- فرجع محمد هذا یرید أهله و ولده، فخطر له خاطر ففکّر فیما حلّ بآل طولون و إزالة ملکهم و إخراجهم عن أوطانهم، فأظهر النّصرة لهم و القیام بدولتهم و أعلن ذلک و أبداه، و ذکر الذی عزم علیه لجماعة من المصریّین فبایعوه علی ذلک و عضدوه علی عصیانه؛ و انضمّ علیه شرذمة من المصریّین، فسار علی حمیّة حتّی وافی الرّملة فی شعبان من سنة اثنتین و تسعین و مائتین، فنزل محمد المذکور بمن معه بناحیة باب الزیتون؛ و کان بالرملة و صیف بن صوارتکین الأصغر فاستعدّ لقتاله، فقدّم وصیف جماعة مع محمد بن یزداد، ثم خرج وصیف ببقیّة جماعته فرأی محمد بن علیّ الخلنجیّ المذکور فی نفر یسیر من الفرسان، فزحف محمد بن علیّ الخلنجیّ بمن معه علی وصیف بن صوارتکین فهزمه و قتل رجاله و هرب من بقی بین یدیه.

و ملک محمد الرملة و دعا علی منابرها فی یوم الجمعة للخلیفة و بعده لإبراهیم بن خمارویه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۴۸

ثم بعدهما لنفسه؛ و تسامع الناس به فوافوه من کلّ فجّ لما فی نفوسهم من تشتّتهم عن بلادهم و أولادهم و أوطانهم، و صار الجمیع من حزب محمد المذکور من غیر بذل دینار و لا درهم. و بلغ عیسی النّوشریّ صاحب الترجمة و هو بمصر ما کان من أمر محمد بن علیّ الخلنجیّ، فجّهز عسکرا إلی العریش فی أسرع وقت من البحر، و ساروا حتی وافوا غزّة، فتقدّم إلیهم محمد بن علیّ الخلنجیّ بمن معه، فلما سمعوا به رجعوا إلی العریش، فسار محمد الخلنجیّ بمن معه خلفهم الی العریش، فانهزموا أمامه إلی الفرما ثم ساروا من الفرما إلی العبّاسة، و نزل محمد الخلنجیّ الفرما مکانهم؛ فلما سمع عیسی النوشریّ ذلک خرج من مصر بعسکر ضخم حتی نزل العبّاسة، و معه أبو منصور الحسین بن أحمد الماذرائیّ عامل خراج مصر و شفیع اللؤلؤیّ صاحب البرید، و رحل محمد الخلنجیّ حتی نزل جرجیر؛ فلما سمع عیسی النوشریّ قدومه الی جرجیر کرّ راجعا إلی مصر و نزل علی باب مدینة مصر، فأتاه الخبر بقدوم محمد ابن علی الخلنجیّ المذکور، فدخل إلی المدینة ثم خرج منها و معه أبو زنبور و عدا جسر مصر فی یوم الثلاثاء رابع عشر ذی القعدة سنة

اثنتين و تسعين و مائتين؛ ثم أحرق عيسى النوشرىّ جسرى المدينة الشرقىّ و الغربىّ جميعا حتّى لم يبق من مراكبهما مركبا واحدا- يعنى أنّ الجسر كان معقودا على المراكب- و هذه كانت عادة مصر تلك الأيّام. و نزل عيسى النوشرىّ و أقام ببرّ الجيزة، و بقيت مدينة مصر بلا وال عليها و لا حاكم فيها، و صارت مصر مأكلة للغوغاء يهجمون [على] البيوت و يأخذون الأموال من غير أن يردّهم أحد عن ذلك، فإنّ عيسى النوشرىّ ترك مصر و أقام ببرّ الجيزة خوفا من محمد المذكور؛ فقوى لذلك شوكة محمد الخلنجىّ و استفحل أمره، و سار من جرجير حتى دخل مدينة مصر فى يوم سادس عشرين ذى القعدة من السنة من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۴۹

غير ممانع. و كان محمد المذكور شابّا شجاعا مقداما مكبّا على شرب الخمر و اللهو عاصيا ظالما، و مولده بمدينة مصر و نشأ بها؛ فلما دخلها طاف بها و دخل الجامع و صلّى فيه يوم الجمعة، و دعا له الإمام على المنبر بعد الخليفة و إبراهيم بن خمارويه، ففرح به أهل مصر إلى الغاية و قاموا معه، فمهّد أمورها و قمع المفسدين و تخلّق أهل مصر بالزعفران، و خلّقوا وجه دابّته و وجوه دوابّ أصحابه فرحا به. و لم يشتغل محمد الخلنجىّ المذكور بشاغل عن بعثه فى أثر عيسى النوشرىّ و جهّز عسكرا عليه رجل من أصحابه يقال له خفيف النوبىّ- و خفيف من الخفة- و أمره باقتفاء أثر عيسى النوشرىّ حيث سلك؛ فخرج خفيف المذكور و تتابع مجيء العساكر إليه فى البرّ و البحر. و بلغ عيسى النوشرىّ مسير خفيف إليه فرحل من مكانه حتى وافى الإسكندريّة و خفيف من ورائه يتبعه.

و أما محمد الخلنجىّ فإنّه قلّد وزارته ... بن موسى النصرانىّ، و قلّد أخاه إبراهيم ابن موسى على خراج مصر، و قلّد شرطة المدينة لإبراهيم بن فيروز، و قلّد شرطة العسكر لعبد الجبّار بن أحمد بن أعجر؛ و أقبل الناس إليه من جميع البلدان حتّى بلغت عساكره زيادة على خمسين ألفا، و فرض لهم الأرزاق السنيّة، فاحتاج الى الأموال لإعطاء الرجال، و كان فى البلد نحو تسعمائة ألف دينار، و كانت معبّأة فى الصناديق للحمل للخليفة، و هى عند أبى زنبور و عيسى النّوشرىّ صاحب الترجمة؛ فلما خرجا من البلد وزّعاها فلم يوجد لها أثر عند أحد بمصر، و عمد الحسين ابن أحمد الى جميع علوم دواوين الخراج فأخرجها عن الدواوين قبل خروجه من مصر لئلّا يوقف على معرفة أصول الأموال فى الضياع فيطالب بها أهل الضّياع بما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۵۰

عليهم من الخراج؛ و حمل معه أيضا جماعة من المتقبّلين- أعنى المدركين و الكتّاب- لئلا يطالبوا بما عليهم من الأموال، منهم: وهب بن عيّاش المعروف بابن هانئ، و ابن بشر المعروف بابن الماشطة و إسحاق بن نصير النصرانىّ و أبو الحسن المعروف بالكاتب، و ترك مصر بلا كتّاب. فلم يلتفت محمد الخلنجىّ الى ذلك و طلب المتقبّلين و أغلظ عليهم؛ ثم وجد من الكتّاب من أوقفه على أمور الخراج و أمر الدواوين؛ ثم قلّد لأحمد بن القوصىّ ديوان الإعطاء. و تحوّل من خيمته من ساحل النيل و سكن داخل المدينة فى دار بدر الحمامىّ التى كان سكنها عيسى النوشرىّ بعد خروج محمد بن سليمان الكاتب من مصر، و هى بالحمراء على شاطئ النيل. و أجرى محمد الخلنجىّ أعماله على الظلم و الجور و صادر أعيان البلد فلقى الناس منه شدائد، إلا أنّه كان اذا أخذ من أحد شيئا أعطاه خطّه و يعده أن يردّ له ما أخذ منه أيّام الخراج.

و أما عيسى النوشرىّ صاحب الترجمة و أبو زنبور الحسين بن أحمد فإنّهما وصلا بعسكرهما قريب الإسكندرية و خفيف النوبىّ فى أثرهما لا قريبا منهما؛ و كان أبو زنبور قد أرسل المتقبّلين و الكتّاب الى الإسكندرية ليتحصنوا بها. و تابع محمد الخلنجىّ العساكر الى نحو خفيف النوبىّ نجدة له فى البرّ و البحر؛ فكان ممن ندبه محمد الخلنجىّ محمد بن لمجور فى ستّ مراكب بالسلاح و الرجال، فسار حتى وافى الإسكندريّة فى يوم الخميس نصف ذى الحجة، و كان بينه و بين أهل الاسكندرية مناوشة حتى دخلها و خلّص بعض أولئك المتقبّلين و الكتّاب و حملهم الى مصر؛ و أخذ أيضا لعيسى النوشرىّ و لأبى زنبور ما وجده لهما بالاسكندريّة و فرّقه على عساكره؛ و أقام بعسكره مواقفا عيسى النوشرىّ خارجا عن الإسكندريّة أياما، ثم انصرف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۵۱

الى مصر، و انصرف عيسى النوشريّ الى ناحية تروجة، فوافاه هناك خفيف النوبى و واقعه، فكانت بينهما وقعة هائلة انهزم فيها خفيف النوبىّ و قتل جماعة من أصحابه، و لم يزل خفيف فى هزيمته الى أن وصل الى مصر بمن بقى معه من أصحابه؛ فلم يكترث محمد الخلنجيّ بذلك و أخذ فى إصلاح أموره؛ و بينما هو فى ذلك ورد عليه الخبر بمجيء العساكر إليه من العراق صحبة فاتك و بدر الحمّاميّ و غيرهما؛ فجهّز محمد الخلنجيّ عسكرا لقتال النوشريّ و قد توجّه النوشريّ نحو الصعيد، ثم خرج هو فى عساكره الى أن وصل الى العريش، ثم وقع له مع عساكر العراق و جيوش النوشريّ وقائع يطول شرحها، حتى أجدبت مصر و حصل بها الغلاء العظيم، و عدمت الأقوات من كثرة الفتن، و طال الأمر حتى ألجأ ذلك [إلى] عود محمد بن عليّ الخلنجيّ الى مصر عجزا عن مقاومة عساكر العراق و عساكر أبى الأغرّ بمنية الأصبغ بعد أن واقعهم غير مرّة و طال الأمر عليه؛ فلمّا رأى أمره فى إدبار و علم أنّ أمره يطول ثم يؤول الى انهزامه دبّر فى أمره ما دام فيه قوّة فأطلع عليه محمد بن لمجور المقدّم ذكره و هو أحد أصحابه و عرّفه سرّا بأشياء يعملها و أمره أن يركب بعض المراكب الحربيّة، و حمل معه ولده و ما أمكنه من أمواله و واطأه على الركوب معه و أمره بانتظاره ليتوجّه صحبته فى البحر الى أىّ وجه شاء هاربا؛ فشحن محمد بن لمجور مركبه بالسلاح و المال و صار ينتظر محمدا الخلنجيّ صاحب الواقعة، و محمد الخلنجيّ يدافع عسكر عيسى النوشريّ تارة و عسكر الخليفة مرّة الى أن عجز و خرج من مصر الى نحو محمد بن لمجور حتّى وصل إليه؛ فلما رآه محمد بن لمجور قد قرب منه رفع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۵۲

مراسيه و أوهمه أنه يريده، فلما دنا منه ناداه محمد بن عليّ الخلنجيّ ليصير إليه و يحمله معه فى المركب، فلما رآه محمد بن لمجور و سمع نداءه سبّه و قال له: مت بغيظك قد أمكن اللّه منك! و تأخّر و ضرب بمقاذيفه و انحدر فى النيل، و ذلك لما كان فى نفس محمد بن لمجور من محمد بن عليّ الخلنجيّ ممّا أسمعه قديما من المكروه و الكلام الغليظ؛ فلمّا رأى محمد الخلنجيّ خذلان محمد بن لمجور له و لم يتمّ له الهرب كرّ راجعا حتى دخل مدينة مصر و قد انفلّ عنه عساكره فصار الى منزل رجل كان يعنى بإخفائه و يأمنه على نفسه ليختفى عنده؛ فخافه المذكور و تركه هاربا و توجّه إلى السلطان فتنصّح إليه و أعلمه أنّه عنده؛ فركب السلطان و أكابر الدولة و العساكر حتّى قبضوا عليه، و كان ذلك فى صبيحة يوم الاثنين ثامن شهر رجب من سنة ثلاث و تسعين و مائتين؛ فكانت مدّة عصيانه منذ دخل إلى مصر الى أن قبض عليه سبعة أشهر و اثنين و عشرين يوما. و دخل فاتك و بدر الحمامىّ بعساكرهما و عساكر العراق حتى نزلا بشاطئ النيل، ثم وافاهم الأمير عيسى النّوشريّ من الفيّوم حسبما يأتى ذكره فى ترجمته فى ولايته الثانية على مصر- أعنى عوده إلى ملكه بعد الظفر بمحمد بن عليّ الخلنجيّ- و نزل عيسى بدار فائق، فإن بدرا كان قد قدم إلى مصر و نزل فى داره التى كان النوشريّ نزل فيها أوّلا، و دعا للخليفة على منابر مصر ثم من بعده لعيسى النوشريّ. هذا و أمور مصر مضطربة الى غاية ما يكون. و قلّد عيسى شرطة العسكر لمحمد بن طاهر المغربىّ، و شرطة المدينة ليوسف بن إسرائيل، و تقلّد أبو زنبور الخراج على عادته. و أخذ النوشريّ فى إصلاح أمور مصر و الضّياع و تتبّع أصحاب محمد الخلنجيّ من الكتّاب و الجند و غيرهم، و قبض على جماعة كثيرة منهم، مثل:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۵۳

السّريّ بن الحسين الكاتب و أبى العباس أحمد بن يوسف كاتب ابن الجصّاص- و كان على نفقات محمد الخلنجيّ- و جماعة أخر يطول الشرح فى ذكرهم. و أما محمد بن لمجور و كيغلغ و بدر الكريمىّ و جماعة أخر من أصحاب محمد الخلنجيّ فإنهم تشتّتوا فى البلاد. ثم دخل محمد بن لمجور مصر متنكّرا، فقبض عليه و طيف به و معه غلام آخر لمحمد الخلنجيّ، ثم عوقب محمد بن لمجور حتى استخلص منه الأموال؛ ثم جهّز الأمير عيسى النوشريّ محمدا الخلنجيّ فى البحر إلى أنطاكية، فخرجوا منها و دخلوا العراق الى عند الخليفة، ثم بعد ذلك ورد كتاب الخليفة على عيسى النوشريّ فى شهر رمضان باستقراره فى أعمال مصر جميعا قبليّها و بحريّها حتى الإسكندريّة والى النّوبة و الحجاز.

ذكر ولاية محمد بن علىّ الخلنجىّ على مصر

هو محمد بن علىّ الخلنجىّ الأمير أبو عبد اللّه المصرىّ الطّولونىّ، ملك الديار المصريّة بالسيف و استولى عليها عنوة من الأمير عيسى بن محمد النّوشرىّ. و قد مرّ من ذكره فى ترجمة عيسى النوشرىّ ما فيه كفاية عن ذكره هنا ثانيا، غير أنّنا نذكره على حدته لكونه ملك مصر؛ و ذكره بعض أهل التاريخ فى أمراء مصر، فلهذا جعلنا له ترجمة مستقلّة خوفا من الاعتراض و الاستدراك علينا بعدم ذكره.

و لما ملك محمد بن علىّ الخلنجىّ الديار المصريّة، مهّد البلاد و وطّن الناس و وضع العطاء و فرض الفروض؛ فجهّز الخليفة المكتفى باللّه جيشا لقتاله و عليهم أبو الأغرّ، و فى الجيش الأمير أحمد بن كيغلغ و غيره؛ فخرج اليهم محمد بن على الخلنجىّ هذا و قاتلهم فى ثالث المحرّم من سنة ثلاث و تسعين و مائتين فهزمهم أقبح هزيمة و أسر من جماعة أبى الأغرّ خلقا كثيرا؛ و عاد أبو الأغرّ لثمان بقين من المحرّم حتى وصل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۵۴

الى العراق؛ فعظم ذلك على الخليفة المكتفى و جهّز إليه العساكر ثانيا صحبة فاتك المعتضدىّ فى البرّ و جهّز دميانة فى البحر؛ فقدم فاتك بجيوشه حتى نزل بالنّويرة.

و قد عظم أمر الخلنجىّ هذا، و أخرج عيسى النّوشرىّ عن مصر و أعمالها بأمور وقعت له معه ذكرناها فى ترجمة عيسى النوشرىّ، ليس لذكرها هنا ثانيا محلّ. و لما بلغ الخلنجىّ مجىء عسكر العراق ثانى مرّة صحبة فاتك، جمع عسكره و خرج إلى باب المدينة و عسكر به، و قام بالليل بأربعة آلاف من أصحابه ليبيّت فاتكا و أصحابه، فضلّوا عن الطريق و أصبحوا قبل أن يصلوا الى النويرة؛ فعلم بهم فاتك فهضّ أصحابه و التقى مع الخلنجىّ قبل أن يصلوا الى النويرة، فتقاتلا قتالا شديدا انهزم فيه الخلنجىّ بعد أن ثبت ساعة بعد فرار أصحابه عنه، و دخل إلى مصر و استتر بها لثلاث خلون من شهر رجب، ثم قبض عليه و حبس، حسبما ذكرناه فى ترجمة النوشرىّ؛ ثم دخل دميانة بالمراكب إلى مصر و أقبل عيسى النوشرىّ من الصعيد و معه الحسين الماذرائىّ و من كان معهما من أصحابهما لخمس خلون من رجب المذكور؛ و عاد النوشرىّ إلى ما كان عليه من ولاية مصر، و الحسين الماذرائىّ على الخراج؛ و زالت دولة محمد بن علىّ الخلنجىّ عن مصر بعد أن حكمها سبعة أشهر و اثنين و عشرين يوما، كلّ ذلك ذكرناه فى ترجمة النوشرىّ و لم نذكره هنا إلا لزيادة الفائدة؛ و أيضا لما قدّمناه فى أوّل ترجمته. ثم إنّ عيسى النوشرىّ قيّد محمد بن علىّ الخلنجىّ هذا و جماعة من أصحابه، و حملهم فى البحر إلى أنطاكية ثم منها فى البرّ إلى العراق إلى حضرة الخليفة، فأوقف بين يديه فوبّخه ثم نكّل به، و طيف به و بأصحابه على الجمال، ثم قتل شرّ قتلة، و زالت دولته و روحه بعد أن أفسد أحوال الديار المصريّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۵۵

و تركها خرابا يبابا من كثرة الفتن و المصادرات. قلت: و أمر محمد هذا من العجائب، فإنّه أراد أخذ ثأر بنى طولون و الانتصار لهم غيرة على ما وقع من محمد بن سليمان الكاتب من إفساده الدّيار المصريّة، فوقع منه أيضا أضعاف ما فعله محمد بن سليمان الكاتب، و كان حاله كقول القائل:

رام نفعا و ضرّ من غير قصد و من البرّ ما يكون عقوقا

ذكر عود عيسى النوشرىّ إلى مصر

دخلها بعد اختفاء محمد بن علىّ الخلنجىّ بيومين، و ذلك فى خامس شهر رجب سنة ثلاث و تسعين و مائتين، ثم دخل فاتك بعساكره إلى مصر فى يوم عاشر رجب، و تسلّم الخلنجىّ و أرسله فى البحر لست خلون من شعبان و وقع ما حيكناه فى ترجمته من قتله

و تشهيره. و أما عيسى النوشرىّ فإنه ابتدأ فى أوّل شهر رمضان بهدم ميدان أحمد بن طولون، و بيعت أنقاضه بأبخس ثمن، و كان هذا الميدان و قصوره من محاسن الدنيا. و قد تقدّم ذكر ذلك فى عدّة أماكن فى ترجمة ابن طولون و ابنه خمارويه و غير ذلك. و دام فاتك بالديار المصريّة إلى النصف من جمادى الأولى سنة أربع و تسعين و مائتين [و] خرج منها إلى العراق. ثم أمر الأمير عيسى النوشرىّ بنفى المؤنّثين من مصر، و منع النّوح و النداء على الجنائز، و أمر بإغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلاتين، ثم أمر بفتحه بعد أيّام؛ ثم ورد عليه الخبر بموت الخليفة المكتفى بالله علىّ فى ذى القعدة سنة خمس و تسعين و مائتين؛ فلما يمع الجند بموت الخليفة شغبوا على عيسى النوشرىّ و طلبوا منه مال البيعة بالخلافة للمقتدر جعفر، و ظفر النوشرىّ بجماعة منهم؛ و لما استقرّ المقتدر فى الخلافة أقرّ عيسى هذا على عمله بمصر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۵۶

ثم قدم على عيسى زيادة اللّه بن إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقيّة مهزوما من أبى عبد اللّه الشيعىّ فى شهر رمضان سنة ست و تسعين و مائتين، و نزل بالجيزة و أراد الدخول إلى مصر فمنعه من الدخول إليها؛ فوقع بين أصحابه و بين جند مصر مناوشة و بعض قتال إلى أن وقع الصلح بينهم على أن يعبرها وحده من غير جند، فدخلها و أقام بها. و لم تطل أيام الأمير عيسى بعد ذلك، و مرض و لزم الفراش إلى أن مات، فى يوم سادس عشرين من شعبان سنة سبع و تسعين و مائتين و هو على إمرة مصر. و كانت ولايته على مصر خمس سنين و شهرين و نصف شهر؛ منها ولاية الخلنجىّ على مصر سبعة أشهر و اثنان و عشرون يوما. و قام من بعده على مصر ابنه أبو الفتح محمد بن عيسى، إلى أن ولّى تكين الحربىّ، و حمل عيسى النوشرىّ إلى القدس و دفن به. و كان عيسى هذا أميرا جليلا شجاعا مقداما عارفا بالأمور، طالت أيامه فى السعادة، و ولى الأعمال مثل إمرة دمشق من قبل المنتصر و المستعين، و ولى شرطة بغداد أيام المكتفى، ثم ولى أصبهان و الجبال، إلى أن ولّاه المكتفى إمرة مصر.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۲]

السنة التى حكم فيها أربعة أمراء على مصر، و هى سنة اثنتين و تسعين و مائتين، و الأمراء الأربعة: شيبان بن أحمد بن طولون، و محمد بن سليمان الكاتب، و عيسى النّوشرىّ، و محمد بن علىّ الخلنجىّ- فيها (أعنى سنة اثنتين و تسعين و مائتين) قدم بدر الحمّامىّ الذى قتل القرمطىّ، فنلقّاه أرباب الدولة، و خلع عليه الخليفة و خلع على ابنه أيضا، و طوّق بدر المذكور و سوّر و قيّدت بين يديه خيل الخليفة جنائب و حمل إليه مائة ألف درهم. و فيها وافت هديّة إسماعيل بن أحمد أمير خراسان الى بغداد كان فيها ثلثمائة جمل عليها صناديق فيها المسك و العنبر و الثياب من كلّ لون

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۵۷

و مائة غلام و أشياء كثيرة غير ذلك. و فيها حجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمى و فيها فى ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب و لتسع عشرة خلت من أيّار،- و هو بشنس بالقبطىّ- طلع كوكب الذنب فى الجوزاء. و فيها فى جمادى الأولى زادت دجلة زيادة لم ير مثلها حتّى خربت بغداد، و بلغت الزيادة إحدى و عشرين ذراعا. و فيها توفّى إبراهيم بن عبد اللّه بن مسلم الحافظ أبو مسلم الكجّىّ البصرىّ، ولد سنة مائتين، و قدم بغداد و كان يملى برحبة غسان، و كان يملى على سبعة، كلّ واحد منهم يبلّغ الذى يليه، و كتب الناس عنه قياما بأيديهم المحابر، و مسح المكان الذى كانوا قياما فيه، فحزروا نيّفا و أربعين ألف محبرة؛ و كانت وفاته ببغداد لتسع خلون من المحرّم. و فيها توفى إدريس بن عبد الكريم أبو الحسن الحدّاد المقرئ، ولد سنة تسع و تسعين و مائة، و مات ببغداد يوم الأضحى و هو ابن تسعين سنة؛ سئل عنه الدارقطنىّ فقال: هو ثقة و فوق الثقة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أحمد بن الحسين المصرىّ الأيلىّ، و أبو بكر أحمد بن علىّ بن سعيد

قاضى حمص، و أحمد بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۵۸

عمرو أبو بكر البزّار، و أبو مسلم الكجّىّ، و إدريس بن عبد الكريم المقرئ؛ و أسلم ابن سهل الواسطىّ، و أبو حازم القاضى عبد الحميد بن عبد العزيز، و علىّ بن محمد ابن عيسى الجكّانىّ، و على بن جبلة الأصبهانىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و ستّ عشرة إصبعا، مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و إصبع واحدة و نصف.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۳]

السنة الثانية من ولاية عيسى النّوشرىّ على مصر، و هى سنة ثلاث و تسعين و مائتين- فيها توجّه القرمطىّ الى دمشق و حارب أهلها، فغلب عليها و دخلها و قتل عامّة أهلها من الرجال و النساء، و نهبها و انصرف الى ناحية البادية. و فيها حجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ. و فيها عمل على دجلة من جانبيها مقياس مثل مقياس مصر، طوله خمس و عشرون ذراعا، و لكلّ ذراع علامات يعرفون بها الزيادة، ثم خرب بعد ذلك. و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد أبو العباس الأنبارىّ الناشى الشاعر المشهور، كان فاضلا بارعا، و له تصانيف ردّ فيها على الشعراء و أهل المنطق، و عمل قصيدة واحدة فى قافية واحدة و روىّ واحد أربعة آلاف بيت، و مات بمصر.

و من شعره:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۵۹

عدلت على ما لو علمت بقدره بسطت فكان العدل و اللوم من عذرى

جهلت و لم تعلم بأنّك جاهل فمن لى بأن تدرى بأنّك لا تدرى

و من شعره قوله:

و كان لنا أصدقاء حماة و أعداء سوء فما خلّدوا

تساقوا جميعا بكأس الردى فمات الصديق و مات العدو

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى إبراهيم بن على الذّهلى، و داود بن الحسين البيهقىّ، و عبدان المروزىّ، و عيسى بن محمد [بن عيسى] ابن طهمان المروزىّ، و الفضل بن العبّاس بن صفوان الأصبهانىّ، و محمد بن أسد المدنىّ، و محمد بن عبدوس بن كامل السرّاج، و هميم بن همّام الطبرىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و سبع أصابع و نصف، مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و سبع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۴]

السنة الثالثة من ولاية عيسى النّوشرىّ على مصر، و هى سنة أربع و تسعين و مائتين- فيها خرج زكرويه القرمطىّ من بلاد القطيف يريد الحاجّ، فوافاهم و قاتلهم حتّى ظفر بهم، و واقع الحاجّ و أخذ جميع ما كان معهم، و كان قيمة ذلك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۶۰

ألفى ألف دينار بعد أن قتل من الحاجّ عشرين ألفا. و جاء الخبر إلى بغداد بذلك، فعظم ذلك على المكتفى و على المسلمين، و وقع النّوح و البكاء و انتدب جيش لقتاله فساروا، و سار زكرويه الى زبالة فنزلها، و كانت قد تأخرت القافلة الثالثة و هى معظم الحاجّ، فسار زكرويه المذكور ينتظرها، و كان فى القافلة أعين أصحاب السلطان و معهم الخزائن و الأموال و شمسة الخليفة، فوصلوا إلى فيد و

بلغهم الخبر فأقاموا ينتظرون عسكر السلطان فلم يرد عليهم الجند، فساروا فوافوا الملعون بالهبير فقاتلهم يوما إلى الليل ثم عاودهم الحرب فى اليوم الثانى، فعطشوا و استسلموا، فوضع فيهم السيف فلم يفلت منهم إلا اليسير، و أخذ الحريم و الأموال؛ فندب المكتفى لقتاله القائد وصيفا و معه الجيوش، و كتب إلى شيبان أن يوافوا فجاءوا فى ألفين و مائتى فارس، فلقيه و صيف يوم السبت رابع شهر ربيع الأوّل، فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل، و أصبحوا على القتال فنصر اللّه و صيفا و قتل عامّة أصحاب زكرويه المذكور، الرجال و النساء، و خلّصوا من كان معه من النساء و الأموال، و خلص بعض الجند إلى زكرويه فضربه و هو مولّ على قفاه، ثم أسره و أسروا خليفته و خواصّه و ابنه و أقاربه و كاتبه و امرأته؛ فعاش زكرويه خمسة أيام و مات من الضربة، فشقّوا بطنه و حمل إلى بغداد، و قتل الأسارى و أحرقوا. و قيل: إن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۶۱

الذى جرح زكرويه هو وصيف بنفسه. قلت: لا شلّت يداه. و تفرّق أصحاب زكرويه فى البرّيّة و ماتوا عطشا. و فيها توفّى محمد بن نصر أبو عبد اللّه المروزىّ الفقيه أحد الأئمة الأعلام و صاحب التصانيف الكثيرة و الكتب المشهورة؛ مولده ببغداد فى سنة اثنتين و مائتين و نشأ بنيسابور و استوطن سمرقند، و كان أعلم الناس باختلاف الصحابة و من بعدهم فى الأحكام. و فيها توفّى صالح بن محمد ابن عمرو بن حبيب بن حسان بن المنذر بن أبى الأبرش عمّار، مولى أسد بن خزيمة، الحافظ أبو علىّ الأسدىّ البغدادىّ المعروف بجزرة نزيل بخارى، ولد سنة خمس و مائتين ببغداد. قال أبو سعيد الإدريسىّ الحافظ: صالح بن محمد جزرة ما أعلم فى عصره بالعراق و خراسان فى الحفظ مثله. و لقّب جزرة لأنه جاء فى حديث عبد اللّه بن بشر أنه كانت عنده خرزة يرقى بها المرضى، و كانت لأبى أمامة الباهلىّ، فصحّفها جزرة (بجيم و زاى معجمتين).

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الحسن بن المثنّى العنبرىّ، و أبو على صالح بن محمد جزرة، و عبيد العجلىّ، و محمد بن إسحاق بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۶۲

[مخلد المعروف بابن] راهويه الفقيه، و محمد بن أيوب بن الضّريس الرازىّ، و محمد بن معاذ الحلبىّ دران، و محمد بن نصر المروزىّ الفقيه، و موسى بن هارون الحافظ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و إصبع واحدة، مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۵]

السنة الرابعة من ولاية عيسى النّوشرىّ على مصر، و هى سنة خمس و تسعين و مائتين- فيها كان الفداء بين المسلمين و بين الروم، فكانت عدّة من فودى من المسلمين ثلاثة آلاف إنسان. و فيها بعث الخليفة المكتفى خاقان البلخىّ الى إقليم أذربيجان لحرب يوسف بن أبى الساج فسار فى أربعة آلاف. و فيها فى ذى القعدة مات الخليفة المكتفى بالله أبو محمد علىّ بن المعتضد بالله أحمد ابن ولىّ العهد طلحة الموفّق ابن الخليفة المتوكّل على اللّه جعفر بن محمد المعتصم بن الرشيد هارون بن المهدىّ محمد بن أبى جعفر المنصور عبد اللّه بن محمد بن علىّ بن عبد اللّه بن العبّاس العباسىّ الهاشمىّ أمير المؤمنين؛ ولد سنة أربع و ستين و مائتين، و كان يضرب المثل بحسنه فى زمانه، كان معتدل القامة درّىّ اللون أسود الشعر حسن اللحية جميل الصورة، و أمّه أمّ ولد تسمّى خاضع. بويع بالخلافة بعد موت والده المعتضد فى جمادى الأولى سنة تسع و ثمانين و مائتين، و كانت خلافته ستة أعوام و نصفا، و بويع بالخلافة بعده أخوه جعفر المقتدر. و خلّف المكتفى فى بيت المال خمسة عشر ألف ألف دينار،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۶۳

و هو الـذى خلّفه المعتضـد و زاد على ذلك المكتفى أمثالها. و فيها توفّى إبراهيم بن محمـد ابن نوح بن عبـد اللّه الحافظ أبو إسـحاق النّيسابوريّ، كان إمام عصـره بنيسابور فى معرفة الحديث و العلل و الرجال و الزهد و الورع، و كان الإمام أحمد بن حنبل يثنى عليه. و فيها توفى أبو الحسـين أحمـد بن محمـد [بن الحسـين] النّوريّ البغداديّ المولد و المنشأ، و أصـله من خراسان من قرية بين هراة و مرو الروذ. و إنما سـمّى النّوريّ لأنه كان إذا حضـر فى مكان ينوّر، كان أعظم مشايخ الصوفيّة فى وقته، كان صاحب لسان و بيان، كان من أقران الجنيـد بـل أعظم. و فيهـا توفّى إسـماعيل بن أحمـد بن أسـد بن سامان أحـد ملوك السامانيـة، و هم أرباب الولايات بالشاش و سمرقنـد و فرغانـة و ما وراء النهر، ولى إمرة خراسان بعـد عمرو بن الليث الصـفّار، و كان ملكا شـجاعا صالحا بنى الرّبط فى المفاوز و أوقف عليها الأوقاف، و كل رباط يسع ألف فارس، و هو الذى كسر الترك؛ و لمّا توفّى تمثّل الخليفة بقول أبى نواس:

لم يخلق الدهر مثله أبدا هيهات هيهات شأنه عجب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۶۴

و فيهـا تـوفى أبـو حمزة الصّوفىّ الصالـح الزاهـد الورع، كـان من أقران الجنيـد و أبى تراب النّخشـبىّ، كـان من كبـار مشايـخ القوم و أزهدهم و أورعهم و أفتاهم، و له المجاهدات و الرياضات المشهورة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السـنة، قال: و فيها توفّى أبو الحسين النّوريّ شيخ الصوفيّة أحمد بن محمد، و إبراهيم بن أبى طالب الحافظ، و إبراهيم بن معقل قاضـى نسف، و الحسن بن على المعمرىّ، و الحكم بن معبـد الخزاعىّ، و أبو شـعيب الحرّانىّ، و المكتفى بالله بن المعتضد، و أبو جعفر محمد بن أحمد التّرمذىّ الفقيه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ثلاث أصابع، مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و ستّ عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۶]

السـنة الخامسة من ولاية عيسـى النّوشـرىّ على مصـر، و هى سنة ستّ و تسعين و مائتين- فيها خلع الخليفة جعفر المقتدر من الخلافة و بويع عبد اللّه بن المعتزّ بالخلافة، و سـبب خلعه صـغر سنّه و قصوره عن تدبير الخلافة و استيلاء أمّه و القهرمانة على الخلافة، و كانت أمّه أمّ ولد تسمّى شغب؛ فآتفق الجند على قتله و قتل وزيره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۶۵

العبّاس [بن الحسن] و قتل فاتك المعتضـدىّ، وثبوا على هؤلاء و قتلوهم. و كان المقتـدر بالحلبة يلعب بالصّوالجة - أعنى بالكرة على عادة الملوك- فلما بلغه قتلهم نزل و أغلق باب القصـر؛ فبايعوا عبـد اللّه بن المعتزّ بشـروط شـرطها عبـد اللّه عليهم، و كان عبد اللّه بن المعتزّ أشعر بنى العباس و [من] خيارهم؛ و لقّبوه بالمنصف بالله، و قيل: بالغالب بالله، و قيل: بالراضى بالله، و قيل: بالمرتضى؛ و استوزر محمد بن داود بن الجرّاح.

و لمـا بلّغ هـذا الخبر الى أبى جعفر الطبرىّ قـال: و من رشّـح للوزارة؟ قـالوا: محمـد بن داود؛ قال: و من ذكر للقضاء؟ قالوا: أبو المثّنى أحمد بن يعقوب؛ ففكّر طويلا و قال:

هـذا أمر لا يتمّ؛ قيل: و لم؟ قال: لأن كلّ واحـد من هؤلاء الذين ذكرتم مقدّم فى نفسه عالى الهمة رفيع الرتبة فى أبناء جنسه، و الزمان مدبر و الدولة مولّية. و كان كما قال.

و خلع عبد اللّه بن المعتزّ من يومه و قتل من الغد؛ و كانت خلافته يوما و ليلة، و قيل:

بل نصف نهار و هو الأصحّ. و قتل ابن المعتزّ و وصـيف بن صوارتكين و يمن الخادم و جماعة من القضاة و الفقهاء الذين اتفقوا على خلع المقتدر، قتلهم مؤنس الخادم، و أعيد جعفر المقتدر الى الخلافة. و فيها استوزر المقتدر أبا الحسن علىّ بن محمد بن الفرات.

و فيها أمر المقتدر ألّا يستخدم أحد [من] اليهود و النصارى إلا فى الطب و الجهبذة فقط، و أن يطالبوا بلبس العسلىّ و تعليق الرّقاع المصبوغة بين أظهرهم. و فيها وقع ببغداد ثلج فى كانون فى أوّل النّهار الى العصر و أقام أيّاما لم يذب. و فيها انصرف أبو عبد اللّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۶۶

الداعى إلى سجلماسة فافتتحها و أخرج المهدىّ عبيد اللّه و ولده من حبس اليسع [ابن مدرار] و أظهر أمره و أعلم أصحابه أنّه صاحب دعوته و سلّم عليه بأمير المؤمنين، و ذلك فى سابع ذى الحجة من سنة ستّ هذه. و عبيد اللّه هذا هو والد الخلفاء الفاطميّين و هو أوّل من ظهر منهم كما سيأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى فى هذا الكتاب فى ترجمة المعزّ و غيره. و فيها توفّى أحمد بن محمد بن هانئ أبو بكر الطائى الأثرم الحافظ، سمع الكثير و رحل [الى] البلاد و صنّف علل الحديث و الناسخ و المنسوخ فى الحديث، و كان حافظا ورعا متقنا. و فيها توفّى أمير المؤمنين أبو العبّاس عبد اللّه ابن الخليفة المعتزّ باللّه محمد ابن الخليفة المتوكّل على اللّه جعفر ابن الخليفة المعتصم باللّه محمد ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة محمد المهدىّ ابن الخليفة أبى جعفر المنصور عبد اللّه بن محمد بن علىّ بن عبد اللّه بن العباس الهاشمىّ العباسىّ البغدادىّ، الشاعر الأديب صاحب الشعر البديع و التشبيهات الرائقة و النثر الفائق، أخذ العربيّة و الأدب عن المبرّد و ثعلب و عن مؤدّبه أحمد بن سعيد الدمشقىّ، و مولده فى شعبان سنة تسع و أربعين و مائتين، و أمّه أمّ ولد تسمّى خاين، بويع بالخلافة بعد خلع المقتدر و كاد أمره أن يتمّ ثم تفرّق عنه جمعه فقبض عليه و قتل سرّا فى شهر ربيع الآخر، كما ذكرناه فى أوّل هذه السنة. و من شعره:

انظر إلى اليوم ما أحلى شمائله صحو و غيم و إبراق و إرعاد

كأنّه أنت يا من لا شبيه له وصل و هجر و تقريب و إبعاد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۶۷

و له فى خال مليح:

أسفر ضوء الصبح من وجهه فقام خال الخدّ فيه بلال

كأنّما الحال على خدّه ساعة هجر فى رمان الوصال

قلت: و يعجبنى فى هذا المعنى قول السروجىّ:

فى الجانب الأيمن من خدّها نقطة مسك أشتهى شمّها

حسبته لما بدا خالها وجدته من حسنه عمّها

و أخذ فى هذا المعنى المعزّ الموصلىّ فقال:

لحظت من وجنتها شامة فابتسمت تعجب من حالى

قالت قفوا و اسمعوا ما جرى قد هام عمّى الشيخ فى خالى

و من شعر ابن المعتزّ أيضا بيت مفرد:

فنون و المدام و لون خدّى شقيق فى شقيق فى شقيق

قلت: و يشبه هذا قول ابن الرومىّ حيث قال:

كأنّ الكأس فى يده و فيه عقيق فى عقيق فى عقيق

قلت: و من تشابيه ابن المعتز البديعة قوله ينعت البنفسج:

و لا زورديّة تزهو بزرقتها وسط الرياض على حمر اليواقيت

كأنّها و ضعاف القضب تحملها أوائل النار فى أطراف كبريت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۶۸

الـذين ذكر الـذهبىّ وفاتهم فى هـذه السـنة، قال: و فيها توفّى أحمـد بن نجـدة الهروىّ، و أحمد بن يحيى الحلوانىّ، و خلف بن عمرو العكبرىّ، و عبد اللّه بن المعتزّ، و أبو الحصـين الوادعىّ محمد بن الحسـين، و محمد بن محمد بن شهاب البلخىّ، و يوسف ابن موسى القطّان الصغير.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع اذرع و تسع عشرة إصبعا، مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۷]

اشارة

السـنة السادسـة من ولايـة عيسـى النّوشـرىّ على مصـر، و هى سـنة سـبع و تسـعين و مـائتين- فيها حـجّ بالناس الفضل بن عبـد الملك الهاشـمىّ. و فيها وصل الخبر إلى العراق بظهور عبيد اللّه المسمى بالمهدىّ- أعنى جدّ الخلفاء الفاطميّين- و أخرج الأغلب من بلاده و بنى المهديّـة، و خرجت بلاد المغرب عن حكم بنى العباس من هذا التاريخ، و هرب ابن الأغلب و قصد العراق؛ فكتب إليه الخليفة أن يصـير إلى الرقّـة و يقيم بها. و فيها أدخل طاهر و يعقوب ابنا محمـد بن عمرو بن الليث الصـفّار بغـداد أسـيرين. و فيها توفّى الجنيد بن محمد بن الجنيد الشيخ الزاهد الورع المشهور أبو القاسم القواريرىّ الخزّاز، و كان أبوه يبيع الزجاج و كان هو يبيع الخزّ؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۶۹

و أصـله من نهاوند إلا أنّ مولده و منشأه ببغداد؛ و كان سيّد طائفة الصوفيّة من كبار القوم و ساداتهم، مقبول القول على جميع الألسن، و كان يتفقّه على مذهب أبى ثور الكلبىّ؛ أفتى فى حلقته و هو ابن عشـرين سـنة؛ و أخذ الطريقة عن خاله سرىّ السّقطىّ، و كان سرىّ أخـذها عن معروف الكرخىّ، و معروف الكرخىّ أخـذها عن علىّ بن موسـى الرّضا. قال الجنيـد: ما أخرج اللّه إلى الناس علما و جعل لهم إليه سبيلا إلّا و قد جعل لى فيه حظّا و نصـيبا. و قيل: إنه كان اذا جلس بدكّانه كان ورده فى اليوم ثلثمائة ركعة و كذا و كذا ألف تسبيحة. و قيل: إنه كان يفتح دكّانه و يسبل الستر و يصلّى أربعمائة ركعة. و قال الجريرىّ: سمعته يقول: ما أخذنا التصوّف عن القال و القيـل لكن عن الجوع و ترك الـدنيا و قطع المألوفات [و المستحسـنات]. و ذكر أبو جعفر الفرغانىّ أنه سـمع الجنيـد يقول: أقلّ ما فى الكلام سقوط هيبة الرب سبحانه و تعالى من القلب، و القلب إذا عرى من الهيبة عرى من الإيمان. و يقال: إنّ نقش خاتم الجنيد ": إن كنت تأمله فلا تأمنه. "و عن الخلدىّ عن الجنيد قال: أعطى أهل بغداد الشطح و العبادة، و أهل خراسان القلب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۷۰

و السـخاء، و أهل البصرة الزهد و القناعة، و أهل الشأم الحلم و السلامة، و أهل الحجاز الصبر و الإنابة. و قال إسماعيل بن نجيد: هؤلاء الثلاثة لا رابع لهم: الجنيد ببغداد، و أبو عثمان بنيسابور، و أبو عبد اللّه بن الجلّى بالشأم. و قال أبو بكر العطوىّ:

كنت عند الجنيد حين احتضـر فختم القرآن، قال: ثم ابتدأ فقرأ من البقرة سبعين آية ثم مات. و قال أبو نعيم: أخبرنا الخلدىّ كتابة قال: رأيت الجنيـد فى النوم فقلت: مـا فعـل اللّه بـك؟ قـال: طاحت تلك الإشارات، و غابت تلك العبارات، و فنيت تلك العلوم، و نفـدت تلك الرسوم، و ما نفعنا إلا ركعتان كنا نركعهما فى الأسـحار. قال أبو الحسـين [بن] المنادى: مات الجنيـد ليلـة النّوروز فى شوّال سـنة ثمـان و تسـعين و مائتين، قال: فـذكر لى أنهم حزروا الجمع الـذين صـلّوا عليه نحو ستين ألف إنسان، ثم ما زالوا يتعاقبون قبره فى كلّ يوم نحو الشهر. و دفن عند قبر سرىّ السّقطىّ. قال الذهبىّ: و ورّخه بعضهم فى سنة سبع فوهم. قلت:

ورّخه صاحب المرآة و غيره فى سـنة سـبع. و فيها توفّى عمرو بن عثمان أبو عبد اللّه المكىّ، سـكن بغداد و كان شـيخ القوم فى وقته، صحب الجنيد و غيره. و فيها توفّى الشيخ أبو الحارث الفيض بن الخضر أحمد، و قيل: الفيض بن محمد الأولاسىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۷۱

الطّرسوسىّ أحد الزهاد و مشايخ القوم، مات بطرسوس و كان صاحب حال و قال، و له إشارات و لسان حلو فى علم التصوّف. و فيها توفّى محمد بن داود [بن علىّ] بن خلف الشيخ أبو بكر الأصبهانىّ الظاهرىّ صاحب كتاب الزهرة، كان عالما أديبا فصيحا، و كان يلقّب بعصفور الشوك لنحافته و صفرة لونه؛ و لما جلس محمد هذا بعد وفاة أبيه فى مجلسه استصغروه عن ذلك، فسأله رجل عن حدّ السكر ما هو، و متى يكون الرجل سكران؟ فقال محمد على البديهة: إذا عزبت عنه الهموم، و باح بسرّه المكتوم؛ فاستحسنوا منه ذلك.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى إبراهيم بن هاشم البغوىّ، و إسماعيل بن محمد بن قيراط، و عبد الرّحمن بن القاسم بن الروّاسىّ الهاشمىّ، و عبيد بن غنّام، و محمد بن عبد اللّه مطيّن، و محمد بن عثمان بن [محمد بن] أبى شيبة، و محمد بن داود الظاهرىّ، و يوسف بن يعقوب القاضى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم تسع أذرع و إحدى عشرة إصبعا، مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا، و إحدى عشرة إصبعا.

ذكر ولاية تكين الأولى على مصر

هو تكين بن عبد اللّه الحربىّ، الأمير أبو منصور المعتضدىّ الخزرىّ، ولّاه الخليفة المقتدر باللّه على صلاة مصر بعد موت عيسى النّوشرىّ، فدعى له بها فى يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من شوّال سنة سبع و تسعين و مائتين. ثم قدم خليفته

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۷۲

إلى مصر يوم الأربعاء فى ثالث عشرين شوّال، و دام خليفته بها إلى أن قدمها تكين المذكور فى يوم ثانى ذى الحجّة من سنة سبع و تسعين و مائتين.

قال صاحب «البغية و الاغتباط فيمن ولى الفسطاط»: قدم تكين يوم السبت لليلتين خلتا من ذى الحجّة موافقا لنا، لكنّه زاد فى يوم السبت. و تكين هذا مولى المعتضد باللّه، نشأ فى دولته حتى صار من جملة القوّاد، ثم ولّاه المقتدر دمشق و مصر و أقرّه عليهما القاهر. و كان تكين جبّارا مهيبا و لكنّه كانت لديه فضيلة. و حدّث عن القاضى يوسف و غيره. و دام تكين على إمرة مصر مدّة إلى أن بعث للخليفة فى سنة تسع و تسعين و مائتين هدايا و تحفا، و فى جملة الهدايا ضلع إنسان طوله أربعة عشر شبرا فى عرض شبر، زعموا أنّه من قوم عاد؛ و فى جملة الهدايا أيضا تيس له ضرع يحلب لبنا، و خمسمائة ألف دينار، ذكر تكين أنه وجدها فى كنز بمصر. و استمر تكين بعد ذلك على إمرة مصر حتّى خرج عليها جماعة من الأعراب و الأحواش فجهّز تكين لحربهم جيشا إلى برقة، و جعل على الجيش المذكور أبا اليمنى و خرج الجيش إلى برقة- و كان هؤلاء الأعراب من جملة عساكر المهدىّ عبيد اللّه الفاطمىّ الذى استولى على بلاد المغرب- فلما قارب الجيش برقة خرج إليهم حباسة بن يوسف بعساكر المهدىّ عبيد اللّه الفاطمىّ المقدّم ذكره، و قاتل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۳؛ ص۱۷۳

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۷۳

أبا اليمنى المذكور حتّى هزمه و استولى على برقة؛ ثم سار إلى الإسكندرية فى زيادة على مائة ألف مقاتل. و لما عاد جيش تكين منهزما إلى مصر، أرسل تكين الى الخليفة يطلب منه المدد، فأمدّه الخليفة بالعساكر، و فى العسكر حسين [بن أحمد] الماذرائىّ و أحمد بن كيغلغ فى جمع من القوّاد، و سار الجميع نحو مصر. و كان دخول عسكر المهدىّ الى الإسكندريّة فى أوّل المحرم سنة اثنتين و ثلثمائة. و وصلت عساكر الخليفة من العراق الى مصر فى صفر و نزلت بها، فتلقّاهم تكين و أكرم نزلهم؛ ثم تهيّأ تكين بعساكره الى القتال، و خرج هو بعساكر مصر و معه عساكر العراق و سار الجميع نحو الإسكندريّة، و نزلوا بالجيزة فى جمادى الأولى، ثم سار الجميع حتى وافوا حباسة بعساكره و قاتلوه؛ فكانت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها آلاف من الناس من الطائفتين، و ثبت كلّ من

العسكرين حتى استظهر عسكر الخليفة على جيش حباسة العبيدىّ الفاطمىّ و كسره و أجلاه عن الإسكندريّة و برقة؛ و عاد حباسة بمن بقى معه من عساكره الى المغرب فى أسوإ حال. و هذا أوّل عسكر ورد الى الإسكندرية من جهة عبيد اللّه المهدىّ الفاطمىّ. ثم عاد تكين الى مصر بعساكره بعد أن مهّد البلاد. و عند ما قدم تكين الى مصر وصل اليها بعده مؤنس الخادم مع جمع من القوّاد- أعنى الذين قدموا معه من العراق- و نزلوا بالحمراء فى النصف من شهر رمضان و لقى الناس منهم شدائد الى أن خرج الأمير أحمد بن كيغلغ الى الشأم فى شهر رمضان المذكور، فلم تطل مدّة تكين بعد ذلك على مصر و صرف عن إمرتها فى يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة، صرفه مؤنس الخادم المقدّم ذكره و أرسل الى الخليفة بذلك، فدام تكين بمصر الى أن خرج منها فى سابع ذى الحجة سنة اثنتين و ثلثمائة؛ و أقام مؤنس الخادم بمصر يدعى له بها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۷۴

و يخاطب بالأستاذ الى أن ولّى الخليفة المقتدر ذكا الرومىّ إمرة مصر عوضا عن تكين المذكور. فكانت ولايته على مصر خمس سنين و أياما.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۸]

السنة الأولى من ولاية تكين الأولى على مصر، و هى سنة تمان و تسعين و مائتين- فيها قدم الحسين بن حمدان من قمّ، فولّاه المقتدر ديار بكر و ربيعة. و فيها توفّى محمد ابن عمرويه صاحب الشّرطة، توفّى بآمد و حمل الى بغداد. و فيها توفّى صافى الحرمىّ فقلّد المقتدر مكانه مؤنسا الخادم المقدّم ذكره. و فيها خرج على عبيد اللّه المهدىّ داعياه أبو عبد اللّه الشّيعىّ و أخوه أبو العباس، و جرت لهما وقعة هائلة، و ذلك فى جمادى الآخرة، فقتل الداعيان فى جندهما، ثم خالف على المهدىّ أهل طرابلس المغرب، فجهّز اليهم ابنه أبا القاسم القائم بأمر اللّه فأخذها عنوة فى سنة ثلثمائة، و تمهّد بأخذها بلاد المغرب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۷۵

للمهدىّ المذكور. و فيها قدم القاسم بن سيما من غزوة الصائفة بالروم و معه خلق من الأسارى و خمسون علجا قد شهّروا على الجمال و بأيديهم صلبان الذهب و الفضة.

و فيها استخلف على الحرم بدار الخليفة نظير الحرمىّ. و فيها توفّى أحمد بن محمد بن مسروق الشيخ أبو العباس الصوفىّ الطّوسىّ أحد مشايخ القوم و أصحاب الكرامات، قدم بغداد و حدّث بها. و فيها توفّى أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين البغدادىّ المعروف بابن الرّاوندىّ الماجن المنسوب الى الهزل و الزندقة؛ كان أبوه يهوديا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۷۶

فأسلم [هو]؛ فكانت اليهود تقول للمسلمين: احذروا أن يفسد هذا عليكم كتابكم كما أفسد أبوه علينا كتابنا. و صنّف أحمد هذا فى الزندقة كتبا كثيرة، منها: كتاب بعث الحكمة، و كتاب الدامغ للقرآن و غير ذلك، و كان زنديقا، و كان يقول: إنا نجد فى كلام أكثم بن صيفىّ أحسن من (إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)، و إنّ الأنبياء وقعوا بطلّسمات كما أنّ المغناطيس يجذب الحديد؛ و قوله صلّى اللّه عليه و سلّم لعمّار "تقتلك الفئة الباغية، "قال: فإنّ المنجّم يقول مثل هذا إذا عرف المولد و [أخذ] الطالع. و لهذا التعيس الضالّ أشياء كثيرة من هذا الكفر البارد الذى يسئم أسماع الزنادقة لعدم طلاوة كلامه. و أمره فى الزندقة و المخرقة أشهر من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۷۷

أن يذكر؛ عليه اللعنة و الخزى. و لما تزايد أمره صلبه بعض السلاطين و هو ابن ستّ و ثمانين سنة. و فيها توفّى أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد النيسابورىّ الحيرىّ الواعظ الإمام، مولده بالرّىّ ثم قدم نيسابور و سكنها، و كان أوحد مشايخ عصره و عنه انتشرت

طريقة التصوّف بنيسابور.

الـذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السـنة، قال: و فيها توفّى أبو العباس أحمد ابن محمد بن مسـروق، و بهلول بن إسـحاق الأنبارىّ، و الجنيد شـيخ الطائفة، و الحسن ابن علّويه القطّان، و أبو عثمان الحيرىّ الزاهد، و محمد بن علىّ بن طرخان البلخىّ الحافظ، و محمد بن سليمان المروزىّ، و محمد بن طاهر الأمير، و يوسف بن عاصم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانى أذرع و أربع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۲۹۹]

السـنة الثانيـة من ولاية تكين الأولى على مصـر، و هى سـنة تسع و تسـعين و مائتين- فيها قبض المقتدر على وزيره أبى الحسن علىّ بن الفرات و نهبت دوره و هتكت حرمه، بسـبب أنه قيل للخليفـة: إنه كاتب الأعراب أن يكبسوا بغـداد، و نهبت بغداد عند القبض عليه؛ و اسـتوزر المقتـدر أبا علىّ محمـد بن عبيـد اللّه بن يحيى ابن خاقان. و فيها سار عبيـد اللّه المهدىّ الفاطمىّ الى المهديّة ببلاد المغرب و دعى له بالخلافة برقّادة و القيروان و تلك النواحى؛ و عظم ملكه فشقّ ذلك على الخليفة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۷۸

المقتـدر العباسـىّ. و فيها توفّى أحمـد بن نصـر بن إبراهيم الحافظ أبو عمرو الخفّاف، رحل فى طلب الحـديث و لقى الشـيوخ، و كان زاهـدا متعبّـدا صام نيّفا و ثلاثين سـنة و تصـدّق سـرّا و علانيـة بأموال كثيرة. و فيها توفّى الحسـين بن عبد اللّه بن أحمد الفقيه أبو على الخرقىّ والـد الإمـام عمر مصـنف كتاب ["مختصـر] الخرقىّ "فى مـذهب الإمام أحمـد ابن حنبل، و كان زاهـدا عابـدا، مات يوم عيد الفطر. و فيها توفّى محمـد بن أحمـد بن كيسان الإمام أبو الحسن النحوىّ اللغوىّ أحـد الأئمـة النحاة، كان يحفظ مـذاهب البصـريّين و الكوفيّين فى النحو، لأنه أخـذ عن المبرّد و ثعلب. و فيها توفّى محمـد بن إسـماعيل الشـيخ أبو عبـد اللّه المغربىّ الزاهـد أسـتاذ ابراهيم الخوّاص و ابراهيم بن شـيبان و غيرهما، كان كبير الشأن فى علم المعاملات و المكاشـفات، و حجّ على قدميه سبعا و تسعين حجّة. قال إبراهيم بن شـيبان: توفّى أبو عبـد اللّه على جبـل الطور فـدفنته إلى جـانب أسـتاذه علىّ بن رزين بوصـيّة منه، و عاش كلّ واحـد منهما عشرين و مائة سنة.

قلت: و لهذا حجّ سبعا و تسعين حجّة. و فيها توفّى محمد بن يحيى بن محمد البغدادىّ المعروف ب «حامل كفنه»، كان فاضلا، وقع له غريبـة و هو أنّه مرض فـأغمى عليه فغسّل و كفّن و دفن، فلمّا كان الليل جاءه نبّاش فنبش عنه، فلما حلّ أكفانه ليأخـذها اسـتوى قائما، فخرج النبّاش هاربا؛ فقام هو و حمل أكفانه و جاء إلى منزله و أهله و هم يبكون عليه، فـدقّ الباب، فقالوا: من؟ قال: أنا فلان؛ فقالوا: يا هذا، لا يحلّ لك أن تزيدنا على ما نحن فيه! قال: افتحوا فو اللّه أنا فلان؛ فعرفوا صوته ففتحوا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۷۹

له و عاد حزنهم فرحا، و يسـمّى من حينئـذ "حامل كفنه؛ "سـكن "حامل كفنه "دمشق و حـدّث بها. قال أبو بكر الخطيب: و مثل هذا سعيد الكوفىّ فإنّه لمّا دلّى فى قبره اضطرب فحلّت عنه أكفانه فقام و رجع الى منزله، ثم ولد له بعد ذلك ابنه مالك.

و فيهـا توفّى ممشـاد الـدّينورىّ الزاهـد المشـهور، كان من أولاد الملوك فتزهّـد و ترك الـدنيا و صـحب أبا تراب النّخشبىّ و أبا عبيد [البسـرىّ] و غيرهما، و كان عظيم الشأن؛ يحكى عنه خوارق، قيل: إنه لما احتضـر قالوا له: كيف تجدك؟ فقال: سـلوا العلّة عنّى؛ فقيل له: قل لا إله إلا اللّه؛ فحوّل وجهه الى الحائط فقال:

أفنيت كلّى بكلّك هذا جزا من يحبّك

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السـنة، قال: و فيها توفى أحمد بن أنس ابن مالك الدمشـقىّ، و أبو عمرو الخفّاف الزاهد أحمد بن

نصر الحافظ، و الحسين بن عبد اللّه الخرقىّ والد مصنّف ["مختصر] الخرقىّ "و علىّ بن سعيد بن بشير الرازىّ، و محمد بن يزيد بن عبد الصمد، و ممشاد الدينورىّ الزاهد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و إحدى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۰]

السنة الثالثة من ولاية تكين الأولى على مصر، و هى سنة ثلثمائة- فيها تتبّع الخليفة أصحاب الوزير أبى الحسن بن الفرات و صودروا و خرّبت ديارهم و ضربوا، و عذّب ابن الفرات حتى كاد يتلف؛ ثم رفقوا به بعد أن أخذت أمواله. ثم عزل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۸۰

الخاقانىّ عن الوزارة و رشّح لها علىّ بن عيسى. و يقال: فيها ولدت بغلة، فسبحان اللّه القادر على كلّ شىء!. و فيها ظهر محمد بن جعفر بن علىّ بن محمد بن موسى بن جعفر ابن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب فى أعمال دمشق، فخرج إليه أمير دمشق أحمد بن كيغلغ، ثم اقتتلا فقتل محمد فى المعركة و حمل رأسه الى بغداد فنصب على الجسر. و فيها وقع ببغداد و البادية و باء عظيم و موت جارف، فمات الناس على الطريق. و فيها ساخ جبل بالدّينور فى الأرض و خرج من تحته ماء كثير غرّق القرى. و فيها وقعت قطعة عظيمة من جبل لبنان فى البحر، و تناثرت النجوم فى جمادى الآخرة تناثرا عجيبا و كلّه الى ناحية المشرق. و فيها حجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ. و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد بن عبد الرّحمن بن الحكم بن هشام ابن عبد الرّحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص ابن أميّة الأموىّ المغربى أمير الأندلس، و أمّه أمّ ولد يقال لها عشار؛ بويع بالإمرة فى صفر سنة خمس و سبعين و مائتين فى السنة التى توفّى فيها أخوه المنذر فى أيّام المعتمد؛ و كان زاهدا تاليا لكتاب اللّه تعالى؛ بنى الرّباط بقرطبة و لزم الصلوات الخمس بالجامع حتى مات فى شهر ربيع الأوّل، و كانت أيّامه على الأندلس خمسا و عشرين سنة و ستّة أشهر و أياما؛ و تولّى مكانه ابن ابنه عبد الرّحمن بن محمد بن عبد اللّه فى اليوم الذى مات فيه جدّه المذكور، و كنيته أبو المظفّر فلقّب نفسه بالناصر؛ و توفّى عبد الرّحمن هذا فى سنة خمسين و ثلثمائة. و قد تقدّم الكلام فى ترجمة جدّ هؤلاء الثلاثة عبد الرّحمن الداخل أنّه فرّ من الشأم جافلا من بنى العبّاس و دخل المغرب و ملكها، فسمّى لذلك عبد الرّحمن الداخل. و فيها توفّى عبيد اللّه [بن عبد اللّه] بن طاهر بن الحسين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۸۱

الأمير أبو محمد الخزاعىّ، كان من أجلّ الأمراء، ولى إمرة بغداد و نيابتها عن الخليفة و عدّة ولايات جليلة، و كان أديبا فاضلا شاعرا فصيحا، و قد تقدّم ذكر والده فى أمراء مصر فى هذا الكتاب، و أيضا نبذة من أخبار جدّه فى عدّة حوادث؛ و فى الجملة هو من بيت رياسة و فضل و كرم.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو العباس أحمد ابن محمد البراثىّ، و أبو أميّة الأحوص بن الفضل الغلّابىّ، و الحسين بن عمر بن أبى الأحوص، و علىّ بن سعيد العسكرىّ الحافظ، و عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر بن الحسين الأمير، و عبد اللّه بن محمد بن عبد الرّحمن الأموىّ صاحب الأندلس، و محمد بن أحمد بن جعفر أبو العلاء الوكيعىّ، و محمد بن الحسن بن سماعة، و مسدّد ابن قطن.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و إصبع واحدة. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبع واحدة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۱]

السنة الرابعة من ولاية تكين الأولى على مصر، و هى سنة إحدى و ثلثمائة- فيها قبض المقتدر على وزيره الخاقانىّ فى يوم الاثنين لعشر خلون من المحرّم، و كانت مدّة وزارته سنة واحدة و شهرا و خمسة أيام؛ و كان المقتدر قد أرسل يلبق المؤنسىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۸۲

فى ثلثمائة غلام إلى مكّة لإحضار علىّ بن عيسى للوزارة، فقدم ابن عيسى المذكور فى المحرّم و تولّى الوزارة. و فيها فى شعبان ركب الخليفة المقتدر من داره الى الشماسيّة ثم عاد فى دجلة، و هى أوّل ركبة ظهر فيها للعامّة منذ ولى الخلافة. و فيها فى يوم الاثنين سادس شهر ربيع الأوّل أدخل الحسين بن منصور المعروف بالحلّاج مشهورا على جمل إلى بغداد و صلب و هو حىّ فى الجانب الغربىّ و عليه جبّة عوديّة، و نودى عليه: هذا أحد دعاة القرامطة؛ ثم أنزلوه و حبس وحده فى دار و رمى بعظائم، نسأل اللّه السلامة فى الدين؛ فأحضره علىّ بن عيسى الوزير و ناظره فلم يجد عنده شيئا من القرآن و لا من الفقه و لا من الحديث و لا من العربيّة؛ فقال له الوزير: تعلّمك الوضوء و الفرائض أولى من رسائل ما تدرى ما فيها ثم تدّعى الإلهية! فردّه الى الحبس فدام به إلى ما يأتى ذكره فى محلّه. و فيها أفرج المقتدر عن الوزير الخاقانىّ فأطلق و توجّه إلى داره. و فيها فى شعبان خلع المقتدر على ابنه أبى العبّاس و قلّده أعمال الحرب بمصر و الغرب، و عمره أربع سنين، و استخلف له [على مصر] مؤنس الخادم. و فيها توفّى الحسن بن بهرام أبو سعيد القرمطىّ المتغلّب على هجر، كان أصله كيالا- فهرب و استغوى خلقا من القرامطة و الأعراب و غلب على القطيف و هجر، و شغل المعتضد عنه الموت، فاستفحل أمره و وقع له مع عساكر المكتفى وقائع و أمور، و قتل الحجيج و أفسد البلاد، و فعل مالا يفعله مسلم، حتّى قتله خادم صقلبىّ فى الحمّام أراده على الفاحشة فخنقه الخادم و قتله و ذهبت روحه الى سقر. و فيها توفّى حمدويه بن أسد الدمشقىّ المعلم، كان من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۸۳

الأبدال [و] كان مجاب الدعوة و له كرامات و أحوال، مات بدمشق. و فيها توفّى عبد اللّه بن على بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب القاضى، كان إماما فاضلا عالما، استقضاه الخليفة المكتفى على مدينة المنصور فى سنة اثنتين و تسعين و مائتين الى أن نقله المقتدر الى الجانب الشرقىّ فى سنة ست و تسعين و مائتين فأصابه فالج و مات منه. و توفّى ابنه بعده بثلاثة و سبعين يوما و كان يخلفه على القضاء. و فيها توفّى علىّ بن أحمد الراسبىّ الأمير أبو الحسن، كان متولّيا من حدود واسط الى جنديسابور و من السوس الى شهرزور، و كان شجاعا مات بجنديسابور و خلّف ألف ألف دينار و [من] آنية الذهب و الفضة [ما قيمته] مائة ألف دينار [و من الخزّ ألف ثوب] و ألف فرس و ألف بغل و ألف جمل، و كان له ثمانون طرازا تنسج فيها الثياب التى لملبوسه. و فيها توفّى محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زرعة الثّقفىّ مولاهم، كان قاضى دمشق ثم ولى قضاء مصر؛ كان إماما عالما عفيفا؛ و لما أراد أحمد بن طولون خلع الموفّق من ولاية العهد أمره بخلعه، فوقف بإزاء منبر دمشق و قال: قد خلعت أبا أحمق (يعنى [أبا] أحمد) كما خلعت خاتمى من إصبعى، و مضى سنون الى أن ولى المعتضد بن الموفّق الخلافة و دخل الشأم يطلب من كان يبغض أباه، فأحضر القاضى هذا و جماعة فحملوا فى القيود معه و سافر؛ فلما كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۸۴

فى بعض الأيام رآهم المعتضد فى الطريق فطلبهم و أراد الفتك بهم، فقال: من الذى قال "أبا أحمق؟ "فخرس القوم؛ فقال له القاضى: يا أمير المؤمنين، نسائى طوالق و عبيدى أحرار و مالى فى سبيل اللّه إن كان فى هؤلاء القوم من قال هذه المقالة؛ فاستظرفه المعتضد و أطلق الجميع؛ و مشى له ذلك فى باب المماجنة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أحمد بن محمد ابن عبد العزيز بن الجعد الوشّاء، و أبو بكر أحمد بن

هارون البرذعىّ، و إبراهيم بن يوسف الرازىّ، و الحسين بن إدريس الأنصارىّ الهروىّ، و عبد اللّه بن محمد بن ناجية فى رمضان، و عمرو بن عثمان المكىّ الزاهد، و محمد بن العبّاس بن الأخرم الأصبهانىّ، و محمد بن يحيى بن مندة العبدىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبع واحدة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۲]

اشارة

السنة الخامسة من ولاية تكين الأولى على مصر، و هى سنة اثنتين و ثلثمائة- فيها عاد المهدىّ عبيد اللّه الفاطمىّ من المغرب الى الإسكندريّة و معه صاحبه حباسة المقدّم ذكره، فجرت. بينه و بين جيش الخليفة حروب قتل فيها حباسة، و عاد مولاه عبيد اللّه الى القيروان. و فيها فى المحرّم ورد كتاب نصر بن أحمد السامانىّ أمير خراسان أنّه واقع عمّه إسحاق بن إسماعيل و أنّه أسره؛ فبعث إليه المقتدر بالخلع و اللواء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۸۵

و فيها صادر المقتدر أبا عبد اللّه الحسين بن عبد اللّه بن الجصّاص الجوهرىّ، و كبست داره و أخذ من المال و الجوهر ما قيمته أربعة آلاف ألف دينار. و قال أبو الفرج ابن الجوزىّ: أخذوا منه ما مقداره ستة عشر ألف ألف دينار عينا و ورقا [و آنية] و قماشا و خيلا [و خدما]. قال أبو المظفّر فى مرآة الزمان: و أكثر أموال ابن الجصّاص المذكور من قطر النّدى بنت خمارويه صاحب مصر، فإنّه لما حملها من مصر الى زوجها المعتضد كان معها أموال و جواهر عظيمة؛ فقال لها ابن الجصّاص: الزمان لا يدوم و لا يؤمن على حال، دعى عندى بعض هذه الجواهر تكن ذخيرة لك، فأودعته، ثم ماتت فأخذ الجميع. و فيها خرج الحسن بن علىّ العلوىّ الأطروش، و يلقّب بالداعى، و دعا الديلم إلى اللّه، و كانوا مجوسا، فأسلموا و بنى لهم المساجد، و كان فاضلا عاقلا أصلح اللّه الديلم به. و فيها قلّد المقتدر أبا الهيجاء عبد اللّه بن حمدان الموصل و الجزيرة. و فيها صلّى العيد فى جامع مصر، و لم يكن يصلّى فيه العيد قبل ذلك، فصلّى بالناس علىّ بن أبى شيخة، و خطب فغلط بأن قال: اتقوا اللّه حقّ تقاته و لا تموتنّ إلا و أنتم مشركون. نقلها علىّ بن الطحّان عن أبيه و آخر.

و فيها فى الرجعة قطع الطريق على الحاجّ العراقىّ الحسن بن عمر الحسينىّ مع عرب طيّئ و غيرهم، فاستباحوا الوفد و أسروا مائتين و ثمانين امرأة، و مات الخلق بالعطش و الجوع. و فيها توفّى العبّاس بن محمد أبو الهيثم كاتب المقتدر، كان كاتبا جليلا، كان يطمع فى الوزارة، و لما ولى علىّ بن عيسى الوزارة اعتقله فمات يوم الأحد سلخ ذى الحجّة، و أوصى أن يصلّى عليه أبو عيسى البلخىّ و أن يكبّر عليه أربعا و أن يسمّ قبره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۸۶

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا.

ذكر ولاية ذكا الرومىّ على مصر

الأمير أبو الحسن ذكا الرومىّ الأعور، ولى إمرة مصر بعد عزل تكين الحربىّ عن مصر، ولّاه الخليفة المقتدر على الصلاة؛ فخرج من بغداد و سافر إلى أن قدم مصر فى يوم السبت لاثنتى عشرة خلت من صفر سنة ثلاث و ثلثمائة؛ فجعل على الشّرطة محمد بن طاهر مدّة

ثم عزله بيوسف الكاتب؛ و قدم بعده الحسين ابن أحمد الماذرائيّ على الخراج؛ ثم ردّ محمد بن طاهر على الشرطة. ثم بعد قدوم ذكا إلى مصر خرج منها مؤنس الخادم بجميع جيوشه لثمان خلون من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث و ثلثمائة؛ و كان ورد على مؤنس كتاب الخليفة المقتدر يعرّفه بخروج الحسين بن حمدان عن الطاعة و أن يعود إلى بغداد و يأخذ معه من مصر أعيان القوّاد: مثل أحمد بن كيغلغ و على بن أحمد بن بسطام و العبّاس بن عمرو و غيرهم ممن يخاف منهم؛ ففعل مؤنس ذلك. و استمرّ ذكا بمصر على إمرتها من غير منازع إلى أن خرج إلى الاسكندريّة فى أوّل المحرّم سنة أربع و ثلثمائة؛ فلم تطل غيبته عنها و عاد إليها فى ثامن شهر ربيع الأوّل؛ فبلغه أنّ جماعة من المصريّين يكاتبون المهديّ، فتتبّع كلّ من اتّهم بذلك، فقبض على جماعة منهم و سجنهم و قطع أيدى أناس و أرجلهم، فعظمت هيبته فى قلوب الناس. ثم أجلى أهل لوبية و مراقية من مصر الى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۸۷

الإسكندريّة. ثم فسد بعد ذلك ما بينه و بين جند مصر و الرعيّة، بسبب ذكر الصحابة رضى اللّه عنهم بما لا يليق، و نسب القرآن الكريم إلى مقالة المعتزلة و غيرهم. و بينما الناس فى ذلك قدمت عساكر المهديّ عبيد اللّه الفاطميّ من إفريقيّة إلى لوبية و مراقية، و على العساكر أبو القاسم، فدخل الإسكندريّة فى ثامن صفر سنة سبع و ثلثمائة، و فرّ الناس من مصر إلى الشأم فى البرّ و البحر فهلك أكثرهم؛ فلما رأى ذكا ذلك تجهّز لقتالهم، و جمع العساكر و خرج بهم و هم مخالفون عليه، فعسكر بالجيزة، و كان الحسين بن أحمد الماذرائيّ على حراج مصر فجدّد العطاء للجند و أرضاهم، و تهيّأ ذكا للحرب و جدّ فى ذلك و حفر خندقا على عسكره بالجيزة؛ و بينما هو فى ذلك مرض و لزم الفراش حتى مات بالجيزة فى عشيّة الأربعاء لإحدى عشرة خلت من شهر ربيع الأوّل سنة سبع و ثلثمائة، فغسّل و صلّى عليه و حمل حتى دفن بالقرافة.

و كانت ولايته على مصر أربع سنين و شهرا واحدا. و تولّى تكين الحربيّ عوضه مصر إمرة ثانية. و كان ذكا أميرا شجاعا مقداما، و فيه ظلم و جور مع اعتقاد سيئ على معرفة كانت فيه و عقل و تدبير.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۳]

السنة الأولى من ولاية ذكاء الروميّ على مصر، و هى سنة ثلاث و ثلثمائة- فيها ولد سيف الدولة على بن عبد اللّه بن حمدان. و فيها كاتب الوزير عليّ بن عيسى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۸۸

القرامطة و أطلق لهم ما أرادوا من البيع و الشراء، فنسبه الناس الى موالاتهم، و ليس هو كذلك، و إنما قصد أن يتألّفهم خوفا على الحاجّ منهم. و فيها تواترت الأخبار أنّ الحسين بن حمدان قد خالف، و كان مؤنس الخادم مشغولا بحرب عسكر المهديّ بمصر، فندب عليّ بن عيسى الوزير رائقا الكبير لمحاربته؛ فتوجّه إليه رائق بالعساكر و واقعه فهزمه ابن حمدان، فسار رائق إلى مؤنس الخادم و انضم عليه، و كان بين مؤنس و ابن حمدان خطوب و حروب. و فيها توفى أحمد [بن علىّ] بن شعيب بن علىّ ابن سنان بن بحر الحافظ أبو عبد الرّحمن القاضى النّسائيّ مصنّف السنن و غيرها من التصانيف، ولد سنة خمس عشرة و مائتين، و سمع الكثير، و رحل الى نيسابور و العراق و الشأم و مصر و الحجاز و الجزيرة؛ و روى عنه خلق و كان فيه تشيّع حسن.

قال أبو عبد اللّه بن مندة عن حمزة العقبيّ المصريّ و غيره: إن النّسائيّ خرج من مصر فى آخر عمره الى دمشق، فسئل بها عن معاوية و ما روى من فضائله؛ فقال:

أما يرضى [معاوية أن يخرج] رأسا برأس حتّى يفضّل! انتهى. و قال الدّارقطنيّ:

إنّه خرج حاجّا فامتحن بدمشق و أدرك الشهادة، فقال: احملونى الى مكّة، فحمل و توفّى بها، و هو مدفون بين الصفا و المروة؛ و

كانت وفاته فى شعبان، و قيل فى وفاته غير ذلك: إنه مات بفلسطين فى صفر. و فيها توفّى جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ أبو محمد النيسابوريّ الحصريّ أحد أركان الحديث، كان ثقة عابدا صالحا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۸۹

و فيها توفّى الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان الشيبانيّ النّسويّ الحافظ أبو العبّاس مصنّف المسند؛ تفقّه على أبى ثور إبراهيم بن خالد و كان يفتى على مذهبه، و سمع أحمد بن حنبل و يحيى بن معين و إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ و غيرهم. و فيها توفّى محمد بن عبد الوهاب بن سلّام أبو علىّ الجبّائىّ البصرىّ شيخ المعتزلة، كان رأسا فى علم الكلام و أخذ هذا العلم عن أبى يوسف يعقوب ابن عبد اللّه الشحّام البصرىّ، و له مقالات مشهورة و تصانيف، و أخذ عنه ابنه أبو هاشم و الشيخ أبو الحسن الأشعرىّ.

قال الذهبىّ: وجدت على ظهر كتاب عتيق: سمعت أبا عمرو يقول سمعت عشرة من أصحاب الجبّائىّ يحكون عنه، قال:

الحديث لأحمد بن حنبل، و الفقه لأصحاب أبى حنيفة، و الكلام للمعتزلة، و الكذب للرافضة. و فيها توفى رويم بن أحمد- و قيل: ابن محمد بن رويم- الشيخ أبو محمد الصوفىّ، قرأ القرآن و كان عارفا بمعانيه، و تفقّه على مذهب داود الظاهرىّ، و كان مجرّدا من الدنيا مشهورا بالزهد و الورع و الدّين. و فيها توفى علىّ بن محمد بن منصور ابن نصر بن بسّام البغدادىّ الشاعر المشهور، و كان شاعرا مجيدا، إلا أن غالب شعره كان فى الهجاء حتّى هجا نفسه و هجا أباه و إخوته و سائر أهل بيته، و كان يكنى أبا جعفر، فقال:

بنى أبو جعفر دارا فشيّدها و مثله لخيار الدّور بنّاء

فالجوع داخلها و الذلّ خارجها و فى جوانبها بؤس و ضرّاء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۹۰

و له يهجو المتوكّل على اللّه لما هدم قبور العلويّين:

تاللّه إن كانت أميّة قد أتت قتل ابن بنت نبيّها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما

و من شعره فى الزهد:

أقصرت عن طلب البطالة و الصّبا لمّا علانى للمشيب قناع

للّه أيّام الشباب و لهوه لو أنّ أيّام الشباب تباع

فدع الصّبا يا قلب و اسل عن الهوى ما فيك بعد مشيبك استمتاع

و انظر الى الدنيا بعين مودّع فلقد دنا سفر و حان و داع

[و الحادثات موكّلات بالفتى و الناس بعد الحادثات سماع]

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع سواء. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۴]

السنة الثانية من ولاية ذكا الرومىّ على مصر، و هى سنة أربع و ثلثمائة- فيها فى المحرّم عاد نصر الحاجب من الحجّ و معه العلوىّ الذى قطع الطريق على ركب الحاجّ عام أوّل، فحبس فى المطبق. و فيها غزا مؤنس الخادم بلاد الروم من ناحية ملطية و فتح حصونا كثيرة و آثارا جميلة و عاد الى بغداد فخلع المقتدر عليه. و فيها وقع ببغداد حيوان يسمّى الزّبزب، و كان يرى فى الليل على السطوح، و كان يأكل أطفال

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۹۱

الناس، و ربّما قطع يد الإنسان و هو نائم و ثدى المرأة فيأكلهما، فكانوا يتحارسون طول الليل و لا ينامون و يضربون الصوانيّ و الهواوين ليفزعوه فيهرب، و ارتجّت بغداد من الجانبين و صنع الناس لاطفالهم مكابّ من السّعف يكبّونها عليهم بالليل، و دام ذلك عدّة ليال. و فيها عزل المقتدر الوزير علىّ بن عيسى، و كان قد ثقل عليه أمر الوزارة و ضجر من سوء أدب الحاشية و استعفى غير مرّة؛ و لما عزله المقتدر لم يتعرّض له بسوء، و كانت وزارته ثلاث سنين و عشرة أشهر و ثمانية عشر يوما؛ و أعيد أبو الحسن بن الفرات الى الوزارة. و فيها توفّى زيادة اللّه بن عبد اللّه بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب الأمير أبو نصر، و قيل: أبو منصور، صاحب القيروان. قال الحميرىّ: يقال له زيادة اللّه الأصغر و جدّ جدّه زيادة اللّه الأكبر. و ردّ زيادة اللّه الى مصر منهزما من عبيد اللّه المهدىّ الخارجىّ فأكرم، و قيل: إنه مات فى برقة، و قيل: بالرملة. و فيها توفّى يموت ابن المزرّع بن يموت أبو بكر العبدى من عبد القيس، كان من البصرة ثم رحل عنها و نزل بغداد ثم قدم دمشق ثم سكن طبريّة، و كان حافظا ثقة محدّثا أخباريا. و فيها توفى يوسف بن الحسين بن علىّ الحافظ أبو يعقوب الرازىّ شيخ الرىّ و الجبال فى وقته، كان عالما زاهدا ورعا كبير الشأن.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع سواء. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا مثل الماضية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۹۲

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۵]

السنة الثالثة من ولاية ذكا الرومىّ على مصر، و هى سنة خمس و ثلثمائة- فيها حجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ و هى تمام ستّ عشرة حجّة حجّها بالناس.

و فيها خلع الخليفة المقتدر على أبى الهيجاء عبد اللّه بن حمدان و إخوته خلعة الرضا.

و فيها قدمت رسل ملك الروم بهدايا تطلب عقد هدنة، فشحنت رحبات دار الخلافة و الدهاليز بالجند و السلاح، و فرشت سائر القصور بأحسن الفرش، ثم احضر الرسل و المقتدر على سريره و الوزير و مؤنس الخادم قائمان بالقرب منه. و ذكر الصّولىّ احتفال المقتدر بمجيء الرسل فقال: أقام المقتدر العساكر و صفّهم بالسلاح، و كانوا مائة و ستين ألفا، و أقامهم من باب الشمّاسيّة الى دار الخلافة، و بعدهم الغلمان و كانوا سبعة آلاف خادم و سبعمائة حاجب؛ ثم وصف أمرا مهولا قال: كانت الستور ثمانية و ثلاثين ألف ستر من الديباج، و من البسط اثنان و عشرون ألفا، و كان فى الدار مائة سبع فى السلاسل، ثم أدخلوا دار الشجرة و كان فى وسطها بركة و الشجرة فيها، و لها ثمانية عشر غصنا عليها الطيور المصوغة تصفر، ثم أدخلوا الى الفردوس و بها من الفرش ما لا يقوّم، و فى الدهاليز عشرة آلاف جوشن مذهّبة معلّقة و أشياء كثيرة يطول الشرح فى ذكرها. و فيها وردت هدايا صاحب عمان، فيها طير أسود يتكلّم بالفارسيّة و الهندية أفصح من الببّغاء، و ظباء سود. و فيها توفّى الأمير غريب خال الخليفة المقتدر بالله بعلّة الذّرب، كان محترما فى الدولة، و هو قاتل عبد اللّه بن المعتزّ حتّى قرّر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۹۳

جعفرا المقتدر. و فيها توفّى سليمان بن محمد بن أحمد أبو موسى النحوىّ كان يعرف بالحامض، و كان إماما فى النحو و غيره و له تصانيف كثيرة، منها ": خلق الانسان، "و "كتاب الوحوش و النبات، "و "غريب الحديث "و مات فى ذى الحجّة. و فيها توفّى عبد الصمد بن عبد اللّه القاضى أبو محمد القرشىّ قاضى دمشق، حدّث عن هشام ابن عمّار و غيره، و روى عنه أبو زرعة الدّمشقىّ و جماعة أخر. و فيها توفّى الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب أبو خليفة الجمحىّ البصرىّ، كان رحلة الآفاق فى زمانه، و اسم أبيه عمرو و لقبه الحباب، ولد سنة ستّ و مائتين، و كان محدّثا ثقة راوية للأخبار فصيحا مفوها أديبا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و إصبعان.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۶]

اشارة

السنة الرابعة من ولاية ذكا الرومىّ على مصر، و هى سنة ستّ و ثلثمائة- فيها فتح بيمارستان السيدة أمّ المقتدر ببغداد، و كان طبيبه سنان بن ثابت، و كان مبلغ النفقة فيه فى العام سبعة آلاف دينار. و فيها أمرت أمّ المقتدر ثمل القهرمانة أن تجلس بالتّربة التى بنتها بالرّصافة للمظالم و تنظر فى رقاع الناس فى كلّ يوم جمعة؛ فكانت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۹۴

ثمل المذكورة تجلس و يحضر الفقهاء و القضاة و الأعيان و تبرز التواقيع و عليها خطّها.

و فيها حجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ؛ و قيل: أحمد بن العباس أخو أمّ موسى القهرمانة. و فيها توفّى أحمد بن عمر بن سريج القاضى أبو العبّاس البغدادىّ الفقيه العالم المشهور، قال الدارقطنىّ: كان فاضلا لولا ما أحدث فى الإسلام مسألة الدور فى الطلاق. و فيها توفّى أحمد بن يحيى الشيخ أبو عبد اللّه بن الجلّى أحد مشايخ الصوفية الكبار، صحب أباه و ذا النون المصرىّ و أبا تراب النّخشبىّ؛ قال الرّقىّ:

[لقيت نيّفا و ثلثمائة من المشايخ المشهورين فما لقيت أحدا بين يدى اللّه و هو يعلم أنه بين يدى اللّه أهيب من ابن الجلّى]. و فيها توفّى الأمير أبو عبد اللّه الحسين بن حمدان ابن حمدون التّغلبىّ عمّ السلطان سيف الدولة بن حمدان، كان معظّما فى الدول، ولّاه الخليفة المكتفى محاربة الطّولونيّة، ثم ولى حرب القرامطة فى أيام المقتدر؛ ثم ولى ديار ربيعة فغزا و افتتح حصونا و قتل خلقا من الروم، ثم خالف و عصى على الخلافه فسار لحربه رائق الكبير فانكسر فتوجّه رائق إلى مؤنس الخادم و انضم إليه و عاد إليه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۹۵

و قاتله حتى ظفر به و أسره و وجّهه الى الخليفة فحبسه الى أن قتل فى محبسه ببغداد؛ و كان من أجلّ الأمراء بأسا و شجاعة، و هو أوّل من ظهر أمره من ملوك بنى حمدان.

و فيها توفّى عبدان بن أحمد بن موسى بن زياد أبو محمد الأهوازىّ الجواليقىّ الحافظ، و كان اسمه عبد اللّه فخفّف بعبدان، و هو أحد من طاف البلاد فى طلب الحديث و سمع الكثير و صنّف التصانيف و رحل الناس إليه، و كان أحد الحفّاظ الأثبات.

و فيها توفّى محمد بن خلف بن حيّان بن صدقة أبو بكر القاضى الضّبّىّ و يعرف بوكيع، كان عالما نبيلا فصيحا عارفا بالسّير و أيام الناس، و له تصانيف كثيرة فى أخبار القضاء و عدد آيات القرآن و غير ذلك.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا.

ذكر ولاية تكين الثانية على مصر

ولاية الأمير تكين الثانية على مصر- وليها من قبل المقتدر بعد موت ذكا الرومىّ فى شهر ربيع الأوّل سنة سبع و ثلثمائة، و سار من بغداد الى مصر؛ و كان المقتدر قد جهّز جيشا الى مصر نجدة لذكا و على الجيش الأمير إبراهيم بن كيغلغ و الأمير محمود ابن جمل فدخلوا مصر قبل تكين فى شهر ربيع الأوّل المذكور؛ ثم دخل تكين بعدهم بمدّة فى حادى عشرين من شعبان من السنة؛ فلما وصل تكين الى مصر أقرّ على شرطته ابن طاهر، ثم تجهّز بسرعة و خرج من الديار المصريّة بجيوش مصر و العراق و نزل بالجيزة و حفر بها خندقا ثانيا غير الذى حفره ذكا قبل موته.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۹۶

و أمّا عسكر المغاربة فإنّ مقدّمة القائم ابن المهدىّ عبيد اللّه الفاطمىّ دخلت الإسكندريّة فى صفر هذه السنة، فاضطرب أهل مصر و لحق كثير منهم بالقلزم و الحجاز لا سيما لمّا مات ذكا؛ فلما قدم تكين هذا تراجع الناس. ثم إنّ تكين بلغه أنّ القائم محمدا قد اعتلّ بالإسكندريّة علّة صعبة و كثر المرض فى جنده فمات داود بن حباسة و وجوه من القوّاد؛ ثم تحاملوا و مشوا إلى جهة مصر، فاستمرّ تكين بمنزلته من الجيزة إلى أن أقبلت عساكر المهدىّ، فاستقبله المذكور فتقاتلا- قتالا شديدا انتصر فيه تكين و ظفر بالمراكب فى شوّال من السنة؛ و توجّهت عساكر المهدىّ إلى نحو الصعيد، و عاد تكين إلى مصر مؤيّدا منصورا، و دام بها إلى أن حضر إليها مؤنس الخادم فى نحو ثلاثة آلاف من عساكر العراق فى المحرّم سنة ثمان و ثلثمائة، و خرج تكين إلى الجيزة ثانيا و بعث ابن كيغلغ إلى الأشمونين لقتال عساكر المهدىّ (أعنى المغاربة) فتوجّه إليه ابن كيغلغ المذكور فمات بالبهنسا فى أوّل ذى القعدة. ثم بلغ تكين أنّ ابن المدينىّ القاضى و جماعة بمصر يدعون إلى المهدىّ، فأخذهم و ضرب أعناقهم و حبس أصحابه. و ملك أصحاب المهدىّ الفيّوم و جزيرة الأشمونين و عدّة بلاد، و ضعف أمر تكين عنهم؛ فقدم عليه نجدة ثانية من العراق عليها جنّىّ الخادم فى ذى الحجّة من السنة؛ خرج جنىّ أيضا بمن معه إلى الجزيرة؛ و توجّه الجميع لقتال عساكر المهدىّ، فكانت بينهم حروب و خطوب بالفيوم و الإسكندريّة، و طال ذلك بينهم أياما كثيرة إلى أن رجع أبو القاسم القائم محمد بن المهدىّ عبيد اللّه بعساكره إلى برقة.

و أقام تكين بعد ذلك مدّة، و صرفه مؤنس الخادم عن إمرة مصر فى يوم الأحد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۹۷

لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل من سنة تسع و ثلثمائة، و ولّى مكانه على مصر أبا قابوس محمود بن جمل؛ و كانت ولاية تكين هذه الثانية على مصر نحو السنة و سبعة أشهر تخمينا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۷]

السنة التى حكم فيها ذكا و فى آخرها تكين على مصر، و هى سنة سبع و ثلثمائة- فيها اجدبت العراق فخرج أبو العباس أخو أمّ موسى القهرمانة و الناس معه فاستقبوا. و فيها خلع المقتدر على نازوك الخادم و ولّاه دمشق. و فيها خلع المقتدر على أبى منصور بن أبى دلف و ولّاه ديار بكر و سميساط. و فيها دخلت القرامطة البصرة فنهبوها و قتلوا و سبوا. و فيها توفّى الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ العباسىّ البغدادىّ بها، و كان صاحب الصلاة بمدينة السلام و أمير مكّة و الموسم، و قد تقدّم ذكر أنه حجّ بالناس نحو العشرين سنة، و تولّى ابنه عمر مكانه، و كانت وفاته فى صفر.

و فيها توفّى أحمد بن علىّ بن المثنّى بن يحيى بن عيسى بن هلال أبو يعلى التميمىّ الموصلىّ الحافظ صاحب المسند، ولد فى شوّال سنة عشرين و مائتين، و كان إماما عالما محدّثا فاضلا؛ وثّقه ابن حبّان و وصفه بالإتقان و الدّين، و قال: بينه و بين النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم ثلاثة أنفس. و قال الحاكم: هو ثقة مأمون، سمعت أبا علىّ الحافظ يقول:

كان أبو يعلى لا يخفى عليه من حديثه إلا اليسير. و فيها توفّى علىّ بن سهل بن الأزهر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۹۸

أبو الحسن الأصبهانىّ، كان أوّلا- من أبناء الدنيا المترفين فتزهّد و خرج عما كان فيه، و كان يكاتب الجنيد فيقول الجنيد: ما أشبه كلامه بكلام الملائكة!.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۸]

اشارة

السنة الثانية من ولاية تكين الثانية على مصر، و هى سنة ثمان و ثلثمائة- فيها غلت الأسعار ببغداد و شغبت العامّة و وقع النهب، فركبت الجند؛ و سبب ذلك ضمان حامد بن العباس السواد و تجديد المظالم لمّا ولى الوزارة، و قصدوا دار حامد فخرج اليهم غلمانه فحاربوهم و دام القتال بينهم أياما و قتل منهم خلائق، ثم اجتمع من العامّة نحو عشرة آلاف، فأحرقوا الجسر و فتحوا السجون و نهبوا الناس، فركب هارون [بن غريب] فى العساكر و ركب حامد بن العباس فى طيّار فرجموه، و اختلّت أحوال الدولة العبّاسية و غلبت الفتن و محقت الخزائن. و فيها استولى عبيد اللّه الملقّب بالمهدىّ الداعى على بلاد المغرب و عظم أمره؛ و من يومئذ أخذ أمر عبيد اللّه هذا فى إقبال،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۱۹۹

و أخذت الدولة العباسيّة فى إدبار. و فيها توفّى جعفر بن محمد بن جعفر بن الحسن ابن جعفر بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب العلوىّ، كان فاضلا ورعا، مات فى ذى القعدة. و فيها توفّى عبد اللّه بن ثابت بن يعقوب الشيخ أبو عبد اللّه التّوزىّ (بزاى معجمة) ولد سنة ثلاث و عشرين و مائتين، و سكن بغداد و مات غريبا بالرّملة، و كان فاضلا عالما. و فيها توفّى إمام جامع المنصور الشيخ محمد بن هارون بن العباس بن عيسى بن أبى جعفر المنصور بن محمد بن على بن عبد اللّه بن العباس الهاشمىّ العباسىّ، كان معرقا فى النسب، أمّ بجامع المنصور خمسين سنة، و ولى ابنه جعفر بعده فعاش تسعة أشهر و مات. و فيها توفّيت ميمونة بنت المعتضد بالله الهاشميّة العباسيّة عمّة الخليفة المقتدر، كانت من عظماء نساء عصرها.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

ذكر ولاية أبى قابوس محمود على مصر

هو محمود بن جمل أبو قابوس، ولّاه مؤنس الخادم إمرة مصر بعد عزل تكين عنها لأمر اقتضى ذلك فى يوم الأحد ثالث عشر شهر ربيع الأوّل سنة تسع و ثلثمائة، فلم ينجح أمره، و خالفت عليه جند مصر استصغارا له؛ فعزله مؤنس بعد ثلاثة أيّام فى يوم الثلاثاء لستّ عشرة خلت من شهر ربيع الأوّل المذكور؛ و عاد الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۰۰

تكين على إمرة مصر لثالث مرّة. و كانت ولاية محمود هذا على مصر ثلاثة أيام، على أنه لم يبتّ فيها أمراء قلت: و متى تفرّغ للنظر فى الأمور! فانه يوم لبس الخلعة جلس فيه للتهانئ، و يوم عزل للتآسى؛ فإمرته على هذا يوم واحد و هو يوم الاثنين، فما عسى [أن] يصنع فيه!. و كان مؤنس الخادم حضر إلى مصر فى عسكر من قبل الخليفة المقتدر فى سنة ثمان و ثلثمائة، فصار يدبّر أمرها و يراجع الخليفة.

ذكر ولاية تكين الثالثة على مصر

و لما عزل مؤنس الخادم تكين هذا بأبى قابوس فى ثالث عشر شهر ربيع الأوّل سنة تسع و ثلثمائة بغير جنحة عظم ذلك على المصريين، فلم يلتفت مؤنس لذلك و ولّى أبا قابوس على إمرة مصر عوضه، فكثر الكلام فى عزل تكين المذكور و ولاية أبى قابوس حتى أشيع بوقوع فتنة؛ و تكلّم الناس و أعيان مصر مع مؤنس الخادم فى أمر تكين و خوّفوه عاقبة ذلك و ألحّوا عليه فى عوده، فأذعن لهم بذلك و أعاده فى يوم الثلاثاء سادس عشرين شهر ربيع الأوّل على رغمه حتى أصلح من أمره ما دبّره من أمر المصريين، و قرّر

مع القوّاد ما أراده من عزل تكين المذكور عن إمرة مصر، و لا زال بهم حتى وافقه الجميع؛ فلما رأى مؤنس أن الذى رامه تمّ له عزله بعد أربعة أيام من ولايته، و ذلك فى يوم تاسع عشرين شهر ربيع الأوّل و هو يوم سلخه من سنة تسع و ثلثمائة. ثم بدا لمؤنس إخراج تكين هذا من الديار المصريّة خوف الفتنة، فأخرجه منها إلى الشأم فى أربعة آلاف من أهل الديوان؛ و بعث مؤنس إلى الخليفة يعرّفه بما فعل؛ فلما بلغ الخليفة ذلك ولّى على مصر الأمير هلال آبن بدر الآتى ذكره، و أرسله إلى الدّيار المصريه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۰۱

ذكر ولاية هلال بن بدر على مصر

هو هلال بن بدر الأمير أبو الحسن؛ ولى إمرة مصر بعد عزل تكين عنها فى شهر ربيع الآخر- أعنى من دخوله إلى مصر؛ فإنه قدمها فى يوم الاثنين لسّت خلون من شهر ربيع الآخر من سنة تسع و ثلثمائة، ولّاه الخليفة المقتدر على الصلاة.

و لما دخل إلى مصر أقرّ ابن طاهر على الشّرطة ثم صرفه بعد مدّة بعلىّ بن فارس.

و كان هلال هذا لما قدم إلى مصر جاء معه كتاب الخليفة المقتدر لمؤنس بخروجه من مصر وعوده إلى بغداد، فلما وقف مؤنس على كتاب الخليفة تجهّز و خرج من الديار المصريّة بعساكر العراق و معه محمود بن جمل الذى كان ولى مصر. و كان خروج مؤنس من مصرفى يوم ثامن عشر شهر ربيع الآخر من سنة تسع و ثلثمائة المذكورة.

و أقام هلال بن بدر المذكور على إمرة مصر و أحوالها مضطربة إلى أن خرج عليه جماعة من المصريين و أجمعوا على قتاله، و تشغّبت الجند أيضا و وافقوهم على حربه، و انضمّ الجميع بمن معهم و خرجوا من الديار المصرية إلى منية الأصبغ و معهم الأمير محمد بن طاهر صاحب الشرطة. و لمّا بلغ هلالا هذا أمرهم تهيّأ و تجهّز لقتالهم، و جمع من بقى من جند مصر و طلب المقاتلة و أنفق فيهم و ضمّهم إليه و جهّزهم، ثم خرج بهم و حواشيه إلى أن وافاهم و قاتلهم أياما عديدة؛ و طال الأمر فيما بينه و بينهم، و وقع له معهم حروب، و كثر القتل و النهب بينهم، و فشا الفساد و قطع الطريق بالديار المصرية؛ فعظم ذلك على أهل مصر، لا سيما الرعيّة. و ضعف ابن هلال هذا عن إصلاح أحوال مصر، فصار كلّما سدّ أمرا انخرق عليه آخر؛ فكانت أيامه على مصر شرّ أيام. و لما تفاقم الأمر عزله الخليفة المقتدر بالله جعفر عن إمرة مصر بالأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۰۲

أحمد بن كيغلغ. فكانت ولاية هلال المذكور على مصر سنتين و أياما، قاسى فيها خطوبا و حروبا و وقائع و فتنا، إلى أن خلص منها كفافا لا له و لا عليه.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۰۹]

السنة التى حكم فى أوّلها تكين إلى ثالث عشر شهر ربيع الأوّل، ثم أبو قابوس محمود ثلاثة أيام، ثم تكين المذكور أربعة أيام، ثم هلال بن بدر إلى آخرها، و هى سنة تسع و ثلثمائة- فيها كانت مقتلة الحلّاج و اسمه الحسين بن منصور بن محمّى أبو مغيث، و قيل: أبو عبد اللّه، الحلّاج. كان جدّه محمّى مجوسيّا فأسلم. و نشأ الحلّاج بواسط، و قيل: بتستر، و تلمذ لسهل بن عبد اللّه التسترىّ، ثم قدم بغداد و خالط الصوفيّة و لقى الجنيد و النّورىّ و ابن عطاء و غيرهم. و كان فى وقت يلبس المسوح و فى وقت الثياب المصبّغة و فى وقت الأقبية. و اختلفوا فى تسميته بالحلّاج، قيل: إن أباه كان حلّاجا، و قيل: إنه تكلّم على الناس [و على ما فى قلوبهم] فقالوا: هذا حلّاج الأسرار، و قيل: إنه مرّ على حلّاج فبعثه فى شغل له فلما عاد الرجل وجده قد حلّج كلّ قطن فى الدكان. و قد دخل الحلّاج الهند و أكثر الأسفار و جاور بمكة سنين، ثم وقع له أمور يطول شرحها، و تكلّم فى اعتقاده بأقوال كثيرة حتى اتفقوا على زندقته، و اللّه أعلم

بحاله. و كان قد حبس فى سنة إحدى و ثلثمائة فأخرج فى هذه السنة من الحبس فى يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذى القعدة، و قيل: لستّ بقين منه، فضرب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۰۳

ألف سوط ثم قطعت أربعته ثم حزّ رأسه و أحرقت جثّته، و نصب رأسه على الجسر أياما، ثم أرسل إلى خراسان فطيف به. و فيها وقع بين أبى جعفر محمد بن جرير الطبرىّ و بين السادة الحنابلة كلام، فحضر أبو جعفر عند الوزير علىّ بن عيسى لمناظرتهم و لم يحضروا. و فيها قدم مؤذن؟؟؟ الخادم على الخليفة من مصر فخلع عليه و لقّبه بالمظفّر.

قلت: و هذا أوّل لقب سمعناه من ألقاب ملوك زماننا. و فيها توفى محمد بن خلف بن المرزبان بن بسّام أبو بكر المحوّلىّ- و المحوّل: قرية غربىّ بغداد- كان إماما عالما، و له التصانيف الحسان، و هو مصنّف كتاب "تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب، "و حدّث عن الزبير بن بكّار و غيره، و روى عنه ابن الأنبارىّ و غيره، و كان صدوقا ثقة. و فيها توفى محمد بن [أحمد بن] راشد بن معدان الحافظ أبو بكر الثقفىّ مولاهم، كان حفّاظا محدّثا، طاف البلاد و لقى الشيوخ و صنّف الكتب، و مات بشروان.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أحمد بن أنس ابن مالك الدمشقىّ، و أبو عمرو أحمد بن نصر الخفّاف الزاهد، و على بن سعيد بن بشير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۰۴

الرازىّ، و محمد بن حامد بن سرىّ يعرف بخال السّنّىّ، و محمد بن يزيد بن عبد الصمد، و ممشاد الدّينورىّ الزاهد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۰]

اشارة

السنة الثانية من ولاية هلال بن بدر على مصر، و هى سنة عشر و ثلثمائة- فيها قبض الخليفة المقتدر على أمّ موسى القهرمانة و صادر أخاها و حواشيها و أهلها؛ و سبب ذلك أنّها زوّجت بنت أخيها أبى بكر أحمد بن العباس من أبى العباس محمد بن إسحاق بن المتوكّل على اللّه، و كان من سادة بنى العباس يترشّح للخلافة، فتمكّن أعداؤها من السعى عليها، و كانت قد أسرفت بالمال فى جهازها، و بلغ المقتدر أنها تعمل له على الخلافة؛ فكاشفتها السيدة أمّ المقتدر و قالت: قد دبّرت على ولدى و صاهرت ابن المتوكّل حتى تقعديه فى الخلافة؛ فسلّمتها الى ثمل القهرمانة و معها أخوها و أختها، و كانت ثمل مشهورة بالشرّ و قساوة القلب، فبسطت عليهم العذاب و استخرجت منهم الأموال و الجوهر؛ يقال: إنه حصّل من جهتهم ما مقداره ألف ألف دينار. و فيها قلّد الخليفة المقتدر نازوك الشّرطة بمدينة السلام مكان محمد بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۰۵

عبد اللّه بن طاهر. و فيها توفّى بدر [بن عبد اللّه] الحمامىّ الكبير أبو النجم المعتضدىّ، كان أوّلا مع ابن طولون فولّاه الأعمال الجليلة، ثم جهّزه خمارويه إلى الشأم لقتال القرمطىّ فواقعه و قتله، ثم ولى من قبل الخلفاء أصبهان و غيرها إلى أن مات على عمل مدينة فارس، و كان أميرا ديّنا شجاعا و جوادا محبّا للعلماء و الفقراء؛ و قيل: إنّه كان مستجاب الدعوة؛ و لما مات ولّى المقتدر مكانه ابنه محمّدا. و فيها توفّى محمد بن جرير ابن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبرىّ العالم المشهور صاحب التاريخ و غيره، مولده فى

آخر سنة أربع و عشرين و مائتين أو أوّل سنة خمس و عشرين و مائتين، و هو أحد أئمة العلم، يحكم بقوله و يرجع إلى رأيه، و كان متفنّنا فى علوم كثيرة، و كان واحد عصره؛ و كانت وفاته فى شوّال بخراسان، و أصله من مدينة طبرستان. قال أبو بكر الخطيب: «جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظا لكتاب اللّه، بصيرا بالمعانى، فقيها فى أحكام القرآن، عالما بالسنن و طرقها، صحيحها و سقيمها، ناسخها و منسوخها، عارفا بأقوال الصحابة و التابعين، بصيرا بأيّام الناس و أخبارهم؛ له الكتاب المشهور فى تاريخ الأمم، و كتاب التفسير، و كتاب تهذيب الآثار لكن لم يتمّه؛ و له فى الأصول و الفروع كتب كثيرة». انتهى. و فيها توفّى أحمد بن يحيى بن زهير أبو جعفر التسترىّ الحافظ الزاهد، سمع الكثير و حدّث و روى عنه خلق كثير. قال الحافظ أبو عبد اللّه بن مندة: ما رأيت فى الدنيا أحفظ من أبى جعفر التسترىّ؛ و قال التسترىّ: ما رأيت فى الدنيا أحفظ من أبى زرعة الرازىّ؛ و قال أبو زرعة: ما رأيت فى الدنيا أحفظ من أبى بكر بن أبى شيبة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۰۶

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى إسحاق بن إبراهيم ابن محمد بن حنبل الأصبهانىّ، و أبو شيبة داود بن إبراهيم، و على بن عبّاس المقانعىّ البجلىّ، و محمد بن أحمد بن حمّاد أبو بشر الدّولابىّ فى ذى القعدة، و أبو جعفر محمد ابن جرير الطبرىّ فى شوّال، و له أربع و ثمانون سنة، و أبو عمران موسى بن جرير الرّقّىّ، و الوليد بن أبان أبو العباس الأصبهانىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و إحدى و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و تسع أصابع.

ذكر ولاية أحمد بن كيغلغ الأولى على مصر

هو أحمد بن كيغلغ الأمير أبو العبّاس؛ ولّاه المقتدر إمرة مصر بعد عزل هلال ابن بدر عنها فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة و ثلثمائة؛ فلما وليها قدم ابنه العباس خليفته على مصر، فدخلها العباس المذكور فى مستهلّ جمادى الأولى من سنة إحدى عشرة و ثلثمائة، فأقرّ ابن منجور على الشرطة، ثم قدم أحمد بن كيغلغ إلى مصر و معه محمد بن الحسين بن عبد الوهاب الماذرائىّ على الخراج؛ و لما دخلا إلى مصر أحضرا الجند و وضعا العطاء لهم، و أسقطا كثيرا من الرّجالة، و كان ذلك بمنية الأصبغ، فثار الرجّالة، ففرّ أحمد بن كيغلغ منهم الى فاقوس، و هرب الماذرائىّ و دخل المدينة لثمان خلون من شوّال. و أما الأمير أحمد بن كيغلغ هذا فإنه أقام بفاقوس الى أن صرف عن إمرة مصر بتكين فى ثالث ذى القعدة سنة إحدى عشرة و ثلثمائة؛ فكانت ولايته على مصر نحوا من سبعة أشهر؛ و تولّى تكين مصر عوضه و هى ولايته الرابعة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۰۷

على مصر. و شقّ ذلك على الخليفة. غير أنه أطاع الجند و أرضاهم و استمالهم مخافة من عساكر المهدىّ الفاطمىّ؛ فإن عساكره تداول تحكّمهم الى نحو الديار المصريّة فى كلّ قليل؛ و صار أمير مصر فى حصر من أجل ذلك و هو محتاج الى الجند و غيرهم، لأجل القتال و الدفع عن الديار المصريّة. قلت: و يأتى بقيّة ترجمة أحمد بن كيغلغ هذا فى ولايته الثانية على مصر إن شاء اللّه تعالى.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۱]

اشارة

السنة التى حكم فى غالبها الأمير أحمد بن كيغلغ على مصر، و هى سنة إحدى عشرة و ثلثمائة- فيها صرف أبو عبيد بن حربويه عن قضاء مصر و تأسّف الناس عليه و فرح هو بالعزل و انشرح له؛ و ولى قضاء مصر بعده أبو يحيى عبد اللّه بن إبراهيم ابن مكرم. و فى

هـذه السـنة ظهر شاكر الزاهـد صاحب حسـين الحلّاج و كان من أهل بغـداد. قال السّـلميّ فى تاريخ الصوفيّة: شاكر خادم الحلّاج كان متّهما مثل الحلّاج، ثم حكى عنه حكايات إلى أن قتل و ضـربت رقبته بباب الطاق. و فيها صرف المقتدر حامد بن العبّاس عن الوزارة، و علىّ بن عيسـى عن الـديوان؛ و كانت ولايتهما أربع سـنين و عشـرة أشـهر و أربعـة عشـر يوما. و اسـتوزر المقتدر أبا الحسن علىّ بن محمد بن الفرات الثالثة فى يوم الخميس لسبع بقين من شهر ربيع الآخر؛ و هذه ولاية ابن الفرات الثالثة للوزارة. و فيها نكب الوزير أبو الحسن بن الفرات المـذكور أبا علىّ بن مقلـة كاتب حامـد بن العبّاس و ضـيّق عليه. و ابن مقلة هذا هو صاحب الخطّ المنسوب [إليه]، يأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى فى محلّه. و فيها دخل أبو طاهر سليمان بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۰۸

الحسن الجنّابىّ القرمطىّ الى البصرة و وضع السيف فى أهلها و أحرق البلد و الجامع و مسجد طلحة و هرب الناس و ألقوا بأنفسهم فى المـاء فغرق معظمهم. و فيهـا توفّى ابراهيم بن السّـرىّ بن سـهل أبو إسـحاق الزجّـاج الإمام الفاضل مصـنّف "كتاب معانى القرآن "و" الاشـتقاق "و "القوافى و العروض "و "فعلت و أفعلت "و مختصـرا فى النحو، و غير ذلك. و فيها توفّى الوزير الأمير حامد بن العبّاس، كان أوّلا على نظر فارس و أضـيف إليها البصرة، ثم آل أمره إلى أن طلب و ولّى الوزارة للمقتدر؛ و كان كثير الأموال و الحشم بحيث إنه كـان له أربعمائـة مملوك يحملون السـلاح و فيهم جماعـة أمراء؛ كـان جوادا ممـدّحا كريما، غير أنه كان فيه شـراسة خلق، و كان ينتصب فى بيته كلّ يوم عدّة موائد و يطعم كلّ من حضـر إلى بيته حتى العامة و الغلمان، فيكون فى بعض الأيام أربعون مائدة. و رأى يوما فى دهليزه قشـر باقلاء، فأحضر وكيله و قال له: ويحك! يؤكل فى دارى باقلاء! فقال: هذا فعل البوّابين؛ فقال: أو ليست لهم جراية لحم؟ قـال: بلى؛ [فقـال: سـلهم عن السـبب؛ فسـألهم] فقـالوا: لا نتهنّـا بأكـل اللحم دون عيالنا فنحن نبعثه إليهم و نجوع بالغـداة فنأكل الباقلاء؛ فأمر أن يجرى عليهم لحم لعيالهم. و قيل: إنه ركب قبل الوزارة بواسط إلى بسـتان له فرأى شـيخا يولول و حوله نساء و صبيان يبكون، فسأل حامـد عن خبرهم؛ فقيل له: احترق منزله و قماشه فافتقر؛ فرقّ له حامد و طلب وكيله و قال له: أريد منك أن تضـمن لى ألّا أرجع عشـيّة من النزهة إلّا و داره كما كانت مجصّصة، و بها المتاع و القماش و النّحاس كما كانت، و تبتاع له و لعياله كسوة الشتاء و الصيف مثل ما كانوا؛ فأسرع فى طلب الصّنّاع و بادروا فى العمل، و صبّ الدراهم و أضعف الأجر حتى فرغوا من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۰۹

الجميع بعـد العصـر، فلما ردّ حامد وقت العتمة شاهدها مفروغا منها بآلاتها و أمتعتها الجدد، و ازدحم الناس يتفرّجون و ضـجّوا لحامد بالـدعاء؛ و نال التاجر من المال فوق ما ذهب له، ثم زاده بعـد ذلك كلّه خمسة آلاف درهم ليقوّى بها تجارته. و فيها توفّى محمد بن إسـحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السّـلميّ النيسابوريّ الحافظ أبو بكر، ولد فى صـفر سـنة ثلاث و عشرين و مائتين. قال الـدارقطنى: كان ابن خزيمة إماما ثبتا معدوم النظير. توفّى ثانى ذى القعدة. و فيها توفّى محمد بن زكريا أبو بكر الرازىّ الطبيب العلّامة فى علم الأوائـل و صـاحب المصـنّفات المشـهورة، مـات ببغـداد و قـد انتهت إليه الرياسـة فى فنـون من العلوم، و كـان فى صـباه مغنّيا [يضرب] بالعود.

قيل: إنه لما ترك الضرب بالعود و الغناء قيل له فى ذلك؛ فقال: كل غناء يطلع بين شارب و لحية لا يستحسن.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلّال الحنبلىّ، و إبراهيم بن السّرىّ أبو إسـحاق الزجّاج فى جمادى الآخرة، و حمّاد بن شاكر النسـفىّ، و عبـد اللّه بن إسـحاق المدائنىّ، و أبو حفص عمر بن محمد ابن بجير السّمرقندىّ، و أبو بكر بن إسحاق بن خزيمة السّلمىّ فى ذى القعدة، و محمد ابن زكريا الرازىّ الطبيب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و إحدى و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۱۰

ذكر ولاية تكين الرابعة على مصر

قد تقدّم ذكره فى ولايته على مصر، و أنه صرف عن إمرة مصر فى النّوبة الثالثة بهلال بن بدر، ثم ولى بعد هلال بن بدر الأمير ابن كيغلغ؛ فلما وقع لابن كيغلغ ما وقع من خروج جند مصر عليه و اضطربت أحوال الديار المصرية و بلغ الخليفة المقتدر ذلك صرف ابن كيغلغ و أعاد تكين هذا على إمرة مصر رابع مرّة.

و وصل رسول تكين هذا إلى مصر بإمرته يوم الخميس لثلاث خلون من ذى القعدة سنة إحدى عشرة و ثلثمائة؛ و خلفه ابن منجور على الصلاة إلى أن قدم مصر فى يوم عاشوراء من سنة اثنتى عشرة و ثلثمائة، فأقرّ ابن منجور على الشّرطة ثم عزله، و ولى قرا تكين، ثم عزل قراتكين و ولّى وصيفا الكاتب، ثم عزله أيضا و ولّى بجكم الأعور؛ كلّ ذلك من اضطراب المصريّين، حتى مهّد أمور الديار المصريّة و تمكّن [و] أسقط كثيرا من الجند و كانوا أهل شرّ و نهب و نفاق؛ ثم نادى ببراءة الذمّة ممن أقام منهم بالديار المصريّة بعد ذلك؛ فخرج الجميع على حميّة و أجمعوا على قتله؛ فتهيأ تكين أيضا لقتالهم و جمع العساكر؛ و صلّى الجمعة بدار الإمارة بالعسكر و ترك حضور الجماعة خوفا من وقوع فتنة؛ و لم يصلّ قبله أحد من الأمراء بدار الإمارة الجمعة؛ و أنكر عليه أبو الحسن علىّ بن محمد الدّينورىّ ذلك و أشياء أخر؛ و بلغ تكين ذلك فأمر بإخراج الدينورىّ من مصر إلى القدس فخرج منها؛ و لم يقع له مع الجند ما راموا من القتال. و أخذ فى تمهيد مصر إلى أن حسن حالها و تمكّنت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۱۱

قدمه فيها و رسخت، حتى ورد عليه الخبر بموت الخليفة المقتدر فى شوّال سنة عشرين و ثلثمائة، و بويع بالخلافة من بعده أخوه القاهر بالله محمد؛ فأقرّ القاهر تكين هذا على عمله بمصر و أرسل إليه بالخلع؛ و دام تكين على ذلك حتى مرض و مات بها فى يوم السبت لستّ عشرة خلت من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى و عشرين و ثلثمائة، و حمل فى تابوت الى بيت المقدس فدفن به. و تولّى مصر بعده محمد بن طغج.

و كانت ولاية تكين هذه المرّة على مصر تسع سنين و شهرين و خمسة أيام. و كان تكين المذكور يعرف بتكين الخاصّة و بالخزرىّ، و كان أميرا عاقلا شجاعا عارفا مدبّرا، ولى الأعمال الجليلة، و ظالت أيّامه فى السعادة، و كان عنده سياسة و دربة بالأمور و معرفة بالحروب. رضى اللّه عنه.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۲]

السنة الأولى من ولاية تكين الرابعة على مصر، و هى سنة اثنتى عشرة و ثلثمائة- فيها حجّ بالناس الحسن بن عبد العزيز الهاشمىّ. و فيها عارض أبو طاهر بن أبى سعيد الجنّابىّ القرمطىّ الحاجّ و هو فى ألف فارس و ألف راجل، و كان من جملة الحجّاج أبو الهيجاء عبد اللّه بن حمدان و أحمد بن بدر عمّ السيدة أمّ المقتدر، و شقيق خادمها و جماعة من الأعيان؛ فأسر القرمطىّ الجميع و أخذ جميع أموال الحاجّ، و سار بهم الى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۱۲

هجر؛ ثم بعد أشهر أطلق القرمطىّ أبا الهيجاء عبد اللّه بن حمدان المذكور. و فيها أرسل القرمطىّ المقدّم ذكره يطلب من المقتدر البصرة و الأهواز. و ذكر ابن حمدان أنّ القرمطىّ قتل من الحاجّ من الرجال ألفين و مائتين و من النساء ثلثمائة، و بقى عنده بهجر ألفان و مائتا رجل و خمسمائة امرأة. و فيها فتحت فرغانة على يد أمير خراسان.

و فيها أطلق أبو نصر و أبو عبد اللّه ولدا أبى الحسن بن الفرات و خلع عليهما؛ و قد وزّر أبوهما ابن الفرات ثالث مرّة، و ملك من المال ما يزيد على عشرة آلاف ألف دينار، و أودع المال عند وجوه بغداد؛ و كان جبّارا فاتكا، و فيه كرم و سياسة، و مات فى هذه

السنة. و فيها توفّيت فاطمة بنت عبد الرّحمن ابن أبى صالح الشيخة أمّ محمد الصوفيّة، كانت من الصالحات المتعبّدات، طال عمرها حتى جاوزت الثمانين، و لقيت جماعة كثيرة من مشايخ القوم، و كان لها أحوال و كرامات. و فيها توفّى محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث الحافظ أبو بكر الواسطىّ المعروف بالباغندىّ، سمع علىّ بن المدينى و محمد بن عبد اللّه بن نمير و شيبان بن فرّوخ و غيرهم بمصر و الشام و العراق، و عنى بشأن الحديث أتمّ عناية، و روى عنه دعلج و محمد بن المظفّر و عمر بن شاهين و أبو بكر بن المقرئ و خلق كثير. قال أبو بكر الأبهرىّ و غيره سمعنا أبا بكر الباغندىّ يقول: أجبت فى ثلثمائة ألف مسئلة فى حديث

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۱۳

النبى صلى اللّه عليه و سلم. و قال الدارقطنى: كان كثير التدليس يحدّث بما لم يسمع.

و مات فى ذى الحجّة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو الحسن علىّ ابن محمد بن موسى بن الفرات الوزير، و أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندىّ، و أبو بكر محمد بن هارون بن المجدّر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و سبع أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۳]

السنة الثانية من ولاية تكين الرابعة على مصر، و هى سنة ثلاث عشرة و ثلثمائة- فيها سار الحاجّ من بغداد و معهم جعفر بن ورقاء فى ألف فارس، فلقيهم القرمطىّ فناوشهم بالحرب، فرجع الناس الى بغداد، و نزل القرمطىّ على الكوفة، فقاتلوه فغلبهم و دخل البلد و نهب ما لا يحصى؛ فندب المقتدر مؤنسا الخادم لحرب القرمطىّ، و جهّزه بألف ألف دينار. و فيها عزل المقتدر أبا القاسم الخاقانىّ الوزير عن الوزارة؛ فكانت وزارته [سنة و] ستة أشهر؛ و استوزر أحمد ابن عبيد اللّه بن أحمد بن الخصيب، فسلّم إليه الخاقانىّ، فصادره و كتّابه و أخذ أموالهم. و فيها كان الرّطب كثيرا ببغداد حتى أبيع كلّ ثمانية أرطال بحبّة. و فيها قدم مصر علىّ بن عيسى الوزير من مكّة ليكشفها و خرج بعد ثلاثة أشهر للرملة.

و فيها عزل عن قضاء مصر عبد اللّه بن ابراهيم [بن محمد] بن مكرم بهارون [بن إبراهيم] بن حمّاد القاضى من قبل المقتدر. و فيها توفّى علىّ بن عبد الحميد [بن عبد اللّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۱۴

ابن سليمان] بن سليمان أبو الحسن الغضائرىّ نزيل حلب، كان صالحا زاهدا، حجّ أربعين حجّة على أقدامه؛ قال: طرقت باب السّرىّ السّقطىّ فسمعته يقول:

«اللهمّ اشغل من شغلنى عنك بك» [قال فنالنى بركة هذه الدعوة فحججت على قدمى من حلب الى مكّة أربعين سنة ذاهبا و آئبا]. و فيها توفّى علىّ بن محمد بن بشّار الشيخ أبو الحسن الزاهد العابد البغدادىّ صاحب الكرامات، كان من الأبدال، كان يتكلّم و يعظ الناس و كان لكلامه تأثير فى القلوب؛ و كانت وفاته ببغداد و دفن غربيّها، و قبره هناك يقصد للزيارة. و فيها توفّى محمد بن إسحاق بن إبراهيم الثّقفىّ مولاهم النّيسابورىّ الحافظ أبو العبّاس السّراج محدّث خراسان و مسندها. قال أبو إسحاق المزكّى سمعته يقول: «ختمت عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم اثنتى عشرة ألف ختمة، و ضحّيت عنه اثنتى عشرة ألف ضحيّة». قال محمد بن أحمد الدقّاق:

رأيت السّراج يضحّى فى كل أسبوع أو أسبوعين أضحية عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، ثم يصيح بأصحاب الحديث فيأكلون. و قال الحاكم: سمعت أبى يقول: لمّا ورد الزعفرانىّ و أظهر خلق القرآن سمعت السّراج غير مرّة إذا مرّ بالسوق يقول:

«العنوا الزعفرانیّ»؛ فیصیح الناس بلعنه، حتی ضیّق علیه نیسابور و خرج الی بخاری. و کانت وفاة السّراج فی شهر ربیع الآخر، و له سبع و تسعون سنة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۱۵

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی أبو العباس أحمد ابن محمد الماسرجسیّ، و عبد اللّه بن زیدان بن یزید البجلیّ، و علی بن عبد الحمید الغضائریّ، و أبو لبید محمد بن إدریس الشامیّ السّرخسیّ، و محمد بن إسحاق أبو العباس السّراج فی [شهر] ربیع الآخر و له سبع و تسعون سنة، و أبو قریش محمد ابن جمعة القوهستانیّ.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ستّ أذرع و ثلاث أصابع. مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و خمس أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۴]

السنة الثالثة من ولایة تکین الرابعة علی مصر، و هی سنة أربع عشرة و ثلثمائة- فیها جمدت دجلة بالموصل و عبرت علیها الدوابّ، و هذا لم یعهد مثله، و سقطت ثلوج کثیرة ببغداد. و فیها نزح أهل مکّة عنها خوفا من القرمطیّ، و لم یحجّ الرّکب العراقیّ فی هذین العامین. و فیها دخلت الروم ملطیة بالسیف فقتلوا و سبوا و بقوا فیها أیّاما. و فیها ردّ حجّاج خراسان خوفا من القرمطیّ. و فیها قبض المقتدر علی الوزیر ابن الخصیب لاشتغاله باللهو و اختلال الدولة، فأحضر الوزیر علیّ بن عیسی فأعید الی الوزارة. و فیها فی شهر رمضان هبّت ریح عظیمة فقلعت شجر نصیبین و هدمت دورها. و فیها توفّی الحسین بن أحمد بن رستم أبو علیّ الکاتب، و یعرف بأبی زنبور الماذرائی، کان من کبار آل طولون، و کان من الفضلاء، أحضره

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۱۶

المقتدر لمناظرة ابن الفرات، ثم قلّده خراج مصر، ثم سخط علیه و أحضره الی بغداد و أخذ خطّه بثلاثة آلاف ألف دینار و ستمائة ألف دینار؛ ثم أخرج الی مصر مع مؤنس الخادم فمات بدمشق؛ کان فاضلا کاتبا، حدّث عن أبی حفص العطّار و غیره و حدّث عنه الدارقطنیّ. و فیها توفّی نصر بن القاسم [بن نصر] بن زید الشیخ الإمام أبو اللیث الحنفیّ، کان عالما فقیها دینّا إماما فی الفرائض جلیلا نبیلا ثقة ثبتا، حدّث عن القواریریّ و غیره، و روی عنه ابن شاهین و جماعة؛ و له مصنّفات کثیرة.

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی أبو بکر أحمد بن محمد بن عمر القرشیّ المنکدریّ، و محمد بن محمد بن [عبد اللّه] النفّاح الباهلیّ، و محمد ابن یحیی [بن عمر] بن لبابة القرطبیّ، و أبو اللیث نصر بن القاسم الفرائضیّ.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع و إصبع واحدة.

مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و خمس أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۵]

السنة الرابعة من ولایة تکین الرابعة علی مصر، و هی سنة خمس عشرة و ثلثمائة- فیها ظهرت الدّیلم علی الریّ و الجبال؛ و أوّل من غلب منهم لنکی بن النعمان، فقتل من أهل الجبال مقتلة عظیمة و ذبح الأطفال فی المهد؛ ثم غلب علی قزوین أسفار بن

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۱۷

شیرویه و ألزم أهلها مالا؛ و کان له قائد یسمی مرداویج، فوثب علی أسفار المذکور و قتله و ملک البلاد مکانه، و أساء السیرة بأصبهان، و جلس علی سریر من ذهب و قال:

أنا سليمان بن داود و هؤلاء الشياطين أعوانى. و كان مع هذا سيّئ السيرة فى أصحابه؛ فدخل الحمّام يوما فدخل عليه أصحابه الأتراك فقتلوه و نهبوا خزائنه، و مشى الدّيلم بأجمعهم حفاة تحت تابوته أربعة فراسخ. و فيها جاء أبو طاهر القرمطىّ فى ألف فارس و خمسة آلاف راجل؛ فجهّز المقتدر لحربه يوسف بن أبى الساج فى عشرين ألف فارس و راجل. فلما رآه يوسف احتقره، ثم تقاتلا فكان بينهم مقتلة عظيمة لم يقع فى هذه السنين مثلها، أسر فيها يوسف بن أبى الساج جريحا و قتل فيها جماعة كثيرة من أصحابه. و بلغ المقتدر فانزعج و عزم على النّقلة الى شرقىّ بغداد.

و خرج مؤنس بالعساكر الى الأنبار فى أربعين ألفا، و انضم إليه أبو الهيجاء عبد اللّه ابن حمدان و إخوته: أبو الوليد و أبو العلاء و أبو السّرايا فى أصحابهم و أعوانهم.

و تقدّم نصر الحاجب، فأشار أبو الهيجاء على مؤنس بقطع القنطرة، فتثاقل مؤنس عن قطعها؛ فقال له أبو الهيجاء: أيها الأستاذ، اقطعها و اقطع لحيتى معها فقطعها.

ثم صبّحهم القرمطىّ فى ثانى عشر ذى القعدة فأقام بإزائهم يومين. ثم سار القرمطىّ نحو الأنبار، فلم يتجاسر أحد أن يتبعه. و لو لا قطع القنطرة لكان القرمطىّ عبر عليها و هزم عسكر الخليفة و ملك بغداد. فانظر الى هذا الخذلان؛ فإن القرمطىّ كان فى دون الألف و مؤنس الخادم وحده فى أربعين ألفا سوى من انضم إليه من بنى حمدان و غيرهم من الملوك مع شدّة بأس مؤنس فى الحروب. فما شاء اللّه كان. و وقع فى هذه السنة من القرمطىّ بالأقاليم من البلاء و القتل و السبى و النهب ما لا مزيد عليه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۱۸

قلت: و كيف لا و هو الذى انزعج منه الخليفة بنفسه و انكسرت عساكره منه، و ذهب من بغداد و لم يتبعه أحد؛ فحينئذ خلاله الجوّ و أخذ كلّ ما أراد ممّا لم يدفع كلّ واحد عن نفسه. و فيها تشغّبت الجند على الخليفة المقتدر و وقع أمور. و فيها فى صفر قدم علىّ بن عيسى الوزير على المقتدر، فزاد المقتدر فى إكرامه و بعث إليه بالخلع و بعشرين ألف دينار. و ركب من الغد فى الدّست، ثم أنشد:

ما النّاس إلّا مع الدنيا و صاحبها فكيفما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظّمون أخا الدنيا فإن وثبت يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

و فيها توفّى الحسين بن عبد اللّه أبو عبد اللّه الجوهرىّ، و يعرف بابن الجصّاص، التاجر الجوهرىّ صاحب الأموال و الجوهر، كان تاجرا يبيع الجوهر؛ و قد تقدّم أنّ المقتدر صادره و أخذ منه ستة آلاف ألف دينار غير المتاع و الدوابّ و الغلمان؛ و مع هذا المال كان فيه سلامة باطن، يحكى عنه منها أمور، من ذلك: أنه دخل يوما على الوزير ابن الفرات فقال: أيها الوزير عندنا كلاب ما تدعنا ننام؛ قال:

لعلهم جربى؛ قال: لا- و اللّه إلّا كلب كلب مثلى و مثلك. و نزل مرّة مع الوزير الخاقانىّ فى المركب و بيده بطّيخة كافور، [فأراد أن يبصق فى دجلة و يعطى الوزير البطّيخة]، فبصق فى وجه الوزير و ألقى البطّيخة فى دجلة؛ [فارتاع الوزير و قال له: ويحك! ما هذا؟]؛ ثم أخذ يعتذر للوزير فيقول: أردت أن أبصق فى وجهك و ألقى البطّيخة فى الماء فغلطت؛ فقال: كذا فعلت يا جاهل!. [فغلط فى الفعل و أخطأ فى الاعتذار!]. و مع هذه البليّة كان متجوّلا محظوظا عند الخلفاء و الملوك. و فيها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۱۹

توفّى عبد اللّه بن محمد بن جعفر أبو القاسم القزوينىّ الشافعىّ، ولى قضاء دمشق نيابة عن محمد بن العبّاس الجمحىّ و كان محمود السيرة فقيها، و اختلط قبل موته. و فيها توفّى علىّ بن سليمان بن الفضل أبو الحسن البغدادىّ النحوىّ، و يعرف بالأخفش الصغير، كان متفنّنا يضاهى الأخفش الكبير فى فضله وسعة علمه؛ و مات ببغداد. و فيها توفّى محمد بن إسماعيل بن ابراهيم طباطبا الحسنىّ العلوىّ. و إنما سمّى جدّه "طباطبا "لأن أمّه كانت ترقّصه و تقول: طباطبا (يعنى نم نم). كان سيّدا فاضلا جوادا، يسكن مصر، و كان له بها جاه و منزلة، و بها مات، و قبره يزار بالقرافة. و فيها توفّى محمد بن المسيّب بن إسحاق بن عبد اللّه النيسابورىّ ثم الأرغيانىّ، ولد سنة

ثلاث و عشرين و مائتين و طاف البلاد فى طلب العلم، و كان زاهدا عابدا، بكى حتى ذهب بصره؛ و كان يقول: ما بقى من منابر الإسلام منبر إلا دخلته لسماع الحديث؛ و كان يعرف بالكوسج.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو بكر أحمد بن [على بن] الحسين الرازىّ الحافظ بنيسابور، و أبو القاسم عبد اللّه بن محمد بن جعفر القزوينىّ القاضى، و علىّ بن سليمان النحوىّ الأخفش الصغير، و أبو حفص محمد ابن الحسين الخثعمىّ الأشنانىّ، و أبو الحسن محمد بن الفيض الغسّانىّ، و محمد بن المسيّب الأرغيانىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و اثنتان و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۲۰

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۶]

السنة الخامسة من ولاية تكين الرابعة على مصر، و هى سنة ستّ عشرة و ثلثمائة- فيها فى المحرّم دخل أبو طاهر القرمطىّ الرّحبة بعد حروب و وضع فيها السيف؛ فبعث إليه أهل قرقيسياء يطلبون الأمان فأمّنهم؛ و بعث سراياه فى الأعراب فقتلوا و نهبوا و سبوا؛ ثم دخل قرقيسياء و نادى: لا يظهر أحد من أهلها نهارا، فلم يظهر أحد. ثم توجّه الى الرّقّة فأخذها. و لما رأى الوزير علىّ بن عيسى أن الهجرىّ- أعنى القرمطىّ- استولى على البلاد استعفى من الوزارة. و لما رجع القرمطىّ من سفره بنى دارا و سمّاها دار الهجرة، و دعا الى المهدىّ العلوىّ، و تفاقم أمره و كثر أتباعه؛ فعند ذلك ندب الخليفة المقتدر هارون بن غريب و بعثه الى واسط و بعث صافيا الى الكوفة؛ فوقع هارون بجماعة من القرامطة فقتلهم، و بعث بجماعة منهم أسارى على الجمال الى بغداد و معهم مائة و سبعون رأسا. و فيها وقع بين نازوك و هارون حرب فى ذى القعدة؛ و سببها أن سواس نازوك و هارون تغايروا على غلام أمرد، و قتل من الفريقين جماعة؛ فركب الوزير ابن مقلة برسالة الخليفة بالكفّ عن القتال فكفّا.

و فيها سار ملك الروم الدّمستق فى ثلثمائة ألف، فقصد ناحية خلاط و بدليس فقتل و سبى؛ ثم صالحه أهل خلاط على قطيعة و هى عشرة آلاف دينار؛ و أخرج المنبر من جامعها و جعل مكانه الصليب. فإنا للّه و إنا إليه راجعون. و فيها توفّى بنان بن محمد ابن حمدان أبو الحسن الزاهد المشهور المعروف بالحمّال، أصله من واسط و نشأ ببغداد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۲۱

و سمع الحديث؛ ثم انتقل الى مصر و سكنها الى أن مات بها؛ و هو أحد الأبدال؛ كان صاحب مقامات و كرامات؛ و بزهده و عبادته يضرب المثل؛ صحب الجنيد و غيره؛ و هو أستاذ أبى الحسين النّورىّ. قال أبو عبد الرّحمن السّلمىّ فى محن الصوفيّة: إنّ بنانا الحمّال قام الى وزير خمارويه فأنزله عن دابّته، و كان نصرانيّا، و قال: لا تركب الخيل، و يلزمك ما هو مأخوذ عليكم فى ملّتكم؛ فأمر خمارويه ببنان المذكور بأن يؤخذ و يطرح بين يدى سبع، فطرح و بقى ليلته ثم جاء السبع يلمسه؛ فلما أصبحوا وجدوه قاعدا مستقبل القبلة و السبع بين يديه؛ فأطلقه و اعتذر إليه. و ذكر إبراهيم بن عبد الرّحمن أنّ القاضى أبا عبيد احتال على بنان ثم ضربه سبع درر؛ فقال: حسبك اللّه بكل درّة سنة!؛ فحبسه ابن طولون سبع سنين. و يروى أنه كان لرجل على رجل دين مائة دينار بوثيقة، فطلبها الرجل- أعنى الوثيقة- فلم يجدها؛ فجاء الى بنان ليدعو له؛ فقال له بنان: أنا رجل قد كبرت و أحبّ الحلواء، اذهب الى عند دار قربج فاشتر رطل حلواء و أتنى به حتّى أدعو لك، ففعل الرجل و جاءه؛ فقال: بنان افتح و رقة الحلواء، ففتحها فإذا هى الوثيقة؛ فقال: هذه وثيقتى؛ فقال: خذها و أطعم الحلواء صبيانك.

و كانت وفاته فى شهر رمضان، و خرج فى جنازته أكثر أهل مصر. و فيها توفّى داود بن الهيثم بن إسحاق بن البهلول أبو سعد

التّنوخىّ، مولده بالأنبار و بها توفّى و له ثمان و ثمانون سنة؛ كان إماما عارفا بالنحو و اللغة و الأدب، و صنّف كتبا فى اللغة و النحو على مذهب الكوفيّين، و له كتاب كبير فى خلق الإنسان. و فيها توفّى عبد اللّه بن سليمان بن الأشعث

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۲۲

الحافظ أبو بكر بن الحافظ أبى داود السّجستانى محدّث العراق و ابن محدّثها، ولد بسجستان سنة ثلاثين و مائتين، و رحل به أبوه و طوّف به البلاد شرقا و غربا، و استوطن بغداد، و صنّف السّنن و المسند و التفاسير و القراءات و الناسخ و المنسوخ و غير ذلك. قال أبو بكر الخطيب: سمعت الحسن بن محمد الخلّال يقول: كان أبو بكر بن أبى داود أحفظ من أبيه. قلت: و أبوه أبو داود هو صاحب السنن: أحد الكتب الستّة؛ و قد وقع لنا سماعه ثلاثا حسبما ذكرناه فى ترجمة أبيه رضى اللّه عنه. و فيها توفّى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد أبو عوانة الإسفراينىّ النّيسابورىّ الحافظ المحدّث، كان إماما، طف البلاد و صنّف المسند الصحيح المخرّج على صحيح مسلم، حجّ عدّة حجّات، و كان زاهدا عابدا. رضى اللّه عنه.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى بنان الحمّال أبو الحسن الزاهد، و أبو بكر عبد اللّه بن أبى داود السّجستانىّ و له ستّ و ثمانون سنة، و أبو بكر محمد بن حريم العقيلىّ، و أبو بكر محمد بن السّرىّ بن السرّاج صاحب المبرّد، و محمد ابن عقيل البلخىّ، و أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الإسفراينى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۲۳

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۷]

السنة السادسة من ولاية تكين الرابعة على مصر، و هى سنة سبع عشرة و ثلثمائة- فيها خلع أمير المؤمنين المقتدر بالله جعفر من الخلافة، خلعه مؤنس الخادم و نازوك الخادم و أبو الهيجاء عبد اللّه بن حمدان، و أحضروا من دار الخلافة محمد ابن الخليفة المعتضد، و بايعوه بالخلافة و لقّبوه بالقاهر بالله؛ و ذلك فى الثّلث الأخير من ليلة السبت خامس عشر المحرّم من السنة المذكورة. و تولّى أبو علىّ بن مقله صاحب الخط المنسوب [اليه] الوزارة، و قلّد نازوك الحجبة مضافة الى شرطة بغداد، و أضيف الى أبى الهيجاء عبد اللّه بن حمدان ولاية حلوان و الدّينور و نهاوند و همذان و غيرها مع ما كان بيده قبل ذلك من الولايات، مثل: الموصل و الجزيرة و ميّافارقين.

و وقع النهب فى دار الخلافة؛ و كان لأمّ المقتدر سمّائة ألف دينار فى الرصّافة فأخذت؛ و استتر المقتدر عند أمّه. و بعد ثلاثة أيّام حضرت الرّجّالة من الجند و امتلأت دار الخلافة و ازدحم الناس و دخلوا الى المقتدر و حملوه على رقابهم، و صاحوا: يا مقتدر يا منصور، و خرجوا به و بايعوه ثانيا بالخلافة بعد أمور وقعت بين القوّاد و الجند من وقائع و حروب؛ و قتل أبو الهيجاء عبد اللّه بن حمدان و نازوك، و خلع القاهر محمد، و أمّنه أخوه المقتدر هذا؛ و سكنت الفتنة بعد حروب وقعت ببغداد و قتل فيها عدّة من الأعيان و الجند. قلت: و هذه ثانى مرّة خلع فيها المقتدر من الخلافة؛ لأنه خلع أوّلا بعبد اللّه بن المعتزّ فى شهر ربيع الأول سنة ستّ و تسعين و مائتين، و هذه الثانية.

ثم استقر بعد هذه فى الخلافة الى أن مات، حسبما يأتى ذكره فى محلّه. و فيها ظهر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۲۴

هارون بن غريب و دخل الى مؤنس و سلّم عليه، و قلّد الجبل فخرج إليه. و قلّد المقتدر إبراهيم و محمدا ابنى رائق شرطة بغداد، و قلّد

مظفّر بن ياقوت الحجابة. و ماتت ثمل القهرمانة و خلّفت أموالا كثيرة. و فيها سيّر المقتدر ركب الحاجّ مع منصور الديلمىّ فوصلوا الى مكّة سالمين؛ فوافاهم يوم التروية عدوّ اللّه أبو طاهر القرمطىّ فقتل الحجيج قتلا ذريعا فى فجاج مكّة و فى داخل البيت الحرام- لعنه اللّه- و قتل ابن محارب أمير [مكة]، و عرّى البيت، و قلع باب البيت، و اقتلع الحجر الأسود و أخذه، و طرح القتلى فى بئر زمزم، و فعل أفعالا لا يفعلها النصارى و لا اليهود بمكّة؛ ثم عاد الى هجر و معه الحجر الأسود؛ فدام الحجر الأسود عندهم الى أن ردّ الى مكانه فى خلافة المطيع، على ما سيأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى. [و جلس أبو طاهر على باب الكعبة و الرجال تصرع حوله فى المسجد الحرام يوم التروية، الذى هو من أشرف الأيام، و هو يقول]:

أنا للّه و بالله أنا يخلق الخلق و أفنيهم أنا

و دخل رجل من القرامطة الى حاشية الطواف و هو راكب سكران، فبال فرسه عند البيت، ثم ضرب الحجر الأسود بدبّوس فكسره ثم اقتلعه. و كانت إقامة القرمطىّ بمكّة أحد عشر يوما. فلما عاد القرمطىّ الى بلاده رماه اللّه تعالى فى جسده حتى طال عذابه و تقطّعت أوصاله و أطرافه و هو ينظر اليها، و تناثر الدود من لحمه.

قلت: هذا ما عذّب به فى الدنيا، و أما الأخرى فأشدّ إن شاء اللّه تعالى و أدوم عليه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۲۵

و أعوانه و ذرّيته لعنة اللّه عليهم. و فيها وقعت الوحشة بين الأمير تكين أمير مصر صاحب الترجمة و بين محمد بن طغج أمير الحوف، فخرج محمد بن طغج من مصر سرّا خوفا من تكين و لحق بالشام. و فيها هلك القرمطىّ أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنّابىّ القرمطىّ لعنه اللّه. ولى أبو طاهر هذا أمر القرامطة بعد موت أبيه- عليهما اللعنة- بوصيّة أبيه إليه، و غلط أبو القاسم السّمنانىّ فى تاريخه، قال: الذى قلع الحجر الأسود أبو سعيد الجنّابىّ؛ و إنما هو ابنه أبو طاهر هذا، عليهما اللعنة. و لما ولى أبو طاهر هذا أمر القرامطة قوى أمره و حارب عساكر الخليفة، و اتسع ملكه و كثرت جنوده و نال من الدنيا ما لم ينله أبوه و لا جدّه؛ و كان زنديقا ملحدا لا يصلّى و لا يصوم شهر رمضان، مع أنه كان يظهر الإسلام و يزعم أنه داعية المهدىّ عبيد اللّه. و قد تقدّم من أخباره ما فيه كفاية عن ذكره هنا: من قتله الحجّاج، و سفكه الدماء، و أخذه أموال الناس، و أشياء كثيرة من ذلك.

و قد كان هذا الملعون أشدّ ما يكون من البلاء على الإسلام و أهله، و طالت أيّامه.

و منهم من يقول: إنه هلك عقيب أخذه الحجر الأسود- أعنى فى هذه السنة- و الظاهر خلافه. و كان أبو طاهر المذكور مع قلّة دينه عنده فضيلة و فصاحة و أدب. و من شعره القصيدة التى أوّلها:

أغرّكم منّى رجوعى الى هجر فعمّا قليل سوف يأتيكم الخبر

إذا طلع المرّيخ من أرض بابل و قارنه كيوان فالحذر الحذر

فمن مبلغ أهل العراق رسالة بأنّى أنا المرهوب فى البدو و الحضر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۲۶

و منها:

فيا ويلهم من وقعة بعد وقعة يساقون سوق الشاء للذّبح و البقر

سأصرف خيلى نحو مصر و برقة الى قيروان الترك و الروم و الخزر

و منها:

أكيلهم بالسيف حتّى أبيدهم فلا أبق منهم نسل أنثى و لا ذكر

أنا الدّاع للمهدىّ لا شكّ غيره أنا الصارم الضّرغام و الفارس الذكر

أعمّر حتّى يأتى عيسى بن مريم فيحمد آثارى و أرضى بما أمر

و لكنّه حتم علينا مقدّر فنفنى و يبقى خالق الخلق و البشر

و فيها توفّى أحمد بن الحسين الإمام العلامة أبو سعيد البردعىّ الحنفىّ شيخ الحنفيّة فى زمانه، استشهد بمكّة بيد القرامطة. و فيها توفّى أحمد بن مهدىّ بن رستم، كان شيخا صالحا ذا مال كثير أنفقه كلّه على العلم، و لم يعرف له فراش أربعين سنة.

و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن شابور بن شاهنشاه أبو القاسم البغوىّ الأصل البغدادىّ، مسند الدنيا و بقيّة الحفّاظ، و هو ابن بنت أحمد بن منيع؛ ولد ببغداد فى أوّل شهر رمضان سنة أربع عشرة و مائتين، و سمع الكثير و رحل [الى] البلاد، و روى عنه خلائق لا يحصيهم إلا اللّه، لأنه طال عمره و تفرّد فى الدنيا بعلوّ السند. رضى اللّه عنه. و فيها توفى نازوك الخادم قتيلا فى هذه السنة فى واقعة خلع المقتدر. كان نازوك المذكور شجاعا فاتكا، غلب على الأمر و تصرّف فى الدولة، و علم مؤنس الخادم أنه متى وافقه على خلع المقتدر لم يبق له فى الدولة أمر و لا نهى، فوافقه ظاهرا و واطأ الرّجالة على قتله حتى تمّ له ذلك.

و كان لنازوك أكثر من ثلثمائة مملوك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۲۷

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۸]

السنة السابعة من ولاية تكين الرابعة على مصر، و هى سنة ثمانى عشرة و ثلثمائة- فيها حجّ بالناس عبد السميع بن أيّوب بن عبد العزيز الهاشمىّ، و قيل:

عمر بن الحسن بن عبد العزيز. قال أبو المظفّر فى مرآة الزمان: «و الظاهر أنه لم يحجّ أحد منذ سنة سبع عشرة و ثلثمائة الى سنة ستّ و عشرين و ثلثمائة خوفا من القرامطة». و فيها فى المحرّم صرف المقتدر ابنى رائق عن الشّرطة و قلّدها أبا بكر محمد بن ياقوت. و فيها فى شهر ربيع الآخر هبّت ريح شديدة حملت رملا أحمر، قيل: إنه من جبل ذرود فامتلأت به أزقّة بغداد و سطوحها. و فيها قبض المقتدر على الوزير ابن مقلة، و أحرقت داره و كانت عظيمة، و قد ظلم الناس فى عمارتها؛ و عزّ على مؤنس الخادم حتّى لم يشاوره المقتدر فى القبض عليه.

ثم استوزر المقتدر سليمان بن الحسن، فكان لا يصدر عن أمر حتّى يشاور علىّ بن عيسى. و كانت وزارة ابن مقلة سنتين و أربعة أشهر و ثلاثة أيّام. و فيها توفّى جعفر بن محمد بن يعقوب الشيخ أبو الفضل الصّيندلىّ البغدادىّ، كان من الأبدال، سمع علىّ بن حرب و غيره، و اتفقوا على ثقته و صدقه. و فيها توفّى سعيد بن عبد العزيز بن مروان الشيخ أبو عثمان الحلبىّ الزاهد، و هو من أكابر مشايخ الشام، صحب سريّا السّقطىّ، و روى عنه أبو الحسين الرازىّ و غيره، و مات بدمشق. و فيها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۲۸

توفّى عبد الواحد بن محمد بن المهتدىّ أبو أحمد الهاشمىّ، سمع يحيى بن أبى طالب، و روى عنه أبو الحسين الرازىّ و غيره. و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد بن مسلم أبو بكر الإسفراينىّ، ولد بقرية من أعمال أسفراين يقال لها «جوربذ»، و سافر فى طلب الحديث، و كان من الأثبات. و فيها توفّى محمد بن سعيد بن محمد أبو عبد اللّه الميورقىّ، قدم بغداد و حدّث بها، و كان يتفقّه على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة. و فيها توفّى يحيى بن محمد بن صاعد أبو محمد مولى أبى جعفر المنصور، كان محدّثا فاضلا.

قال الدارقطنىّ: بنو صاعد ثلاثة: يوسف و أحمد و يحيى. و كانت وفاة يحيى هذا ببغداد.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن بهلول الأنبارىّ قاضى مدينة المنصور، و أبو

عروبة الحسين بن محمد بن أبى معشر الحرّانىّ، و سعيد بن عبد العزيز الحلبىّ الزاهد، و أبو بكر عبد اللّه بن محمد ابن مسلم الإسفراينىّ، و أبو بكر محمد بن إبراهيم بن فيروز الأنماطىّ، و يحيى بن محمد ابن صاعد فى ذى القعدة و له تسعون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و إحدى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إصبعان.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۱۹]

السنة الثامنة من ولاية تكين الرابعة على مصر، و هى سنة تسع عشرة و ثلثمائة- فيها نزل القرامطة الكوفة فهرب أهلها الى بغداد. و فيها دخل الديلم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۲۹

الدّينور و قتلوا أهلها و سبوا؛ فورد بعض أهل دينور بغداد و قد سوّدوا وجوههم و رفعوا المصاحف على رءوس القصب، و حضروا يوم عيد النحر الى جامع بغداد و استغاثوا و منعوا الخطيب من الخطبة و الصلاة، و ثار معهم عامّة بغداد، و أعلنوا بسبّ المقتدر؛ و لازم الناس المساجد و أغلقوا الأسواق خوفا من القرمطىّ. و فيها ولد المعزّ أبو تميم معدّ العبيدىّ رابع خلفاء بنى عبيد و أوّل من ملك منهم ديار مصر الآتى ذكره فى محلّه من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى. و فيها قبض المقتدر على الوزير سليمان بن الحسن و حبسه، و كانت وزارته سنة و شهرين، و كان المقتدر يميل الى وزارة الحسين بن القاسم فلا يمكّنه مؤنس، و أشار مؤنس بعبيد اللّه بن محمد الكلوذانىّ، فاستوزره المقتدر مع مشاورة علىّ بن عيسى فى الأمور. و فيها كانت وقعة بين هارون بن غريب و بين مرداويج الديلمىّ بنواحى همذان، فانهزم هارون؛ و ملك الديلمىّ الجبل بأسره الى حلوان. و فيها أيضا عزل المقتدر الكاوذانىّ، و استوزر الحسين بن القاسم بن عبيد اللّه؛ لأنه كتب الى المقتدر و هو على حاجة ": أنا أقوم بالنفقات و زيادة ألف ألف دينار فى كلّ سنة. "و كانت وزارة الكلوذانىّ شهرين. و فيها فى ذى الحجّة استوحش مؤنس من الخليفة المقتدر لأنه بلغه اجتماع الوزير و القوّاد على العمل على مؤنس، فعزم خواصّ مؤنس على كبس الوزير؛ فعلم الوزير فتغيّب عن داره؛ و طلب من المقتدر عزل الوزير فعزله، فقال: انفه الى عمان، فامتنع المقتدر. و أوقع الوزير فى ذهن المقتدر أنّ مؤنسا يريد أن يأخذ أبا العباس من داره و يذهب به الى الشأم و مصر و يبايعه بالخلافة هناك. ثم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۳۰

وقعت أمور ألجأت مؤنسا الى الخروج من بغداد الى الشمّاسيّة، و كتب الى المقتدر يطلب منه مفلحا الأسود؛ فقويت الوحشة بين المقتدر و بين مؤنس حتى أرسل المقتدر الى قتاله ثلاثين ألفا، و كان مؤنس فى ثمانمائة، فانتصر عليهم و هزمهم و ملك الموصل. و فيها كان الوباء المفرط ببغداد حتى كان يدفن فى القبر الواحد جماعة.

و فيها توفّى الحسن بن علىّ بن أحمد بن بشّار أبو بكر الشاعر المشهور الضرير النّهروانىّ المعروف بابن العلّاف، أحد ندماء المعتضد، و كان من الشعراء المجيدين. قال: كنت فى دار المعتضد مع جماعة من ندمائه، فأتى الخادم ليلا فقال: أمير المؤمنين يقول لكم: أرقت الليلة بعد انصرافكم، فقلت:

و لمّا انتبهنا للخيال الذى سرى إذا الدّار قفر و المزار بعيد

و قد أريج علىّ تمامه. فمن أجازه بما يوافق غرضى أمرت له بجائزة؛ قال: فأرتج على الجماعة، و كلّهم شاعر فاضل، فابتدرت و قلت:

فقلت لعينى عاودى النوم و اهجعى لعلّ خيالا طارقا سيعود

و من شعر ابن العلّاف هذا قصيدته التى رثى فيها [المحسن بن أبى] الحسن ابن الفرات الوزير و كنى عنه بالهرّ خوفا من الخليفة، و

عددها خمسة و ستون بيتا، و أوّلها:

ياهرّ فارقتنا و لم تعد و كنت منّا بمنزل الولد

فكيف ننفكّ عن هواك و قد كنت لنا عدّة من العدد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۳۱

تطرد عنّا الأذى و تحرسنا بالغيب من حيّة و من جرد

و تخرج الفأر من مكامنها ما بين مفتوحها الى السّدد

و كلّها على هذا المنوال، و فيها حكم أضربت عن ذكرها لطولها. و فيها توفّى الحسن ابن علىّ بن زكريا بن صالح بن عاصم بن زفر أبو سعيد العدوىّ البصرىّ، روى عنه الدارقطنىّ و غيره، و عاش مائة و ثمانين سنة. و فيها توفّى علىّ بن الحسين بن حرب أبو عبيد القاضىّ البغدادىّ، و يعرف بابن حربويه، ولى قضاء مصر و أقام بها دهرا طويلا. قال الرّقاشىّ: سألت عنه الدارقطنىّ فقال: ذلك الجليل الفاضل. و فيها توفّى محمد بن سعيد، و قيل: ابن سعد، أبو الحسين الورّاق النّيسابورىّ صاحب أبى عثمان الحيرىّ، كان من كبار المشايخ، عالما بالشريعة و الحقيقة. و فيها توفّى محمد بن الفضل بن العباس أبو عبد اللّه البلخىّ الزاهد، كان أحد الأبدال و له كرامات؛ قال: ما خطوت أربعين سنة خطوة لغير اللّه. و فيها توفّى المؤمّل.

ابن الحسن بن عيسى بن ماسرجس أبو الوفاء النّيسابورىّ الماسرجسىّ شيخ نيسابور فى عصره؛ و كان أبوه من بيت حشمة فى النصارى فأسلم على يد ابن المبارك و هو شيخ.

سمع المؤمّل هذا الكثير و رحل [الى] البلاد، و روى عنه ابناه أبو بكر محمد و أبو القاسم علىّ و غيرهما. قال الحاكم: سمعت محمد بن المؤمّل يقول: حجّ جدّى و هو ابن نيّف و سبعين سنة فدعا اللّه تعالى أن يرزقه ولدا، فلمّا رجع رزق أبى فسمّاه المؤمّل، لتحقيق ما أمّله، و كنّاه أبا الوفاء ليفى للّه بالنّذور، و وفّاها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۳۲

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو الجهم أحمد بن الحسين [بن أحمد] بن طلّاب خطيب مشغرى، و أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرّحمن ابن عبد الملك بن مروان فى رجب، و أبو سعيد الحسن بن علىّ بن زكرياء العدوىّ الكذّاب، و أبو القاسم عبد اللّه بن أحمد البلخىّ رأس المعتزلة، و أبو عبيد علىّ بن الحسين بن حربويه القاضى، و أبو الوفاء المؤمّل بن الحسن الماسرجسىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و تسع أصابع. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۲۰]

اشارة

السنة التاسعة من ولاية تكين الرابعة على مصر، و هى سنة عشرين و ثلثمائة- فيها عزل المقتدر الحسين بن القاسم من الوزارة، و استوزر أبا الفتح بن الفرات.

و فيها بعث المقتدر بالعهد و اللواء لمرداويج الدّيلمىّ على إمرة أذربيجان و إرمينية و أرّان و قم و نهاوند و سجستان. و فيها نهب الجند دور الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات، فهرب الوزير إلى طيّار له فى الشطّ فأغرق الجند الطّيارات، و سخّم الهاشميّون وجوههم و صاحوا: الجوع الجوع!؛ و كان قد اشتدّ الغلاء لأن القرمطىّ و مؤنسا الخادم منعا الغلّات من النواحى أن تصل. و لم يحجّ ركب

العراق فى هذه السنة. و فيها فى صفر غلب مؤنس على الموصل، فتسلّل إليه الجند و الفرسان من بغداد و أقام بالموصل أشهرا؛ ثم تهيّأ المقتدر لقتاله و أخرج مضربه الى باب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۳۳

الشمّاسيّة، و بعث أبا العلاء سعيد بن حمدان الى سرّمن رأى فى ألف فارس؛ فأقبل مؤنس فى جمع كبير، فلمّا قارب [العكبرا] اجتهد المقتدر بهارون بن غريب أن يحارب مؤنسا فامتنع و احتجّ بأن أصحابه مع مؤنس فى الباطن و لا يثق بهم. و قيل: إنه عسكر هارون و ابن ياقوت و ابنا رائق و صافى الحرميّ و مفلح بباب الشمّاسيّة و انضمّوا الى المقتدر، و قالوا له: إنّ الرجال لا يقاتلون إلا بالمال، و إن أخرجت المال أسرع اليك رجال مؤنس و تركوه؛ و سألوه مائتى ألف دينار فلم يرض، و أمر بجمع الطيّارات لينحدر فيها بأولاده و حرمه إلى واسط و يستنجد منها و من البصرة و غيرها على مؤنس.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۳؛ ص۲۳۳

ال له محمد بن ياقوت: اتّق اللّه فى المسلمين و لا تسلّم بغداد بلا حرب، و أمعن فى ذلك؛ حتّى قال له المقتدر: أنت رسول إبليس و بنى عزمه و أصبح يقاتل مؤنسا و أبلى ابن ياقوت المذكور بلاء حسنا. و كان غالب عسكر مؤنس البربر؛ فلمّا انكشف عن المقتدر أصحابه جاءه واحد من البربر فضربه من خلفه ضربة سقط منها إلى الأرض؛ فقال له: ويلك! أنا الخليفة؛ فقال: أنت المطلوب و ذبحه بالسيف و شال رأسه على رمح، ثم سلب ما عليه و تركه مكشوف العورة حتى ستر بالحشيش و حفر له فى الموضع و دفن فيه و عفّى أثره، و ذلك فى شوّال. و بات مؤنس [بالشمّاسيّة]، و وقع له بعد قتل المقتدر أمور، حتّى أخرج القاهر و بايعه بالخلافة و تمّ أمره.

ذكر ترجمة المقتدر- اسمه جعفر، و كنيته أبو الفضل، ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن وليّ العهد طلحة الموفّق ابن الخليفة المتوكّل على اللّه جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهديّ محمد ابن الخليفة أبى جعفر المنصور عبد اللّه بن محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن العبّاس، أمير المؤمنين الهاشميّ العباسيّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۳۴

البغداديّ. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفى بالله عليّ فى سنة خمس و تسعين و مائتين، و له ثلاث عشرة سنة، و لم يل الخلافة أحد قبله أصغر منه. و خلع من الخلافة أوّل مرّة بعبد اللّه بن المعتزّ فى شهر ربيع الأوّل فى سنة ستّ و تسعين و مائتين، ثم أعيد و قتل ابن المعتزّ؛ ثم خلع فى سنة سبع عشرة و ثلثمائة بأخيه القاهر ثلاثة أيام؛ ثم أعيد إلى الخلافة إلى أن قتل فى هذه السنة. و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى الحوادث من هذا الكتاب كلّ واقعة فى موضعها. و استخلف من بعده أخوه القاهر محمد، و كنيته أبو منصور، و عمره يوم ولى الخلافة ثلاث و ثلاثون سنة. و كانت خلافة المقتدر خمسا و عشرين سنة إلّا بضعة عشر يوما؛ و كانت النساء قد غلبن عليه، و كان سخيّا مبذّرا يصرف فى السنة للحجّ أكثر من ثلثمائة ألف دينار، و كان فى داره أحد عشر ألف غلام خصىّ غير الصّقالبة و الروم؛ و أخرج جميع جواهر الخلافة و نفائسها على النساء و غيرهنّ؛ و أعطى الدّرّة اليتيمة لبعض حظاياه، و كان زنتها ثلاثة مثاقيل؛ و أخذت زيدان القهرمانة سبحة جوهر لم ير مثلها، [قيمتها ثلثمائة ألف دينار]؛ هذا مع ما ضيّع من الذهب و المسك و الأشياء و التّحف. قيل: إنه فرّق ستين حبّا من الصينىّ. و قال الصولىّ: كان المقتدر يفرّق يوم عرفة من الإبل و البقر أربعين ألف رأس، و من الغنم خمسين ألفا. و يقال: إنه أتلف من المال فى أيّام خلافته ثمانين ألف ألف دينار. و خلّف المقتدر عدّة أولاد ذكور و إناث. و فيها توفّى أحمد ابن عمير بن يوسف الحافظ أبو الحسين بن جوصى، كان حافظ الشام فى وقته، كان إماما حافظا متقنا رحالا. قال الدارقطنىّ: تفرّد بأحاديث و ليس بالقوىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۳۵

و فيها توفّى الحسين بن صالح أبو علىّ بن خيران الفقيه الشافعىّ القاضى، كان من أفاضل الشيوخ و أماثل الفقهاء. و فيها توفّى عبد الوهّاب بن عبد الرزّاق بن عمر بن مسلم أبو محمد القرشىّ مولاهم الدمشقىّ؛ حدّث عن هشام بن عمّار و طبقته، و روى عنه أبو

الحسين الرازيّ و غيره. و فيها توفّى محمد بن يوسف بن إسماعيل أبو عمر القاضى الأزديّ مولى جرير بن حازم، ولى قضاء مدينة المنصور، و كان عالما عاقلا ديّنا متفننا.

و فيها توفّى أبو عمرو الدمشقيّ أحد مشايخ الصوفيّة، صحب ابن الجلّ و أصحاب ذى النون، و كان من عظماء مشايخ الفقه، و له مقالات و أحوال.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو الحسن أحمد بن القاسم الفرائضيّ، و المقتدر بالله جعفر بن المعتضد، قتل فى شوّال عن ثمان و ثلاثين سنة، و أبو القاسم عبد اللّه بن محمد بن يوسف الفربريّ، و أبو عمر محمد بن يوسف القاضى، و أبو علىّ بن خيران الشافعيّ الحسين بن صالح.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

ذكر ولاية محمد بن طغج الأولى على مصر

هو محمد بن طغج بن جفّ بن يلتكين بن فوران بن فورى، الأمير أبو بكر الفرغانيّ التركيّ. مولده فى يوم الاثنين منتصف شهر رجب سنة ثمان و ستين و مائتين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۳۶

ببغداد بشارع باب الكوفة. ولى إمرة مصر بعد موت تكين، ولّاه أمير المؤمنين القاهر بالله على الصلاة بعد أن اضطربت أحوال الديار المصريّة؛ و خرج ابن تكين منها فى سادس عشر [شهر] ربيع الأوّل سنة إحدى و عشرين و ثلثمائة؛ فأرسل محمد ابن طغج هذا كتابه بولايته على مصر فى سابع شهر رمضان من سنة إحدى و عشرين و ثلثمائة المذكورة. و لم يدخل مصر فى هذه الولاية، و ما دخلها أميرا عليها إلا فى ولايته الثانية من قبل الخليفة الراضى بالله. و قال ابن خلّكان بعد ما سمّاه و أباه الى أن قال:

"الفرغانيّ الأصل، صاحب سرير الذهب، المنعوث بالإخشيذ صاحب مصر و الشام و الحجاز. أصله من أولاد ملوك فرغانة؛ و كان المعتصم بالله بن هارون الرشيد قد جلبوا اليه من فرغانة جماعة كثيرة، فوصفوا له جفّ و غيره بالشجاعة و التقدّم فى الحروب، فوجّه اليهم المعتصم من أحضرهم؛ فلما وصلوا إليه بالغ فى إكرامهم و أقطعهم قطائع بسرّمن‌رأى. و قطائع جفّ الى الآن معروفة هناك؛ فلم يزل جفّ بها الى أن مات ليلة قتل المتوكّل. "انتهى كلام ابن خلكان. قلت: و دعى له على منابر مصر و هو مقيم بدمشق نحوا من ثلاثين يوما- و قال صاحب البغية: اثنين و ثلاثين يوما- الى أن قدم رسول الأمير أحمد بن كيغلغ بولايته على مصر ثانى مرّة من قبل الخليفة القاهر بالله فى تاسع شوّال من السنة. و أما الأيّام التى قبل ولاية محمد بن طغج على مصر فكان يحكم فيها ابن تكين باستخلاف والده تكين له، و يشاركه فى ذلك أيضا الماذرائيّ صاحب خراج مصر المقدّم ذكره. و وقع فى هذه الأيّام بمصر أمور و وقائع، و كان الزمان مضطربا لقتل الخليفة المقتدر بالله جعفر و اشتغال الناس بحرب القرمطى. و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۳۷

فى تلك الأيّام كلّ من غلب على أمر صار له. و فى ولاية محمد بن طغج هذا على مصر ثانيا- على ما سيأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى- لقّب بالإخشيذ. و الإخشيذ بلسان الفرغانة:

ملك الملوك. و طغج: عبد الرّحمن. و الإخشيذ: لقب ملوك فرغانة، كما أن أصبهبذ: لقب ملوك طبرستان، وصول: لقب ملوك جرجان، و خاقان: لقب ملوك الترك، و الأفشين: لقب ملوك أشروسنة، و سامان: لقب ملوك سمرقند، و قيصر:

لقب ملوك الروم، و كسرى: لقب ملوك العجم، و النجاشى و الحطىّ: لقب ملوك الحبشة، و فرعون قديما: [لقب] ملوك مصر، و حديثا السلطان. و لما مات جدّه جفّ فى سنة سبع و أربعين و مائتين اتصل ابنه طغج أبو محمد هذا بالأمير أحمد ابن طولون صاحب

مصر، و كان من أكابر قوّاده؛ و دام على ذلك حتى قتل خمارويه ابن أحمد بن طولون: فسار طغج الى الخليفة المكتفى بالله عليّ؛ فأكرم الخليفة مورده.

ثم بدا من طغج المذكور تكبّر على الوزير، فحبس هو و ابنه محمد الى أن مات طغج المذكور فى الحبس. و بعد مدّة أخرج محمد هذا من الحبس؛ و جرت له أمور يطول شرحها، إلى أن قدم مصر فى دولة تكين، و ولّى الأحواف بأعمال مصر و أقام على ذلك مدّة إلى أن وقّع بينه و بين تكين، و خرج من مصر مختفيا إلى الشام؛ ثم ولّى إمرة الشام، ثم أضيف إليه إمرة مصر فلم يدخلها، على ما تقدّم ذكره، و عزل بالأمير أحمد بن كيغلغ. و تأتى بقيّة ترجمته فى ولايته الثانية على مصر إن شاء اللّه تعالى.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۲۱]

اشارة

السنة التى حكم فيها عدّة أمراء على مصر، حكم فى أوّلها تكين الى أن مات فى شهر ربيع الأوّل، ثم ابنه من غير ولاية الخليفة بل باستخلاف أبيه، ثم الأمير محمد بن طغج من أواخر شعبان الى أواخر شهر رمضان، و كانت ولايته اثنين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۳۸

و ثلاثين يوما و لم يدخلها، ثم الأمير أحمد بن كيغلغ من آخر [شهر] رمضان؛ و لم يصل رسوله إلا لسبع خلون من شوّال، و هى سنة إحدى و عشرين و ثلثمائة- فيها شغب الجند على الخليفة القاهر بالله و هجموا [على] الدار، فنزل فى طيّار إلى دار مؤنس الخادم فشكا إليه، فصبّرهم مؤنس عشرة أيام. و كان الوزير ابن مقلة منحرفا عن محمد بن ياقوت، فنقل الى مؤنس أن ابن ياقوت يدبّر عليهم؛ فاتفّق مؤنس و ابن مقلة و يلبق و ابنه على الإيقاع بابن ياقوت، فعلم فاستتر. ثم جاء عليّ بن يلبق الى دار الخلافة فوكل بها أحمد بن زيرك و أمره بالتضييق على القاهر. و طالب ابن يلبق [القاهر] بما كان عنده من أثاث أمّ المقتدر. و فيها استوحش المظفّر مؤنس و ابن مقلة و يلبق من الخليفة القاهر. و فيها أشيع ببغداد أن يلبق و الحسن بن هارون كاتبه عزما على سبّ معاوية بن أبى سفيان على المنابر، فاضطربت الناس، و قبض يلبق على جماعة من الحنابلة و نفاهم الى البصرة. و فيها تأكّدت الوحشة بين الخليفة القاهر و بين وزيره ابن مقلة و يلبق، و قبض على يلبق و على أحمد بن زيرك و على يمن المؤنسىّ صاحب شرطة بغداد و حبسوا، و صار الحبس كلّه فى دار الخلافة. ثم طلب الخليفة مؤنسا فضر إليه، فقبض عليه أيضا. و اختفى الوزير ابن مقلة؛ فاستوزر القاهر عوضه أبا جعفر [محمد] بن القاسم بن عبيد اللّه، و أحرقت دار ابن مقلة كما أحرقت قبل هذه المرّة.

ثم ظفر القاهر بعليّ بن يلبق بعد جمعة فحبسه بعد الضرب؛ ثم ذبح القاهر يلبق و ابنه عليّا و مؤنسا و خرج برءوسهم الى الناس و طيف بها. و وقع فى هذه السنة أمور. و أطلق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۳۹

القاهر أرزاق الجند فسكنوا، و استقامت له الأمور و عظم فى القلوب، و زيد فى ألقابه:

«المنتقم من أعداء دين اللّه»، و نقش ذلك على السّكّة. و فيها أمر القاهر بتحريم القيان و الخمر، و قبض على المغنّين، و نفى المخنّثين، و كسر آلات اللهو، و أمر بتتبّع المغنّيات من الجوارى، و كان هو مع ذلك يشرب المطبوخ و لا يكاد يصحو من السكر. و فيها عزل القاهر الوزير محمدا، و استوزر أبا العباس بن الخصيب. و فيها حجّ بالناس مؤنس الورقانىّ. و فيها توفّيت السيدة شغب أمّ الخليفة المقتدر بالله جعفر، كان متحصّلها فى السنة ألف ألف دينار، فتتصدّق بها و تخرج من عندها مثلها؛ و كانت صالحة. و لما قتل ابنها كانت مريضة، فقوى مرضها و امتنعت من الأكل حتى كادت تهلك؛ ثم عذّبها القاهر حتى ماتت. و لم يظهر لها إلا ما قيمته مائة

و ثلاثون ألف دينار؛ و كان لها الأمر و النهى فى دولة ابنها. و فيها قتل مؤنس الخادم، و كان لقّب بالمظفّر لمّا عظم أمره، و كان شجاعا مقداما فاتكا مهيبا، عاش تسعين سنة، منها ستون سنة أميرا، و كان كل ما له فى علوّ و رفعة، و كان قد أبعده المعتضد الى مكة. و لما بويع المقتدر بالخلافة أحضره و قرّبه و فوّض إليه الأمور، فنال من السعادة و الوجاهة ما لم ينله خادم قبله. و فيها توفّى أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك أبو جعفر الأزدىّ الحجرىّ المصرىّ الطّحاوىّ الفقيه الحنفى المحدّث الحافظ أحد الأعلام و شيخ الإسلام- و طحا: قرية من قرى مصر من ضواحى القاهرة بالوجه البحرىّ- قال ابن يونس: ولد سنة تسع و ثلاثين و مائتين. و سمع هارون بن سعيد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۴۰

الأيلىّ و عبد الغنىّ بن رفاعة و يونس بن عبد الأعلى و محمد بن عبد اللّه بن عبد الحكم و طائفة غيرهم؛ و روى عنه أبو الحسن الإخميمىّ و أحمد بن القاسم الخشّاب و أبو بكر ابن المقرئ و أحمد بن عبد الوارث الزجّاج و الطبرانىّ و خلق سواهم، و رحل الى البلاد.

قال أبو اسحاق الشيرازىّ: انتهت الى أبى جعفر رياسة أصحاب أبى حنيفة بمصر.

أخذ العلم عن أبى جعفر أحمد بن أبى عمران و أبى حازم و غيرهم، و كان إمام عصره بلا مدافعة فى الفقه و الحديث و اختلاف العلماء و الأحكام و اللغة و النحو، و صنّف المصنّفات الحسان، و صنّف "اختلاف العلماء "و "أحكام القرآن "و "معانى الآثار "و" الشروط، "و كان من كبار فقهاء الحنفيّة. و المزنىّ الشافعىّ هو خال الطحاوىّ، و قصّته معه مشهورة فى ابتداء أمره. و كانت وفاة الطحاوىّ فى مستهل ذى القعدة. و فيها توفى محمد ابن الحسن بن دريد بن عتاهية، العلّامة أبو بكر الأزدىّ البصرىّ نزيل بغداد، تنقّل فى جزائر البحر و فارس، و طلب الأدب و اللغة حتّى صار رأسا فيهما و فى أشعار العرب، و له شعر كثير و تصانيف؛ و كان أبوه من رؤساء زمانه. و حدّث ابن دريد عن أبى حاتم السّجستانىّ و أبى الفضل العبّاس الرّياشىّ و ابن أخى الأصمعى؛ و روى عنه أبو سعيد السّيرافىّ و أبو بكر بن شاذان و أبو الفرج صاحب الأغانى و أبو عبد اللّه المرزبانىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۴۱

و عاش ابن دريد بضعا و تسعين سنة؛ فإنّ مولده فى سنة ثلاث و عشرين و مائتين.

و قال أبو حفص بن شاهين: كنّا ندخل على ابن دريد، فنستحى مما نرى من العيدان المعلّقة و الشراب و قد جاوز التسعين. و لابن دريد من المصنّفات: كتاب: «الجمهرة» و كتاب «الأمالى» و كتاب «اشتقاق أسماء القبائل» و كتاب «المجتبى » و هو صغير و كتاب «الخيل » و كتاب «السلاح» و كتاب «غريب القرآن» و لم يتمّ، و كتاب «أدب الكاتب» و أشياء غير ذلك. و كان يقال: ابن دريد أعلم الشعراء و أشعر العلماء. و لما مات دفن هو و أبو هاشم الجبّائىّ فى يوم واحد فى مقبرة الخيزران لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شعبان. و من شعره قوله:

و حمراء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثوبى نرجس و شقائق

حكت و جنة المعشوق صرفا فسلّطوا عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

و له:

ثوب الشباب علىّ اليوم بهجته فسوف ينزعه عنّى يدا الكبر

أنا ابن عشرين لا زادت و لا نقصت إنّ ابن عشرين من شيب على خطر

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو حامد أحمد [ابن حماد] بن حمدون النّيسابورىّ الأعمشىّ، و أحمد بن عبد الوارث العسّال،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۴۲

و أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوىّ فى ذى القعدة عن اثنتين و ثمانين سنة، و أبو هاشم عبد السلام بن أبى علىّ الجبّائىّ، و أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدىّ ببغداد، و مكحول البيروتىّ محمد [بن عبد اللّه] بن عبد السلام، و محمد بن نوح الجنديسابورىّ، و مؤنس الخادم الملقّب بالمظفّر، و أبو حامد محمد بن هارون الحضرمىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ستّ عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و نصف إصبع.

ذكر ولاية أحمد بن كيغلغ الثانية على مصر

ولى أحمد بن كيغلغ المذكور مصر ثانيا من قبل القاهر محمد لمّا اضطربت أحوال الديار المصريّة بعد عزل الأمير محمد بن طغج بن جفّ فى آخر شهر رمضان؛ و قدم رسوله إلى الديار المصريّة بولايته لتسع خلون من شوّال سنة إحدى و عشرين و ثلثمائة. و استخلف ابن كيغلغ المذكور أبا الفتح [محمد] بن عيسى النّوشرىّ على مصر؛ فتشغّب عليه الجند فى طلب أرزاقهم؛ و طلبوا ذلك من الماذرائىّ صاحب خراج مصر، فاستتر الماذرائىّ منهم، فأحرقوا داره و دور أهله. و وقعت فتنة عظيمة و حروب قتل فيها جماعة كثيرة من المصريّين. و دامت الفتنة إلى أن قدم محمد ابن تكين إلى مصر من فلسطين لثلاث عشرة خلت من شهر جمادى الأولى سنة اثنتين و عشرين و ثلثمائة؛ فظهر الماذرائىّ صاحب الخراج و أنكر ولاية ابن تكين على مصر؛ فتعصّب لمحمد المذكور جماعة من المصريّين و دعى له بالإمارة على المنابر؛ و وقع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۴۳

بين الناس بسبب ذلك، و صاروا فرقتين: فرقة تنكر ولاية محمد بن تكين و تثبت ولاية أحمد بن كيغلغ، و فرقة تتعصّب لمحمد بن تكين و تنكر ولاية ابن كيغلغ. و وقع بسبب ذلك فتن، و خرج منهم قوم إلى الصعيد: فيهم ابن النّوشرىّ خليفة ابن كيغلغ و غيره، و أمّر ابن النّوشرىّ عليهم، و هم مستمرّون [فى] الدعاء لابن كيغلغ. فكانت حروب كثيرة بديار مصر بسبب هذا الاختلاف إلى أن أقبل الأمير أحمد بن كيغلغ و نزل بمنية الأصبغ فى يوم ثالث شهر رجب سنة اثنتين و عشرين و ثلثمائة. فلما وصل ابن كيغلغ لحق به كثير من أصحاب محمد بن تكين، فقوى أمره بهم. فلما رأى محمد بن تكين أمره فى إدبار فرّ ليلا من مصر، و دخلها من الغد الأمير أحمد بن كيغلغ، و ذلك لستّ خلون من شهر رجب. فكان مقام ابن تكين على مصر فى هذه الأيّام مائة يوم و اثنى عشر يوما و هو غير وال بل متغلّب عليها؛ و كان المتولّى من الخليفة فى هذه المرّة ابن كيغلغ المذكور؛ غير أنه كان قد تأخّر عن الحضور إلى الديار المصريّة لأمر ما. و لما دخل ابن كيغلغ إلى مصر و أقام بها أقرّ بجكم الأعور على شرطة مصر، ثم عزله بعد أيام بالحسين بن علىّ بن معقل مدّة ثم أعيد بجكم. و أخذ ابن كيغلغ فى إصلاح أمر مصر و النظر فى أحوالها و فى أرزاق الجند. و مع هذه الفتن التى مرّت كان بمصر فى هذه السنة و الماضية زلازل عظيمة خربت فيها عدّة بلاد و دور كثيرة و تساقطت عدّة كواكب. و بينما أحمد بن كيغلغ فى إصلاح أمر مصر ورد عليه الخبر بخلع الخليفة القاهر باللّه و تولية الراضى باللّه محمد بن المقتدر جعفر. فلما بلغ محمّد بن تكين تولية الراضى باللّه عاد إلى مصر بجموعه و أظهر أن الراضى ولّاه مصر؛ فخرج إليه عسكر مصر و أعوان أحمد بن كيغلغ و حاربوه فيما بين بلبيس و فاقوس شرقىّ مصر؛ فكانت بينهم مقتلة انكسر فيها محمد بن تكين و أسروجىء به إلى الأمير أحمد بن كيغلغ المذكور؛ فحمله ابن كيغلغ إلى الصعيد؛ و استقامت الأمور بمصر لأحمد بن كيغلغ. و بعد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۴۴

ذلك بمدّة يسيرة ورد كتاب الخليفة بخبر ولاية الأمير محمد بن طغج على مصر و عزل أحمد بن كيغلغ هذا عنها، و أن محمد بن طغج واصل اليها عن قريب. فأنكر ابن كيغلغ ذلك و تهيّأ لحربه و جهّز إليه عساكر مصر ليمنعوه من الدخول إلى الفرما. فأقبلت مراكب محمد بن طغج من البحر إلى تنّيس، و سارت مقدّمته فى البر؛ و التقوا مع عساكر أحمد بن كيغلغ؛ فكانت بينهم وقعة هائلة و

قتال شديد فى سابع عشر شعبان سنة ثلاث و عشرين و ثلثمائة؛ فانكسر أصحاب ابن كيغلغ؛ و أقبلت مراكب محمد بن طغج الى ديار مصر فى سلخ شعبان؛ فسلّم أحمد بن كيغلغ الأمر الى محمد بن طغج من غير قتال و اعتذر أنه ما قاتله إلا جند مصر بغير إرادته. و ملك محمد بن طغج ديار مصر و هى ولايته الثانية عليها. و كانت ولاية ابن كيغلغ على مصر فى هذه المرّة الثانية سنة واحدة و أحد عشر شهرا تنقص أيّاما قليلة. و أحمد بن كيغلغ هذا غير منصور بن كيغلغ الشاعر الذى من جملة شعره هذه الأبيات الخمريّة:

يدير من كفّه مداما ألذّ من غفلة الرقيب

كأنّها إذ صفت و رقّت شكوى محبّ إلى حبيب

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۲۲]

السنة الثانية من ولاية أحمد بن كيغلغ الثانية على مصر (أعنى بالثانية أنه حكم فى الماضية أشهرا، و قد تقدّم ذكر ذلك فتكون هذه السنة هى الثانية) و هى سنة اثنتين و عشرين و ثلثمائة- فيها ظهرت الدّيلم عند دخول أصحاب مرداويج إلى أصبهان، و كان علىّ بن بويه من جملة أصحاب مرداويج، فاقتطع مالا- جزيلا- و انفرد عن مرداويج، و التقى مع ابن ياقوت فهزمه و استولى على فارس و أعمالها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۴۵

قلت: و هذا أوّل ظهور بنى بويه. قيل: إنّ بويه كان فقيرا؛ فرأى فى منامه أنه بال فخرج من ذكره عمود من نار، ثم تشعّب يمنة و يسرة و أماما و خلفا حتى ملأ الدنيا؛ فقصّ رؤياه على معبّر؛ فقال له المعبّر: ما أعبّرها إلا بألف درهم؛ فقال بويه: و اللّه ما رأيتها قطّ و لا عشرها، و إنما أنا صيّاد أصطاد السمك؛ ثم اصطاد سمكة فأعطاها للمعبّر؛ فقال له المعبّر: أ لك أولاد؟ قال نعم؛ قال: أبشر، فإنهم يملكون الأرض و يبلغ سلطانهم فيها على قدر ما احتوت عليه النار. و كان معه أولاده الثلاثة: علىّ أكبرهم و هو أوّل ما بقل عذاره، و ثانيهم الحسن، و ثالثهم أحمد. قلت: علىّ هو عماد الدولة، و الحسن هو ركن الدولة، و أحمد هو معزّ الدولة.

و فيها دخل مؤنس الورقانىّ بالحجّاج سالمين من القرمطىّ إلى بغداد. و فيها قتل القاهر باللّه الأمير أبا السّرايا نصر بن حمدان، و إسحاق بن إسماعيل بن يحيى، و هو الذى أشار على مؤنس بخلافة القاهر لما قتل المقتدر. و فيها مات مؤنس الورقانىّ الذى حجّ فى هذه السنة بالناس. و فيها استوحش الناس من الخليفة القاهر باللّه، و لا زالوا به حتّى خلعوه فى يوم السبت ثالث جمادى الأولى و سملوا عينيه حتى سانتا على خدّيه فعمى؛ و هو أوّل خليفة سملت عيناه؛ و سملوه خوفا من شرّه. فكانت خلافته الى حين سمل سنة و ستة أشهر و سبعة أيّام أو ثمانية أيّام. و بويع بالخلافة من بعده ابن أخيه الراضى بن المقتدر جعفر. و الراضى المذكور اسمه محمد.

قال الصّولىّ: كان القاهر هرجا سافكا للدماء محبّا للمال قبيح السيرة كثير التلوّن و الاستحالة مدمنا على شرب الخمر، فإذا شربها تغيّرت أحواله و ذهب عقله.

و يأتى بقيّة ترجمة القاهر باللّه فى وفاته. و فيها قتل مرداويج مقدّم الديلم بأصبهان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۴۶

و كان قد عظم أمره و أساء السيرة فى أصحابه، فقتله مماليكه الأتراك. و فيها بعث علىّ ابن بويه الى الخليفة الراضى يقاطعه على البلاد التى فى حكمه فى كلّ سنة ثمانية آلاف ألف درهم؛ فأجابه الى ذلك و بعث له [لواء و] خلعا مع حرب بن إبراهيم المالكىّ.

و فيها تحكّم محمد بن ياقوت فى الأمور و استقل بها، و بقى الوزير ابن مقلة معه كالعارية.

و فيها توفّى أحمد بن سليمان بن داود أبو عبد اللّه الطّوسىّ، مات و له ثلاث و ثمانون سنة، روى عنه ابن شاذان و غيره. و فيها توفّى أحمد بن عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة أبو جعفر الكاتب الدّينورىّ ابن صاحب "المعارف "و ""أدب الكاتب "و غيرهما، ولد ببغداد ثم

قدم مصر و ولى القضاء بها حتى مات فى شهر ربيع الأوّل. و فيها توفّى عبيد اللّه بن محمد بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، و كنيته أبو محمد و يلقّب بالمهدىّ، جدّ الخلفاء الفاطميّين المصريّين الآتى ذكرهم باستيعاب.

و أمّ عبيد اللّه هذا أمّ ولد. و ولد هو بسلمية، و قيل ببغداد، سنة ستين و مائتين.

و دخل مصر فى زىّ التجّار، ثم مضى الى المغرب الى أن ظهر بسجلماسة ببلاد، المغرب فى يوم الأحد سابع ذى الحجّة فى سنة ستّ و تسعين و مائتين، و سلّم عليه بأمير المؤمنين فى أرض الجوّانيّة؛ ثم انتقل الى رقّادة من أرض القيروان، و بنى المهديّة و سكنها. يأتى ذكر نسبهم و ما قيل فيه من الطعن و غيره عند ذكر جماعة من أولاده ممن ملك الديار المصريّة بأوسع من هذا؛ لأنّ شرطنا فى هذا الكتاب ألا نوسّع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۴۷

إلا فى ترجمة من ولى مصر خاصّة، و ما عدا ذلك يكون على سبيل الاختصار.

و قد ولى جماعة كبيرة من ذريّة المهدىّ هذا ديار مصر فينظر ذلك فى ترجمة أوّل من ولى منهم، و هو المعزّ لدين اللّه معدّ. و فيها توفّى الأمير هارون بن غريب ابن خال الخليفة المقتدر، كان يلى حلوان و غيرها؛ و لمّا زالت دولة ابن عمته المقتدر عصى على الخلافة حتى حاربه جيش الخليفة الراضى و ظفروا به و قتلوه و بعثوا برأسه الى بغداد. و فيها توفّى يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن عيسى الحافظ أبو بكر البزّار البغدادىّ، كان زاهدا متعبّدا، روى عنه الدارقطنىّ و غيره، و كان ثقة صدوقا، مات و هو ساجد. و فيها توفّى أبو علىّ الرّوذبارىّ، و اسمه محمد بن أحمد بن القاسم بن المنصور بن شهريار من أولاد كسرى. أصله من بغداد من أبناء الوزراء، و صحب الجنيد و لزمه و أخذ عنه حتى صار أحد أئمّة الزمان؛ و أقام بمصر و صار شيخ الصوفيّة بها الى ان مات بها، و كان ثقة صدوقا، يقول: أستاذى فى التصوف الجنيد، و فى الحديث إبراهيم الحربىّ، و فى النحو ثعلب، و فى الفقه ابن سريج.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو عمر أحمد بن خالد بن الجباب القرطبىّ الحافظ، و خير النسّاج أبو الحسن الزاهد، و المهدىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۴۸

أبو محمد عبيد اللّه أوّل خلفاء الفاطميّة، و كانت دولته بضعا و عشرين سنة، و محمد بن ابراهيم الدّيبلىّ، و أبو محمد بن عمرو العقيلىّ، و القاهر بالله محمد بن المعتضد خلع و سمل فى جمادى الأولى ثم بقى خاملا سبع عشرة سنة، و هو الذى سأل يوم الجمعة.

- قلت: و معنى قول الذهبىّ. «و هو الذى سأل يوم الجمعة» شرح ذلك أن القاهر لما طال خموله فى عماه قلّ ما بيده و وقف فى يوم من أيّام جمعة و سأل الناس، ليقيم بتلك الشناعة على خليفة الوقت- قال الذهبىّ: و أبو بكر محمد بن علىّ الكنانىّ الزاهد، و أبو على الرّوذبارىّ، يقال: اسمه محمد بن أحمد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ستّ أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۲۳]

اشارة

السنة الثالثة من ولاية أحمد بن كيغلغ الثانية على مصر، و هى سنة ثلاث و عشرين و ثلثمائة- فيها تمكّن الراضى بالله من الخلافة، و قلّد ابنيه المشرق و المغرب و هما أبو جعفر و أبو الفضل، و استكتب لهما أبا الحسين علىّ بن محمد بن مقلة. و فيها بلغ الوزير أبا [الحسين] علىّ بن مقلة أن ابن شنّبود المقرئ- و شنّبود بشين معجمة و نون مشدّدة و باء مضمومة و دال- بغيّر حروفا من القرآن و

يقرأ بخلاف ما أنزل؛ فأحضره و أحضر عمر بن أبى عمر محمد بن يوسف القاضى و أبا بكر بن مجاهد و جماعة من القراء، و نوظر فأغلظ للوزير فى الخطاب و للقاضى و لابن مجاهد و نسبهم الى الجهل و أنهم ما سافروا فى طلب العلم كما سافر؛ فأمر الوزير بضربه؛ فنصب بين يديه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۴۹

و ضرب سبع درر و هو يدعو على الوزير بأن تقطع يده و يشتّت شمله. ثم وقف على الحروف التى قيل إنه كان يقرأ بها، من ذلك": فامضوا الى ذكر اللّه فى الجمعة."

"و كان أمامهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصبا "."و تكون الجبال كالصوف المنفوش "."تبّت يدا أبى لهب و قد تبّ "."فلما خرّ تيقّنت الإنس أنّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا فى العذاب المهين. "ثم استتيب غصبا و نفى الى البصرة. و كان إماما فى القراءة. و فيها قبض الخليفة الراضى على محمد بن ياقوت و أخيه المظفّر و أبى إسحاق القراريطىّ، و أخذ خطّ القراريطىّ بخمسمائة ألف دينار.

و عظم شأن الوزير ابن مقلة و استقلّ بتدبير الدولة. و فيها أخرج المنصور اسماعيل العبيدىّ يعقوب بن إسحاق فى أسطول من المهديّة عدّته ثلاثون [مركبا] حربيا الى ناحية فرنجة، ففتح مدينة جنوة، و مرّوا بجزيرة سردانية فأوقعوا بأهلها و سبوا و أحرقوا عدّة مراكب و قتلوا رجالها، ثم عادوا بالغنائم الى المهديّة. و فيها فى جمادى الأوّلى هبّت ريح عظيمة ببغداد و اسودّت الدنيا و أظلمت من العصر الى المغرب برعد و برق.

و فيها فى ذى القعدة انقضّت النجوم سائر الليل انقضاضا عظيما ما رئى مثله. و فيها غلا السعر ببغداد حتى بيع كرّ القمح بمائة و عشرين دينارا و الشعير بتسعين دينارا، و أقام الناس أيّاما لا يجدون القمح فأكلوا خبز الذرة و الدّخن و العدس. و فيها توفّى إبراهيم بن حمّاد بن إسحاق، الشيخ أبو إسحاق الأزدىّ المحدّث الصوفىّ، سمع خلقا كثيرا و كان زاهدا عابدا. و فيها توفّى أبو عبد اللّه محمد بن زيد الواسطىّ المتكلّم.

و فيها توفى إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلّب بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۵۰

أبى صفرة، أبو عبد اللّه الأزدىّ العتكىّ الواسطىّ النحوىّ، و يعرف بنفطويه، ولد بواسط سنة أربعين و مائتين، و قيل: سنة خمسين و مائتين، و كان إمام عصره فى النحو و الأدب و غيرهما. و من شعره قوله:

أحبّ من الإخوان كلّ مواتى و كلّ غضيض الطرف عن عثراتى

يطاوعنى فى كلّ أمر أريده و يحفظنى حيّا و بعد وفاتى

و هجاه أبو عبد اللّه محمد بن زيد الواسطىّ المتكلّم فقال:

من سرّه ألّا يرى فاسقا فليجتهد ألّا يرى نفطويه

أحرقه اللّه بنصف اسمه و صيّر الباقى صراخا عليه

و فيها توفّى أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك أبو الحسن النديم الشاعر المشهور البرمكىّ، و يعرف بجحظة، ولد فى شعبان سنة أربع و عشرين و مائتين، كان فاضلا صاحب فنون و أخبار و نوادر و منادمة، و هو من ذرّية البرامكة.

و جحظة (بفتح الجيم و سكون الحاء المهملة و فتح الظاء المعجمة و بعدها هاء) هو لقب غلب عليه لقّبه به عبد اللّه بن المعتزّ؛ و كان كثير الأدب عارفا بالنحو و اللغة، و أما صنعة الغناء فلم يلحقه [فيها] أحد فى زمانه. و من شعره:

فقلت لها بخلت علىّ يقظى فجودى فى المنام لمستهام

فقالت لى: و صرت تنام أيضا و تطمع أن أزورك فى المنام

و كتب إليه الوزير ابن مقلة مرة بصلة، فمطله الجهبذ؛ فكتب إليه جحظ- المذكور يقول:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۵۱

اذا كانت صلاتكم رقاعا تخطّط بالأنامل و الأكفّ

و لم تجد الرقاع علىّ نفعا فها خطّى خذوه بألف ألف

و فيها توفّى محمد بن إبراهيم بن عبدويه الشيخ أبو عبد اللّه الهذلىّ من ولد عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه؛ ولد بنيسابور و رحل فى طلب العلم و صنّف الكتب و خرج حاجّا فأصابه جراح فى نوبة القرمطىّ و ردّ الى الكوفة فمات بها.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو طالب أحمد بن نصر البغدادىّ الحافظ، و إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوىّ نفطويه، و إسماعيل بن العباس الورّاق، و أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدىّ الأسترآباذىّ، و أبو عبيد القاسم بن إسماعيل المحاملىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ستّ عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

ذكر ولاية محمد بن طغج الإخشيذ ثانية على مصر

الإخشيذ محمد بن طغج بن جفّ الفرغانىّ، وليها ثانيا من قبل الخليفة الراضى بالله محمد على الصلاة و الخراج بعد عزل الأمير أحمد بن كيغلغ عنها، بعد أمور وقعت تقدّم ذكر بعضها فى ترجمة ابن كيغلغ. و دخل الإخشيذ هذا إلى مصر أميرا عليها، بعد أن سلّم الأمير أحمد بن كيغلغ فى يوم الخميس لستّ بقين من شهر رمضان- و قال صاحب البغية: لخمس بقين من شهر رمضان- سنة ثلاث و عشرين و ثلثمائة. و أقرّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۵۲

على شرطته سعيد بن عثمان. ثم ورد عليه بالديار المصريّة أبو الفتح الفضل بن جعفر ابن محمد بالخلع من الخليفة الراضى بالله بولايته على مصر، فلبسها و قبّل الأرض. و رسم الخليفة الراضى بالله بأن يزاد فى ألقاب الأمير محمد هذا "الإخشيذ "فى شهر رمضان سنة سبع و عشرين و ثلثمائة- و قد تقدّم ذكر ذلك فى ولايته الأولى على مصر و ما معنى الإخشيذ- فزيد فى ألقابه و دعى له بذلك على منابر مصر و أعمالها. ثم وقع بين الإخشيذ هذا و بين أصحاب أحمد بن كيغلغ فتنة و كلام أدّى ذلك للقتال و الحرب؛ و وقع بينهما قتال، فانكسر فى آخره أصحاب ابن كيغلغ، و خرجوا من مصر على أقبح وجه و توجّهوا الى برقة، ثم خرجوا من برقة و صاروا الى القائم بأمر اللّه ابن المهدىّ عبيد اللّه العبيدىّ بالمغرب، و حرّضوه على أخذ مصر و هوّنوا عليه أمرها؛ و كان فى نفسه من ذلك شىء، فجهّز إليها الجيوش لأخذها. و بلغ محمد بن طغج الإخشيذ ذلك، فتهيّأ لقتالهم و جمع العساكر و جهّز الجيوش الى الإسكندرية و الصعيد.

و بينما هو فى ذلك إذ ورد عليه كتاب الخليفة يعرّفه بخروج محمد بن رائق؛ و لمّا بلغه حركة محمد بن رائق و مجيئه الى الشامات، عرض الإخشيذ عساكره و جهّز جيشا فى المراكب لقتال ابن رائق؛ ثم خرج هو بعد ذلك بنفسه فى المحرّم سنة ثمان و عشرين و ثلثمائة، و سار من مصر، بعد أن استخلف أخاه الحسن بن طغج على مصر، حتى نزل الإخشيذ بجيوشه الى الفرما؛ و كان محمد بن رائق بالقرب منه؛ فسعى بينهما الحسن ابن طاهر بن يحيى العلوى فى الصلح حتّى تمّ له ذلك و اصطلحا؛ و عاد الإخشيذ الى مصر فى مستهل جمادى الأولى من سنة ثمان و عشرين و ثلثمائة. و بعد قدوم الإخشيذ الى مصر انتقض الصلح و سار محمد بن رائق من دمشق فى شعبان من السنة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۵۳

الى نحو الديار المصرية. و بلغ ذلك الإخشيذ فتجهّز و عرض عساكره و أنفق فيهم و خرج بجيوشه من مصر لقتال محمد بن رائق فى

يوم سادس عشر شعبان، و سار كل منهما بعساكره حتى التقيا بالعريش- و قال أبو المظفّر فى مرآة الزمان: باللّجّون - فكانت بينهما وقعة عظيمة انكسرت فيها ميمنة الإخشيذ و ثبت هو فى القلب؛ ثم حمل هو بنفسه على أصحاب محمد بن زائق حملة شديدة فأسر كثيرا منهم و أمعن فى قتلهم و أسرهم؛ و قتل أخوه الحسين بن طغج فى الحرب. و افترق العسكران و عاد كل واحد الى محل إقامته، فمضى ابن رائق نحو الشام و عاد الإخشيذ الى الرملة بخمسمائة أسير؛ ثم تداعيا الى الصلح. و كان لما قتل الحسين بن طغج أخو الإخشيذ فى المعركة عزّ ذلك على محمد بن رائق، و أخذه و كفّنه و حنّطه و أنفذ معه ابنه مزاحما الى الإخشيذ، و كتب معه كتابا يعزّيه فيه و يعتذر إليه و يحلف له أنه ما أراد قتله، و أنه أرسل ابنه مزاحما إليه ليفتديه بالحسين بن طغج إن أحبّ الإخشيذ ذلك. فاستعاذ الإخشيذ بالله من ذلك و استقبل مزاحما بالرّحب و القبول و خلع عليه و عامله بكلّ جميل، و ردّه الى أبيه. و اصطلحا على أن يفرج محمد بن رائق للإخشيذ عن الرّملة، و يحمل إليه الإخشيذ فى كلّ سنة مائة و أربعين ألف دينار، و يكون باقى الشام فى يد ابن رائق، و أن كلّا منهما يفرج عن أسارى الآخر؛ فتمّ ذلك. و عاد الإخشيذ الى مصر فدخلها لثلاث خلون من المحرّم سنة تسع و عشرين و ثلثمائة، و عاد محمد بن رائق الى دمشق، فلم تطل مدّة الإخشيذ بمصر إلّا و ورد عليه الخبر من بغداد بموت الخليفة الراضى بالله

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۵۴

فى شهر ربيع الآخر من السنة، و أنه بويع أخوه المتقى بالله إبراهيم بن المقتدر جعفر بالخلافة، و كان ورود هذا الخبر على الإخشيذ بمصر فى شعبان من السنة، و أن المتقى أقرّ الإخشيذ هذا على عمله بمصر. فاستمرّ الإخشيذ على عمله بمصر بعد ذلك مدّة طويلة الى أن قتل محمد بن رائق فى قتال كان بينه و بين بنى حمدان بالموصل فى سنة ثلاثين و ثلثمائة؛ فعند ذلك جهزّ الإخشيذ جيوشه الى الشام لمّا بلغه قتل محمد ابن رائق، ثم سار هو بنفسه لستّ خلون من شوّال سنة ثلاثين و ثلثمائة المذكورة، و استخلف أخاه أبا المظفّر الحسن بن طغج على مصر؛ و سار الإخشيذ حتى دخل دمشق و أصلح أمورها و أقام بها مدّة. ثم خرج منها عائدا الى الديار المصريّة حتى وصلها فى ثالث عشر جمادى الأولى سنة إحدى و ثلاثين و ثلثمائة، و نزل البستان الذى يعرف الآن بالكافوريّ داخل القاهرة؛ ثم انتقل بعد أيّام الى داره؛ و أخذ البيعة على المصريّين لابنه أبى القاسم أنوجور و على جميع القوّاد و الجند، و ذلك فى آخر ذى القعدة. و بعد مدّة بلغ الإخشيذ مسير الخليفة المتقى بالله الى بلاد الشام و معه بنو حمدان؛ فخرج الإخشيذ من مصر و سار نحو الشام لثمان خلون من شهر رجب سنة اثنتين و ثلاثين و ثلثمائة، و استخلف أخاه أبا المظفّر الحسن بن طغج على مصر، و وصل دمشق ثم سار حتّى وافى المتقى بالرّقّة، فلم يمكن من دخولها لأجل سيف الدولة علىّ بن حمدان. ثم بان للخليفة المتّقى من بنى حمدان الملل و الضجر منه، فراسل توزون و استوثق منه. ثم اجتمع بالإخشيذ هذا و خلع عليه؛ و أهدى إليه الإخشيذ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۵۵

تحفا و هدايا و أموالا. و بلغ الإخشيذ مراسلة توزون، فقال للخليفة: يا أمير المؤمنين أنا عبدك و ابن عبدك، و قد عرفت الأتراك و غدرهم و فجورهم، فاللّه فى نفسك! سر معى إلى الشام و مصر فهى لك، و تأمن على نفسك؛ فلم يقبل المتقى ذلك؛ فقال له الإخشيذ: فأقم هنا و أنا أمدّك بالأموال و الرجال، فلم يقبل منه أيضا. ثم عدل الإخشيذ الى الوزير ابن مقلة و قال له: سر معى، فلم يقبل ابن مقلة أيضا مراعاة للخليفة المتقى. و كان ابن مقلة بعد ذلك يقول: يا ليتنى قبلت نصح الإخشيذ!.

ثم سلّم الإخشيذ على الخليفة و رجع الى نحو بلاده حتى وصل الى دمشق؛ فأمّر عليها الحسين بن لؤلؤ؛ فبقى ابن لؤلؤ على إمرة دمشق سنة و أشهرا؛ ثم نقله الإخشيذ الى نيابة حمص؛ و ولّى على دمشق يأنس المؤنسىّ. و عاد الإخشيذ الى الديار المصريّة و دخلها لأربع خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث و ثلاثين و ثلثمائة، و نزل بالبستان المعروف بالكافوريّ على عادته. فلم تكن مدّة إلا و ورد عليه الخبر بخلع المتقى من الخلافة و تولية المستكفى، و ذلك لسبع خلون من جمادى الآخرة من السنة؛ و أن الخليفة المستكفى أقرّ الإخشيذ هذا على ولايته بمصر و الشأم على عادته. ثم وقع بين الإخشيذ و بين سيف الدولة علىّ [بن عبد اللّه] بن حمدان وحشة و تأكدت الى أوّل سنة أربع و ثلاثين و ثلثمائة؛ ثم اصطلحا على أن يكون لسيف الدولة حلب و أنطاكية و حمص، و يكون باقى بلاد

الشام للإخشيذ. و تزوّج سيف الدولة ببنت أخى الإخشيذ.

ثم وقّع أيضا بين الإخشيذ و بين سيف الدولة ثانيا، و جهّز الإخشيذ الجيوش لحربه و على الجيوش خادمه كافور الإخشيذى وفاتك الإخشيذى؛ ثم خرج الإخشيذ بعدهما من مصر فى خامس شعبان سنة ثلاث و ثلاثين و ثلثمائة، و استخلف أخاه أبا المظفّر الحسن ابن طغج على مصر، و سار الإخشيذ بعساكره حتّى لقى سيف الدولة علّى بن عبد اللّه ابن حمدان بقنّسرين، و حاربه فكسره و أخذ منه حلب. ثم بلغه خلع المستكفى من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۵۶

الخلافة و بيعة المطيع للّه الفضل فى شوّال سنة أربع و ثلاثين و ثلثمائة؛ و أرسل المطيع الى الإخشيذ باستقراره على عمله بمصر و الشام. فعاد الإخشيذ الى دمشق، فمرض بها و مات فى يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجّة سنة أربع و ثلاثين و ثلثمائة. و ولى بعده ابنه أبو القاسم أنوجور باستخلاف أبيه له. فكانت مدّة ولاية الإخشيذ على مصر فى هذه المرّة الثانية إحدى عشرة سنة و ثلاثة أشهر و يومين. و الإخشيذ: بكسر الهمزة و سكون الخاء المعجمة و كسر الشين المعجمة و بعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم ذال معجمة، و تفسيره بالعربىّ ملك الملوك. و طغج: بضم الطاء المهملة و سكون الغين المعجمة و بعدها جيم. و جفّ: بضم الجيم و فتحها و بعدها فاء مشدّدة.

و كان الإخشيذ ملكا شجاعا مقداما حازما متيقّظا حسن التدبير عارفا بالحروب مكرما للجند شديد البطش ذا قوّة مفرطة لا يكاد أحد يجرّ قوسه، و له هيبة عظيمة فى قلوب الرعيّة، و كان متجمّلا فى مركبه و ملبسه. و كان موكبه يضاهى موكب الخلافة. و بلغت عدة مماليكه ثمانية آلاف مملوك، و كان عدّة جيوشه أربعمائة ألف. و كان قوىّ التحرّز على نفسه، و كانت مماليكه تحرسه بالنّوبة عند ما ينام كلّ يوم ألف مملوك، و يوكّل الخدم بجوانب خيمته، ثم لا يثق بأحد حتّى يمضى الى خيمة الفراشين فينام فيها. و عاش ستين سنة. و خلّف أولادا ملوكا. و هو أستاذ كافور الإخشيذىّ الآتى ذكره. قال الذهبىّ: و توفّى بدمشق فى ذى الحجّة عن ستّ و ستين سنة، و نقل فدفن ببيت المقدس الشريف، و مولده ببغداد. و قال ابن خلكان ": و لم يزل فى مملكته و سعادته الى أن توفّى فى الساعة الرابعة يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجّة سنة أربع و ثلاثين و ثلثمائة. "انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۵۷

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۲۴]

السنة الثانية من ولاية الإخشيذ محمد بن طغج على مصر، و قد تقدّم أنه حكم فى السنة الماضية على مصر من شهر رمضان سنة ثلاث و عشرين و ثلثمائة، فتكون سنة أربع و عشرين و ثلثمائة هذه هى الثانية من ولايته، و لا عبرة بتكملة السنين- فيها (أعنى سنة أربع و عشرين و ثلثمائة) قطع محمد بن رائق الحمل عن بغداد، و احتج بكثرة كلف الجيش عنده. و فيها توفّى هارون بن المقتدر أخو الخليفة المطيع للّه و حزن عليه أخوه الخليفة و اغتمّ له، و أمر بنفى الطبيب بختيشوع بن يحيى و اتهمه بتعمّد الخطأ فى علاجه. و فيها فى شهر ربيع الأوّل أطلق من الحبس المظفّر بن ياقوت، و حلف للوزير على المصافاة، و فى نفسه الحقد عليه، لأنه نكبه و نكب أخاه محمدا؛ ثم أخذ يسعى فى هلاكه، و لا زال يدبّر على الوزير ابن مقلة حتى قبض عليه و أحرقت داره، و هذه المرّة الثالثة؛ و استوزر عوضه عبد الرّحمن بن عيسى، و هو أخو الوزير علىّ بن عيسى برغبة أخيه عن الوزارة- و كان ابن مقلة قد أحرق دار سليمان ابن الحسن- و كتبوا على داره:

أحسنت ظنّك بالأيّام إذ حسنت و لم تخف سوء ما يجرى به القدر

و سالمتك الليالى فاغتررت بها و عند صفو الليالى يحدث الكدر

ثم وقع بعد ذلك أمور يطول شرحها. و قبض الراضى على الوزير عبد الرّحمن ابن عيسى و على أخيه علىّ بن عيسى لعجزه عن القيام بالكلف؛ و استوزر أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخىّ، و سلّم ابنى عيسى للكرخىّ، فصادرهما برفق، فأدّى كلّ واحد سبعين ألف دينار. ثم عجز الكرخىّ أيضا؛ فاستوزر الراضى عوضه أبا القاسم سليمان ابن الحسن؛ فكان سليمان فى العجز بحال الكرخىّ و زيادة. فدعت الضرورة أن الراضى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۵۸

كاتب محمد بن رائق و استقدمه و قلّده جميع أمور الدولة؛ و بطل حينئذ أمر الوزارة و الدواوين و بقى اسم الوزارة لا غير، و تولّى الجميع محمد بن رائق. و فيها كان الوباء العظيم بأصبهان و بغداد، و غلت الأسعار. و فيها سار الدّمستق بجيوش الروم إلى آمد و سميساط؛ فسار سيف الدولة بن حمدان [إلى آمد]- و هذا أوّل مغازيه- و حاربه و وقع له معه أمور حتّى ملك الدّمستق سميساط و أمّن أهلها؛ و كان الحسن أخو سيف الدولة قد غلب على الموصل و استفحل أمره. و فيها عاثت العرب من بنى نمير و قشير و ملكوا ديار ربيعة و مضر و شنّوا الغارات و قطعوا السّبل؛ و خلت المدائن من الأقوات لضعف أمر الخلافة، لأن الخليفة الراضى صار مع ابن رائق كالمحجور عليه و الأسير فى يده، و الأمر كلّه لابن رائق. و فيها توفّى أحمد بن موسى بن العباس الشيخ أبو بكر المقرئ البغدادىّ الإمام العلّامة. مولده فى سنة خمس و أربعين و مائتين، و كان إمام القرّاء فى زمانه، و له مشاركة فى فنون. و فيها توفّى الحسن بن محمد بن أحمد الشيخ أبو القاسم السّلمىّ الدّمشقىّ، و يعرف بابن برغوث. روى عن صالح بن الإمام أحمد بن حنبل قصّة الشعر. و فيها توفّى صالح بن محمد بن شاذان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۵۹

الشيخ أبو الفضل الأصبهانىّ الحافظ المحدّث، رحل الى البلاد و سمع الكثير ثم توجّه الى مكة فمات بها فى شهر رجب من السنة. و فيها توفى عبد اللّه [بن أحمد] ابن محمد بن المغلّس أبو الحسن الفقيه الظاهرىّ؛ أخذ الفقه عن أبى بكر بن داود الظاهرىّ و برع فى علم الظاهر. و فيها توفّى محمد بن الفضل بن عبد اللّه الشيخ أبو ذرّ التّميمىّ الشافعىّ فقيه جرجان و رئيسها. و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد ابن زياد بن واصل بن ميمون الحافظ أبو بكر النيسابورىّ الفقيه الشافعىّ مولى آل عثمان بن عفّان رضى اللّه عنه. قال الدارقطنىّ: ما رأيت أحفظ منه. و مولده فى سنة ثمان و ثلاثين و مائتين، و مات فى رابع شهر ربيع الآخر. و فيها توفّى على ابن إسماعيل بن أبى بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد اللّه بن موسى بن بلال ابن أبى بردة بن أبى موسى بن عبد اللّه بن قيس الأشعرىّ البصرىّ المتكلم أبو الحسن، صاحب التصانيف فى الكلام و الأصول و الملل و النحو؛ و مولده سنة ستّين و مائتين؛ و كان معتزليا ثم تاب. و فيها كان الطاعون العظيم بأصبهان و مات فيه خلق كثير و تنقّل فى عدّة بلاد.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو عمرو أحمد ابن بقىّ بن مخلد، و جحظة النّديم أحمد بن جعفر بن موسى البرمكىّ، و أبو بكر أحمد ابن موسى بن العبّاس بن مجاهد المقرئ، و أبو الحسن عبد اللّه بن أحمد المغلّس البغدادىّ الداودىّ إمام أهل الظاهر فى زمانه، و أبو بكر عبد اللّه بن محمد بن زياد النّيسابورىّ، و أبو القاسم عبد الصمد بن سعيد الحمصىّ، و أبو الحسن علىّ بن إسماعيل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۶۰

الأشعرىّ المتكلّم، و علىّ بن عبد اللّه بن المبشّر الواسطىّ، و أبو القاسم علىّ بن محمد ابن كاس النّخعىّ الكوفىّ الحنفىّ قاضى دمشق.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ستّ عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۲۵]

السنة الثالثة من ولاية الإخشيذ على مصر، و هى سنة خمس و عشرين و ثلثمائة- فيها لم يحجّ أحد من العراق خوفا من القرمطىّ. و فيها ظهرت الوحشة بين محمد بن رائق و بين أبى عبد اللّه البريدىّ. و [فيها] وافى أبو طاهر القرمطىّ الكوفة فدخلها فى شهر ربيع الآخر؛ فخرج ابن رائق فى جمادى الأولى و عسكر بظاهر بغداد و سيّر رسالته الى القرمطىّ فلم تغن شيئا. و فيها استوزر الراضى أبا الفتح بن جعفر ابن الفرات بمشورة ابن رائق، و كان ابن الفرات بالشام فأحضروه. و فيها أسّس أمير الأندلس الناصر لدين اللّه الأموىّ مدينة الزّهراء، و كان منتهى الإنفاق فى بنائها كلّ يوم ما لا يحدّ؛ كان يدخل فيها كلّ يوم من الحجر المنحوت ستة آلاف صخرة سوى الآجرّ و غيره؛ و حمل إليها الرّخام من أقطار الغرب، و دخل فيها أربعة آلاف و ثلثمائة سارية؛ و أهدى له ملك الفرنج أربعين سارية رخام؛ و أما الوردىّ و الأخضر فمن إفريقيّة؛ و الحوض المذهّب جلب من قسطنطينيّة، و الحوض الصغير عليه صورة أسد و صورة غزال و صورة عقاب و صورة ثعبان و غير ذلك، و الكلّ بالذهب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۶۱

المرصّع بالجوهر؛ و بقوا فى بنائها ستّ عشرة سنة؛ و كان ينفق عليها ثلث دخل الأندلس، و كان دخل الأندلس يومئذ خمسة آلاف ألف و أربعمائة ألف و ثمانين ألف درهم. و بين هذه المدينة (أعنى الزهراء) و بين قرطبة أربعة أميال. و أطوالها ألف و ستمائة ذراع، و عرضها ألف و سبعون ذراعا. و لم يبن فى الإسلام أحسن منها؛ لكنّها صغيرة بالنسبة إلى المدائن. و كان بسورها ثلثمائة برج. و عمل ثلثها قصورا للخلافة، و ثلثها للخدم، و ثلثها الثالث بساتين. و قيل: إنه عمل فيها بحرة ملأها بالزئبق. و قيل: إنه كان يعمل فيها ألف صانع مع كلّ صانع اثنا عشر أجيرا. و قد أحرقت هذه المدينة و هدمت فى حدود سنة أربعمائة، و بقيت رسومها و سورها.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن حسن أبو حامد الشّرقىّ النّيسابورىّ الحافظ الحجة تلميذ مسلم، سمع الكثير، و صنّف الصحيح، و كان أوحد عصره، و روى عنه غير واحد، و مات فى شهر رمضان، و صلّى عليه أخوه عبد اللّه. و فيها توفّى الأمير عدنان ابن الأمير أحمد بن طولون، قدم بغداد و حدّث بها عن الربيع بن سليمان المزنىّ، و قدم دمشق أيضا و حدّث بها، و كان ثقة صالحا. رضى اللّه عنه. و فيها توفّى موسى بن عبيد اللّه ابن يحيى بن خاقان أبو مزاحم، كان أبوه وزير المتوكّل، و كان موسى هذا ثقة خيّرا من أهل السّنّة.

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو حامد أحمد بن محمد بن [حسن] الشّرقىّ، و أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمى، و أبو العبّاس محمد بن عبد الرّحمن، و مكّى بن عبدان التّميمىّ، و أبو مزاحم موسى بن عبيد اللّه الخاقانىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۶۲

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ستّ عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ستّ عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۲۶]

السنة الرابعة من ولاية الإخشيذ على مصر، و هى سنة ستّ و عشرين و ثلثمائة- فيها سار أبو عبد اللّه البريدىّ لمحاربة بجكم بعد أن استعان البريدىّ بالأمير علىّ ابن بويه؛ فبعث علىّ بن بويه معه أخاه أبا الحسين أحمد بن بويه. و أما البريديّون فهم ثلاثة: أبو عبد اللّه، و أبو الحسين، و أبو يوسف، كانوا كتّابا على البريد. و فيها قطعت يد الوزير ابن مقلة الكاتب المشهور ثم قطع لسانه و مات فى حبسه. و سببه أنّ ابن رائق لمّا وصل إليه التدبير كتب ابن مقلة الى بجكم يطمعه فى الحضرة، و بلغ ابن رائق، و أظهر الخليفة أمره و استفتى القضاة، فيقال: إنهم أفتوا بقطع يده، و لم يصحّ ذلك؛ فأخرجه الراضى الى الدّهليز و قطع يده بحضرة الأمراء؛ و حبس ابن مقلة و

اعتلّ؛ فلما قرب بجكم من بغداد قطع ابن رائق لسانه أيضا؛ و بقى فى الحبس الى أن مات، حسبما يأتى ذكره. و فيها ورد كتاب ملك الروم الى الراضى، و كانت الكتابة بالروميّة بالذهب و الترجمة العربيّة بالفضّة، و عنوانه من رومانس و قسطنطين و إسطفانس عظماء ملوك الروم الى الشريف البهىّ ضابط سلطان المسلمين:

"باسم الأب و الابن و روح القدس الإله الواحد، الحمد للّه ذى الفضل العظيم، الرءوف بعباده الجامع للمفترقات، و المؤلّف للأمم المختلفة فى العداوة حتى يصيروا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۶۳

واحدا، " ... و حاصل الكتاب أنّه أرسل بطلب الهدنة. فكتب اليهم الراضى بإنشاء أحمد بن محمد بن جعفر بن ثوابة بعد البسملة:

"من عبد اللّه أبى العباس الإمام الراضى بالله أمير المؤمنين الى رومانس و قسطنطين و إسطفانس رؤساء الروم. سلام على من اتّبع الهدى، و تمسّك بالعروة الوثقى، و سلك سبيل النجاة و الزّلفى ». ... ثم أجابهم الى ما طلبوا. و فيها قلّد الخليفة الراضى بجكم إمارة بغداد و خراسان، و ابن رائق مستتر. و فيها كانت ملحمة عظيمة بين الحسن بن عبد اللّه بن حمدان و بين الدّمستق، و نصر اللّه الاسلام و هرب الدّمستق، و قتل من ناصريه خلائق، و أخذ سرير الدمستق و صليبه، و فيها توفّى إبراهيم بن داود أبو إسحاق الرّقّىّ؛ كان من جلّة مشايخ دمشق و له كرامات و أحوال. و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد بن سفيان أبو الحسين الجرّار النحوىّ، كان له التصانيف فى علوم القرآن و غيرها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۶۴

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو ذرّ أحمد بن محمد ابن محمد بن سليمان بن الباغندىّ، و عبد الرّحمن بن أحمد بن محمد بن الحجّاج بن رشّد بن، و محمد بن زكرياء بن القاسم المحاربىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و أربع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۲۷]

السنة الخامسة من ولاية الإخشيذ على مصر، و هى سنة سبع و عشرين و ثلثمائة- فيها سافر الراضى و بجكم لمحاربة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان، و كان قد أخّر الحمل عما ضمنه من الموصل و الجزيرة؛ فأقام الراضى بتكريت، ثم التقى بجكم و ابن حمدان، و انهزم أصحاب بجكم و أسر بعضهم؛ فحنق بجكم و حمل بنفسه فانهزم أصحاب ابن حمدان؛ و أتبعه بجكم الى أن بلغ نصيبين، و هرب ابن حمدان الى آمد. ثم صالحا بعد ذلك؛ و صاهر بجكم الحسن بن حمدان المذكور. و فيها مات الوزير أبو الفتح الفضل [بن جعفر] بن الفرات بالرّملة. و فيها استوزر الراضى أبا عبد اللّه أحمد بن محمد البريدىّ، أشار عليه بذلك ابن شيرزاد، و قال: نكفى شرّه؛ فبعث الراضى قاضى القضاة أبا الحسين عمر بن محمد بن يوسف إليه بالخلع و التقليد. و فيها كتب أبو علىّ عمر بن يحيى العلوىّ الى القرمطىّ- و كان يحبّه- أن يطلق طريق الحاجّ و يعطيه عن كلّ حمل خمسة دنانير، فأذن و حجّ بالناس؛ و هى أوّل سنة أخذ فيها المكس من الحجّاج. و فيها توفّى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۶۵

عبد الرّحمن [بن محمد] بن إدريس أبو محمد بن أبى حاتم الرازىّ الحافظ ابن الحافظ؛ كان إماما، صنّف "الجرح و التعديل. "قال أحمد بن عبد اللّه النّيسابورىّ: كنا عنده و هو يقرأ علينا الجرح و التعديل الذى صنّفه؛ فدخل يوسف بن الحسين الرازىّ، فجلس و قال: يا أبا محمد، ما هذا؟ فقال: الجرح و التعديل؛ قال: و ما معناه؟

قال: أظهر أحوال العلماء من كان ثقة و من كان غير ثقة؛ فقال له يوسف:

أما استحييت من اللّه تعالى! تذكر أقواما قد حطّوا رواحلهم فى الجنة، أو عند اللّه، منذ مائة سنة أو مائتى سنة تغتابهم!؛ فبكى عبد الرّحمن و قال: يا ابا يعقوب، و اللّه لو طرق سمعى هذا الكلام قبل أن أصنّفه ما صنّفته؛ و ارتعد و سقط الكتاب من يده، و لم يقرأ فى ذلك المجلس. قلت: فلو رأى الشيخ يوسف كلام الخطيب فى تاريخ بغداد، و هو يقع فى حقّ العلماء الأعلام الزهّاد بكلام يخرجهم من الإسلام بذلك اللسان الخبيث، فما كان يفعل به!. و فيها توفّى محمد بن جعفر بن محمد أبو بكر الخرائطىّ من أهل سرّ من رأى، و كان عالما ثقة جيّد التصانيف متفنّنا. رضى اللّه عنه.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو علىّ الحسين بن القاسم الكوفىّ، و عبد الرّحمن بن أبى حاتم الرازىّ فى المحرّم، و أبو بكر محمد بن جعفر السّامرّىّ الخرائطىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعا و إحدى و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۶۶

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۲۸]

السنة السادسة من ولاية الإخشيذ على مصر، و هى سنة ثمان و عشرين و ثلثمائة- فيها ورد الخبر الى بغداد بأنّ سيف الدولة علىّ بن عبد اللّه بن حمدان هزم الدّمستق.

و فيها خرج بجكم الى الجبل و عاد. و فيها غرقت بغداد غرقا عظيما، بلغت الزيادة تسع عشرة ذراعا، و انبثق بثق من نواحى الأنبار فاجتاح القرى، و غرق من الناس و السباع و البهائم ما لا يحصى، و دخل الماء الى بغداد من الجانب الغربىّ، و تساقطت الدّور، و انقطعت القنطرتان: القنطرة العتيقة و الجديدة عند باب البصرة. و فيها تزوّج بجكم بسارّة بنت الوزير أبى عبد اللّه البريدىّ. و فيها فى شعبان توفّى قاضى القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف و قلّد مكانه ابنه القاضى أبو نصر يوسف.

و فيها فسد الحال بين بجكم و بين الوزير أبى عبد اللّه البريدىّ بعد المصاهرة لأمور صدرت؛ فعزل بجكم الوزير المذكور و استوزر مكانه أبا القاسم سليمان [بن الحسن] ابن مخلد، و خرج بجكم الى واسط. و فى شهر رمضان ملك محمد بن رائق حمص و الشام إلى الرّملة و إلى العريش، و وقع بينه و بين الإخشيذ وقعة انهزم فيها الإخشيذ.

قلت: هى الوقعة التى ذكرناها فى ترجمة الإخشيذ. و فيها توفّى أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب أبو عمر الأموىّ مولى هشام بن عبد الرّحمن الداخل الأموىّ الأندلسىّ القرطبىّ صاحب كتاب العقد [الفريد] فى الأخبار. ولد سنة ستّ و أربعين و مائتين؛ و كان أديب الأندلس و فصيحها، مدح ملوك الأندلس، و كان صدوقا ثقة. و هو القائل:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۶۷

الجسم فى بلد و الروح فى بلد يا وحشة الروح بل يا غربة الجسد

إن تبك عيناك لى يا من كلفت به من رحمة فهما سهماك فى كبدى

و له:

يا ليلة ليس فى ظلمائها نور إلّا وجوها تضاهيها الدنانير

خود سقتنى كأس الموت أعينها ما ذا سقتنيه تلك الأعين الحور

إذا ابتسمن فدرّ الثّغر منتظم و إن نطقن فدرّ اللفظ منثور

و فيها توفّى الحسن بن أحمد بن يزيد أبو سعيد الإصطخرىّ شيخ الشافعيّة؛ سمع الكثير و حدّث و برع فى الفقه و غيره، و مات فى جمادى الآخرة. و فيها توفّى محمد ابن أحمد بن أيّوب بن الصّلت أبو الحسين المقرئ المشهور المعروف بابن شنّبود، و قد تقدّم ذكر

واقعته مع الوزير ابن مقلة فى سنة ثلاث و عشرين و ثلثمائة. قرأ ابن شنّبود على أبى حسّان محمد بن أحمد العنبرىّ و إسماعيل بن عبد اللّه النحّاس و الزبير ابن محمد بن عبد اللّه العمرىّ المدنىّ صاحب «قالون » و غيرهم؛ و سمع الحديث أيضا من جماعة، و قرأ القرآن ببغداد سنين، قرأ عليه خلائق؛ و كان قد تخيّر لنفسه شواذ قراءة كان يقرأ بها فى المحراب حتى فحص أمره و قبض عليه فى سنة ثلاث و عشرين و ثلثمائة، و وقع له ما حكيناه مع ابن مقلة. و فيها توفّى محمد بن عبد الوهاب ابن عبد الرّحمن بن عبد الوهاب أبو علىّ الثّقفىّ النّيسابورىّ الزاهد الواعظ الفقيه، هو من ولد الحجّاج بن يوسف الثّقفىّ، ولد بقوهستان سنة أربع و أربعين و مائتين، و سمع الحديث فى كبره من جماعة، و روى عنه آخرون؛ و كان كبير الشأن أعجوبة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۶۸

زمانه فى الوعظ و التصوّف و الفقه و الزهد. و فيها توفّى محمد بن علىّ بن الحسن ابن مقلة أبو على الوزير صاحب الخطّ المنسوب [إليه]، ولى بعض أعمال فارس ثم وزر للمقتدر سنة ستّ عشرة و ثلثمائة، ثم قبض عليه و صادره و حبسه عامين، ثم وزر بعد ذلك ثانيا و ثالثا لعدّة خلفاء؛ و وقع له حوادث و محن حتّى قطعت يده و لسانه و حبس حتّى مات. قال الصّولى: ما رأيت وزيرا منذ توفّى القاسم بن عبيد اللّه أحسن حركة، و لا أظرف إشارة، و لا أملح خطّا، و لا أكثر حفظا، و لا أسلط قلما، و لا أقصد بلاغة، و لا آخذ بقلوب الخلفاء، من محمد بن علىّ (يعنى ابن مقلة). قال: و له بعد هذا كلّه علم بالإعراب و حفظ اللغة. و قال محمد بن إسماعيل الكاتب: لما نكب أبو الحسن بن الفرات أبا علىّ بن مقلة لم أدخل إليه فى حبسه و لا كاتبته، خوفا من ابن الفرات، فلما طال أمره كتب إلىّ يقول:

ترى حرّمت كتب الأخلّاء بينهم أبن لى أم القرطاس أصبح غاليا

فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا و قد دهمتنا نكبة هى ما هيا

صديقك من راعاك عند شديدة و كلّ تراه فى الرخاء مراعيا

فهبك عدوّى لا صديقى فربّما تكاد الأعادى يرحمون الأعاديا

و أنفذ فى طىّ الورقة ورقة الى الوزير، فيها:

"أمسكت- أطال اللّه بقاء الوزير- عن الشكوى، حتى تناهت البلوى؛ فى النفس و المال، و الجسم و الحال؛ الى ما فيه شفاء للمنتقم، و تقويم للمجترم؛ حتى أفضيت الى الحيرة و التبلّد، و عيالى الى الهتكة و التشرد. و ما أبداه الوزير- أيّده اللّه- فى أمرى إلا بحقّ واجب، و ظنّ غير كاذب. و على كل حال فلى ذمام و حرمة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۶۹

و صحبة و خدمة؛ إن كانت الإساءة أضاعتها، فرعاية الوزير أيده اللّه تعالى بحفظه، و لا مفزع إلا إلى اللّه بلطفه، و كنف الوزير و عطفه؛ فإن رأى- أطال اللّه بقاءه- أن يلحظ عبده بعين رأفته، و ينعم بإحياء مهجته، و تخليصها من العذاب الشديد، و الجهد الجهيد؛ و يجعل له من معروفه نصيبا، و من البلوى فرجا قريبا. "و فيها توفّى محمد ابن القاسم بن محمد بن بشّار أبو بكر [بن] الأنبارىّ النحوىّ اللغوىّ العلّامة، ولد سنة إحدى و سبعين و مائتين، سمع الكثير و روى عنه جماعة كثيرة. و قال أبو علىّ القالىّ تلميذه: كان أبو بكر يحفظ ثلثمائة ألف بيت شاهد فى القرآن. و فيها توفّى أبو الحسن المزيّن أحد مشايخ الصوفيّة ببغداد، كان اسمه فيما قيل علىّ بن محمد. قال السّلمىّ:

صحب الجنيد و سهل بن عبد اللّه؛ و أقام بمكّة مجاورا الى أن مات، و كان من أورع المشايخ و أحسنهم حالا. و هذا هو أبو الحسن المزيّن الصغير؛ و أما أبو الحسن المزين الكبير فبغدادىّ أيضا، و له ترجمة فى تاريخ السّلمىّ مختصرة. و فيها توفّى المرتعش الزاهد النّيسابورىّ، هو عبد اللّه بن محمد، أصله من محلة الحيرة، و صحب ابا حفص و الجنيد، و كان أحد مشايخ العراق. قال أبو عبد اللّه الرازىّ: كان مشايخ العراق يقولون: عجائب بغداد فى التصوّف ثلاث: إشارات الشّبلىّ، و نكت أبى محمد المرتعش،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۷۰

و حكايات جعفر الخلدىّ. و سئل المرتعش: بماذا ينال العبد المحبّة لمولاه؟ قال: بموالاة أولياء اللّه و معاداة أعدائه. و قيل له: إن فلانا يمشى على الماء؛ فقال: عندى أن من يمكّنه اللّه من مخالفة هواه أعظم من المشى على الماء.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و خمس أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ستّ أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۲۹]

السنة السابعة من ولاية الإخشيذ على مصر، و هى سنة تسع و عشرين و ثلثمائة- فيها استكتب بجكم أبا عبد اللّه الكوفىّ، و عزل ابن شيرزاد عن كتابته و صادره. و فيها فى صفر وصلت الروم الى كفرتوثا من أعمال الجزيرة، فقتلوا و سبوا.

و فيها فى شهر ربيع الأوّل اشتدّت علّة الراضى، وقاء فى يومين أرطالا من الدم؛ فأرسل أبا عبد اللّه الكوفىّ المذكور الى بجكم يسأله أن يولّى العهد ابنه أبا الفضل و هو الأصغر، و كان بجكم بواسط، ثم توفّى الراضى. و فيها فى سابع جمادى الآخرة سقطت القبّة الخضراء بمدينة المنصور، و كانت تاج بغداد و مأثرة بنى العباس. قال الخطيب فى تاريخه: إنّ المنصور بناها ارتفاع ثمانين ذراعا، و إن تحتها إيوانا طوله عشرون ذراعا فى مثلها. و قيل: كان عليها مثال فارس فى يده رمح، اذا استقبل به جهة علم أن خارجيّا يظهر من تلك الجهة؛ فسقط رأس هذه القبّة ليلة ذات مطر و برد و رعد. و فيها كان غلاء مفرط و وباء عظيم ببغداد، و خرج الناس يستسقون و ما فى السماء غيم، فرجعوا يخوضون فى الوحل، و استسقى بهم أحمد بن الفضل الهاشمىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۷۱

و فيها عزل المتّقى الوزير سليمان، و استوزر أبا الحسين أحمد بن محمد بن ميمون الكاتب؛ ثم قدم أبو عبد اللّه البريدىّ يطلب الوزارة فأجابه المتّقى. و كانت وزارة ابن ميمون شهرا. و فيها قلّد الخليفة المتّقى إمرة [الأمراء] الأمير كورتكين الديلمىّ، و قلّد بدرا الخرشنىّ الحجابة. و فيها توفى أمير المؤمنين الراضى بالله أبو إسحاق محمد ابن الخليفة جعفر المقتدر ابن الخليفة المعتضد أحمد ابن ولّى العهد الموفّق طلحة ابن الخليفة المتوكّل جعفر ابن الخليفة المعتصم محمد ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة المهدىّ محمد ابن الخليفة أبى جعفر المنصور عبد اللّه بن محمد بن علىّ بن عبد اللّه ابن العباس الهاشمىّ البغدادىّ العباس؛ بويع بالخلافة بعد موت عمّه القاهر بالله، و مات فى منتصف شهر ربيع الآخر و هو ابن إحدى و ثلاثين سنة و ستّة أشهر.

و بويع بالخلافة أخوه إبراهيم، و لقّب بالمتّقى. و أم الراضى أم ولد روميّة. كان الراضى فاضلا سمحا جوادا شاعرا محبّا للعلماء؛ و هو آخر خليفة له شعر مدوّن، و آخر خليفة انفرد بتدبير الجند، و آخر خليفة خطب يوم الجمعة، و آخر خليفة جالس الندماء.

قال الصولىّ: سئل الراضى أن يخطب يوم جمعة، فصعد المنبر بسرّمن‌رأى، فحضرت أنا و إسحاق بن المعتمد؛ فلما خطب شنّف الأسماع و بالغ فى الموعظة. انتهى.

قلت: و من شعر الراضى رضى اللّه عنه:

كلّ صفو الى كدر كلّ أمن الى حذر

و مصير الشباب لل موت فيه أو الكبر

درّدرّ المشيب من واعظ ينذر البشر

أيّها الآمل الذى تاه فى لجّة الغرر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۷۲

أين من كان قبلنا ذهب الشخص و الأثر

ربّ فاغفر لى الخطى ئة يا خير من غفر

و فيها فى شوّال اجتمعت العامّة و تظلّموا من الديلم و نزولهم فى دورهم، فلم يقع لذلك إنكار؛ فمنعت العامّة الإمام من الصلاة و كسرت المنبر، و منعهم الديلم من ذلك، فقتل من الفريقين جماعة كثيرة. و فيها استوزر المتّقى القراريطىّ، و خلع المتقى على بدر الخرشنىّ، و قلّده الحجابة و جعله حاجب الحجّاب. قلت: هذا أوّل ما سمعنا بمن سمّى حاجب الحجّاب؛ و لكن لا نعلم هل كان بهذه الكيفيّة أو غير هذه الصورة من أنه كبير الحجبة؛ و لعلّه ذلك. و فيها توفّى بجكم التركىّ الأمير أبو الخير، كان أمير الأمراء قبل بنى بويه، و كان عاقلا يفهم العربيّة، و لا يتكلّم بها بل يتكلّم بترجمانه، و يقول: [أخاف] أن أتكلّم فأخطئ، و الخطأ من الرئيس قبيح. و كان عاقلا سيوسا عارفا، يتولّى المظالم بنفسه. قال القاضى التّنوخىّ: جاء رجل من الصوفيّة الى بجكم، فوعظه بالعربيّة و للفارسيّة حتى أبكاه؛ فلما خرج قال بجكم لرجل: احمل معك ألف درهم و ادفعها إليه؛ فأخذها الرجل و لحقه؛ و أقبل بجكم يقول: ما أظنّه يقبلها؛ فلمّا عاد الغلام و يده فارغة قال بجكم: أخذها؟ قال: نعم؛ فقال بجكم بالفارسيّة:

كلّنا صيّادون و لكن الشباك تختلف. و فيها وقع الحرب بين محمد بن رائق و بين كورتكين و انكسر كورتكين و اختفى. و فيها توفّى عبد اللّه بن طاهر بن حاتم أبو بكر الأبهرىّ، كان من أقران الشّبلىّ. سئل: ما بال الإنسان يحتمل من معلّمه مالا يحتمل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۷۳

من أبويّه؟ فقال: لأن أبويه سبب لحياته الفانية، و معلّمه سبب لحياته الباقية. و فيها توفّى العباس بن الفضل بن العبّاس بن موسى الأمير أبو الفضل الهاشمى العباسىّ، كان فاضلا، سمع الحديث و رواه، و مات فى جمادى الأولى.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الحسن بن علىّ أبو محمد البربهارىّ شيخ الحنابلة، و القاضى أبو محمد عبد اللّه بن أحمد بن زبر، و أبو القاسم عبد اللّه بن محمد بن إسحاق المروزىّ الحامض، و الراضى بالله أبو إسحاق محمد بن المقتدر فى [شهر] ربيع الآخر عن اثنتين و ثلاثين سنة، و أبو نصر محمد بن حمدويه المروزىّ القارئ، و أبو بكر يوسف بن يعقوب التّنوخىّ الأزرق.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و إحدى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۰]

السنة الثامنة من ولاية الإخشيد على مصر، و هى سنة ثلاثين و ثلثمائة- فيها استوزر الخليفة المتقى أبا عبد اللّه البريدىّ برأى ابن رائق لمّا رأى انضمام الأتراك إليه، فاحتاج إلى مداراته. و فيها فى المحرّم وجد كورتكين الديلمىّ فى درب، فأحضر الى دار [ابن] رائق فحبسه. و فيها كان الغلاء العظيم ببغداد، و أبيع كرّ القمح بمائتى دينار و عشرة دنانير، و أكلوا الميتة، و كثرت الأموات على الطرق، و عمّ البلاء؛ و خرج فى [شهر] ربيع الآخر الحرم من قصر الرّصافة يستغثن فى الطرقات: الجوع الجوع!

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۷۴

و خرج الأتراك و توزون فساروا الى البريدىّ بواسط. و فى هذه الأيام وصلت الروم إلى حموص من أعمال حلب- و هى على ستة فراسخ من حلب- فأخربوا و أحرقوا و سبوا عشرة آلاف نسمة. و فيها ولى قضاء الجانبين و مدينة أبى جعفر القاضى أبو الحسن أحمد بن عبد اللّه بن إسحاق الخرقىّ التاجر؛ و تعجّب الناس من تقليد مثله القضاء. و فيها عزل البريدىّ و قلّد القراريطىّ الوزارة. و فيها فى جمادى الأولى ركب المتّقى و معه ابنه أبو منصور و محمد بن رائق و الوزير الفراريطىّ و الجيش و ساروا بين أيديهم القرّاء فى المصاحف لقتال البريدىّ، و اجتمع الخلق على كرسى الجسر فثقل بهم و انخسف فغرق خلق؛ و أمر ابن رائق بلعن البريدىّ على

المنابر. ثم أقبل أبو الحسين علىّ بن محمد أخو البريدىّ إلى بغداد و قارب المتقى و ابن رائق و قاتلهما فهز مهما، و كان معه الترك و الديلم و القرامطة؛ و دخلوا بغداد و كثر النهب بها؛ و تحصّن ابن رائق بها؛ فزحف أبو الحسين البريدىّ على الدار، و استفحل الشر، و دخل طائفة دار الخلافة و قتلوا جماعة؛ و خرج الخليفة المتقى و ابنه هاربين الى الموصل و معهما ابن رائق، و استتر الوزير القراريطىّ؛ و دخلوا على الحرم و نهبت دار الخلافة؛ و وجدوا فى السجن كورتكين الديلمىّ و أبا الحسن [سعيد بن عمرو بن سنجلا] و علىّ بن يعقوب، فجيء بهم إلى أبى الحسين؛ فقيّد كورتكين و بعث به الى أخيه بالبصرة؛ و كان آخر العهد به. و نزل أبو الحسين دار ابن رائق، و قلّد الشرطة [فى الجانب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۷۵

الشرقى] لتوزون و لأبى منصور نوشتكين الشرطة فى الجانب الغربىّ. و اشتدّ القحط ببغداد، حتى أبيع كرّ القمح بثلاثمائة و ستة عشر دينارا. ثم وقع بين البريدىّ و بين توزون و نوشتكين حرب، و وقع لهم أمور؛ و انصرف توزون إلى الموصل و انضم إلى ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان. و فيها كانت وقعة بين الأتراك و القرامطة فانهزمت القرامطة. و فيها انضم محمد بن رائق على الحسن بن عبد اللّه بن حمدان المذكور؛ ثم وقّع بينهما؛ و قتل ابن رائق، قتله أعوان الحسن بن عبد اللّه بن حمدان المذكور؛ و خلع المتقى على الحسن بن عبد اللّه بن حمدان المذكور و لقّبه بناصر الدولة، و على أخيه علىّ و لقّبه بسيف الدولة؛ و عاد الخليفة إلى بغداد. قلت: و هذا أول عظمة بنى حمدان، فهم على هذا الحكم أقدم الملوك. و لما قدم الخليفة المتقى إلى بغداد و معه بنو حمدان هرب منها البريدىّ الى واسط بعد أن أقام ببغداد ثلاثة أشهر و عشرين يوما. و فيها توفّى العارف باللّه أبو يعقوب إسحاق بن محمد النّهر جورىّ شيخ الصوفيّة، مات بمكّة؛ و كان صحب سهل بن عبد اللّه و الجنيد و غيرهما، و كان من كبار المشايخ. و فيها توفّى المحاملىّ الزاهد، [و] أبو صالح مفلح بن عبد اللّه الدّمشقىّ صاحب الدعاء و غيره، و إليه ينسب مسجد أبى صالح خارج الباب الشرقىّ، و كان من الصلحاء الزهّاد. و فيها توفّى محمد بن رائق الأمير أبو بكر، و كان من أكابر القوّاد، ولى الأعمال الجليلة، ثم قدم دمشق و أخرج منها بدرا الإخشيذى، و أقام بها شهرا، ثم توجّه إلى مصر و التقى هو و الإخشيذ- و قد ذكرنا ذلك كلّه مفصّلا فى ترجمة الإخشيذ و غيره- ثم عاد إلى بغداد فدخلها، و خلع عليه المتقى خلعة الإمارة و ألبسه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۷۶

الطّوق و السّوار و قلّده الأمور. ثم خرج مع المتقى لجرب ناصر الدولة بن حمدان، و جرت له أمور طويلة حتى قتل بالموصل. قال الصولىّ أنشدنا الأمير محمد بن رائق فى فتاة مشرقيّة:

يصفرّ اونى إذا بصرت به خوفا و يحمّر وجهه خجلا

حتّى كأنّ الذى بوجنته من دم قلبى إليه قد نقلا

و فيها توفّى نصر بن أحمد أبو القاسم البصرىّ الخبز أرزىّ الشاعر المشهور، قدم بغداد و كان يخبز خبز الأرز يتكسّب بذلك؛ و كان له نظم رائق، و كان أمّيّا لا- يتهجّى و لا- يكتب، و كان ينشد أشعاره و هو يخبز خبز الأرز بمربد البصرة فى دكّان، و كان الناس يزدحمون عليه لاستماع شعره، و يتعجبون من حاله؛ و كان أبو الحسين محمد بن محمد [بن لنكك] الشاعر المشهور ينتاب دكانه ليستمع شعره، و اعتنى به و جمع له ديوانا. و من شعره قوله:

خليلىّ هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من مولى تمشّى الى عند

أتى زائرا من غير وعد و قال لى أحلّك عن تعليق قلبك بالوعد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۷۷

فمازال نجم الكأس بينى و بينه يدور بأفلاك السعادة و السعد

فطورا على تقبيل نرجس ناظر و طورا على تعضيض تفّاحة الخدّ

و له:

كم أناس وفوا لناحين غابوا و أناس جفوا و هم حضّار

عرّضوا ثم أعرضوا و استمالوا ثم مالوا و جاوروا ثم جاروا

لا تلمهم على التجنّى فلو لم يتجنوا لم يحسن الاعتذار

و له:

و كان الصديق يزور الصديق لشرب المدام و عزف القيان

فصار الصديق يزور الصديق لبثّ الهموم و شكوى الزمان

و له القصيدة للطنّانة التى أوّلها:

بات الحبيب منادمى و السكر يصبغ وجنتيه

ثم اغتدى و قد ابتدا صبغ الخمار بمقلتيه

و هى طويلة. و من شعره قوله:

رأيت الهلال و وجه الحبيب فكانا هلالين عند النظر.

فلم أدر من حيرتى فيهما هلال الدّجى من هلال البشر

و لو لا التورّد فى الوجنتين و ما راعنى من سواد الشّعر

لكنت أظنّ الهلال الحبيب و كنت أظنّ الحبيب القمر

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و نصف إصبع. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و ثمانى أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۷۸

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۱]

السنة التاسعة من ولاية الإخشيذ على مصر، و هى سنة إحدى و ثلاثين و ثلثمائة- فيها تزوّج أبو منصور إسحاق ابن الخليفة المتّقى بالله ببنت ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان التّغلبىّ؛ و الصداق مائتا ألف دينار، و قيل: مائة ألف دينار و خمسمائة ألف درهم. و فيها فى صفر وصلت الروم أرزن و ميّافارقين و نصيبين فقتلوا و سبوا؛ ثم طلبوا منديلا من كنيسة الرّها يزعمون أن المسيح مسح به وجهه فارتسمت صورته فيه، على أنهم يطلقون جميع من سبوا من المسلمين.

فاستفتى الخليفة الفقهاء فأفتوا بأنّ إرساله مصلحة للمسلمين؛ فأرسل الخليفة اليهم المنديل و أطلق الأسارى. و فيها ضيّق الأمير ناصر الدولة حسن بن عبد اللّه بن حمدان على الخليفة المتّقى فى نفقاته، و أخذ ضياعه و صادر الدواوين و أخذ الأموال، فكرهه الناس. و فيها وافى الأمير أحمد بن بويه يقصد قتال البريدى، فاستأمن إليه جماعة من الديلم. و فيها هاج الأمراء على سيف الدولة علىّ بن عبد اللّه بن حمدان بواسط، فهرب منهم فى البرّيّة يريد بغداد؛ ثم سار ناصر الدولة الى الموصل خائفا لهروب أخيه سيف الدولة، و نهبت داره؛ و استوزر المتقى أبا الحسين على بن أبى علىّ محمد بن مقلة. و فيها سار توزون من واسط و قصد بغداد فى شهر رمضان؛ فانهزم سيف الدولة الى الموصل أيضا؛ فخلع الخليفة المتقى على توزون و لقّبه أمير الأمراء. ثم وقعت الوحشة بين المتقى و توزون، فعاد توزون الى واسط. و فيها نزح خلق كثير من بغداد مع الحجّاج الى الشام و مصر خوفا من الفتنة. و فيها ولد لأبى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۷۹

طاهر القرمطىّ ولد، فأهدى إليه أبو عبد اللّه البريدىّ هدايا عظيمة، فيها مهد ذهب مجوهر. و فيها استوزر المتّقى الخليفة غير وزير من

هؤلاء الحاملين و يعزله، فاستوزر أبا العباس الكاتب الأصبهانىّ. و كان أبو العباس المذكور ساقط الهمّة بحيث إنه كان يركب أيام وزارته و بين يديه اثنان، و ما ذلك إلا لضعف دست الخلافة و وهن دولة بنى العباس. و فيها حجّ بالناس القرمطىّ على مال أخذه منهم. و فيها توفّى بدر الخرشنىّ، و كان قد جرت له أمور ببغداد، و كان من أكابر القوّاد؛ ثم سار الى الإخشيذ محمد بن طغج أمير مصر- أعنى صاحب الترجمة- فولّاه الإخشيذ إمرة دمشق، فوليها شهرين، و مات فى ذى القعدة. و قد تقدّم ذكر بدر هذا فى عدّة أماكن فى الحوادث و غيرها. و فيها توفّى أبو سعيد سنان بن ثابت المتطبّب، والد ثابت مصنّف التاريخ. و قد أسلم سنان على يد الخليفة القاهر بالله؛ و طبّب سنان المذكور جماعة من الخلفاء، و كان مفتنّا فى علم الطبّ و غيره. و فيها توفّى محمد بن عبدوس مصنف "كتاب الوزراء "ببغداد، كان فاضلا رئيسا، و له مشاركة فى فنون.

و فيها توفّى محمد بن إسماعيل أبو بكر الفرغانىّ الصوفىّ أستاذ أبى بكر الدقّاق، كان من المجتهدين فى العبادة. قال الرّقّىّ: ما رأيت أحسن منه ممن يظهر الغنى فى الفقر، كان يلبس قميصين و رداء و سراويل و نعلا نظيفا و عمامة، و فى يده مفتاح و ليس له بيت، ينطرح فى المساجد، و يطوى الخمس و الستّ. و قال عبد الواحد بن بكر:

سمعت الرقىّ يقول سمعت الفرغانىّ محمد بن إسماعيل يقول ": دخلت الدّير الذى بطور سيناء، فأتانى مطرانهم بأقوام كأنهم نشروا من القبور، فقال: هؤلاء يأكل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۸۰

أحدهم فى الأسبوع مرّة، يفخرون بذلك؛ فقلت لهم: كم صبر مسيحكم هذا؟

قالوا: ثلاثين يوما، و كنت قاعدا فى وسط الدّير، فلم أزل جالسا أربعين يوما لم آكل و لم أشرب؛ فخرج إلىّ مطرانهم فقال: يا هذا قم، فقد أفسدت قلوب كلّ من فى الدير؛ فقلت: حتى أتمّ ستين يوما؛ فألحّوا فخرجت.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى حسن بن سعد الكتامىّ القرطبىّ الحافظ، و محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة السّدوسىّ، و محمد ابن مخلد بن حفص العطّار، و يعقوب بن عبد الرّحمن الجصّاص.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و ستّ أصابع. مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعا سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۲]

السنة العاشرة من ولاية الإخشيذ على مصر، و هى سنة اثنتين و ثلاثين و ثلثمائة- فيها قدم أبو جعفر بن شيرزاد من واسط من قبل توزون الى بغداد، فحكم على بغداد؛ فخرج الخليفة المتقى الى تكريت بأولاده و معه الوزير؛ فقدم عليه سيف الدولة و أشار عليه بأن يصعد الى الموصل ليّتفقوا على رأى؛ فقال المتقى: ما على هذا عاهدتمونى.

ثم حضر ناصر الدولة بن حمدان و التقى مع توزون و اقتتلوا أيّاما و أردفه أخوه، ثم انهزم بنو حمدان و فرّوا و معهم المتّقى الى نصيبين. ثم أرسل المتقى لتوزون فى الصلح فأجاب توزون الى الصلح. و رجع الخليفة الى بغداد بعد أمور صدرت له. و فيها قتل أبو عبد اللّه البريدىّ أخاه أبا يوسف، ثم مات بعده بيسير. و فيها ولىّ ناصر الدولة بن حمدان ابن عمّه الحسين بن سعيد بن حمدان قنّسرين و العواصم فسار الى حلب. و فيها كتب المتقى إلى الإخشيذ صاحب مصر أن يحضر إليه؛ فخرج من مصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۸۱

و سار إلى الرقّة. و قد تقدّم ذكر ذلك فى أوّل هذه الترجمة. و فيها قتل حمدى اللص، و كان لصّا فاتكا، أمّنه ابن شيرزاد و خلع عليه، و شرط معه أن يصله كلّ شهر بخمسة عشر ألف دينار، و كان يكبس بيوت الناس بالمشعل و الشّمع و يأخذ الأموال، و كان أسكورج الدّيلمىّ قد ولى شرطة بغداد فقبض عليه و وسّطه. قلت: لعل حمدى هذا هو الذى يقال له عند العامة فى سالف الأعصار ": أحمد

الدنف."

و فيها دخل أحمد بن بويه واسطا، و هرب أصحاب البريدىّ الى البصرة. و فيها فى شوّال عرض لتوزون صرع و هو على سرير الملك، فوثب ابن شيرزاد و أرخى عليه السّتر، و قال: قد حدثت للأمير حمّى. و فيها لم يحجّ أحد لموت القرمطىّ.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرّحمن مولى بنى هاشم أبو العباس الكوفىّ الحافظ المعروف بابن عقدة و هو لقب أبيه، سمع الكثير حتّى من أقرانه، و كان حافظا مفتنّا، جمع الأبواب و التراجم، و روى عنه الدارقطنىّ و غيره. و فيها هلك الخبيث الطريد من رحمة اللّه أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنّابى الهجرىّ القرمطىّ فى شهر رمضان بالجدرىّ، بعد أن رأى فى نفسه العبر و تقطّعت أوصاله؛ و هو الذى قتل الحجيج و استباحهم غير مرّة، و اقتلع الحجر الأسود. و تولّى مكانه أبو القاسم سعيد [بن الحسن أخوه]. و قد تقدّم ذكر أبى طاهر فيما مضى؛ غير أن صاحب المرآة أرّخ وفاته فى هذه السنة. و قد ذكرناها ثانيا لهذا المنكر، عليه اللعنة و الخزى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۸۲

و فيها دخل الدّمستق إلى رأس العين فى ثمانين ألفا من الروم، فقتل و سبى خلقا كثيرا؛ و قيل: كان ذلك فى الماضية.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو العباس أحمد ابن محمد بن سعيد بن عقدة الحافظ، و أبو بكر محمد بن الحسين النّيسابورىّ القطّان، و عبد اللّه بن أحمد بن إسحاق المصرىّ الجوهرى. رضى اللّه عنهم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و إصبع واحدة. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و تسع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۳]

السنة الحادية عشرة من ولاية الإخشيذ على مصر، و هى سنة ثلاث و ثلاثين و ثلثمائة- فيها خلع المتقى إبراهيم من الخلافة و سمل، فعل به ذلك توزون. قال المسعودىّ: لما التقى توزون بالمتقى ترجّل و قبّل الأرض، فأمره المتقى بالركوب فلم يفعل، و مشى بين يديه الى المخيّم الذى ضرب له؛ فلمّا نزل قبض عليه توزون و أكحله، فصاح المتقى و صاح النساء، فأمر توزون بضرب الدبادب حول المخيّم، ثم دخل توزون بالمتّقى الى بغداد مسمول العينين؛ و أحضر توزون عبد اللّه بن المكتفى و بايعه بالخلافة و لقّبه بالمستكفى باللّه. و لما بلغ القاهر باللّه المخلوع عن الخلافة و المسمول أيضا قبل تاريخه أن المتقى خلع و سمل، قال: صرنا اثنين و نحتاج الى ثالث؛ يعرّض بالمستكفى الذى بويع بالخلافة؛ و كان كما قال على ما يأتى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۸۳

ذكره إن شاء اللّه تعالى. و كنية المستكفى أبو القاسم. و أمّه أمّ ولد. و بويع بالخلافة و عمره إحدى و أربعون سنة. و عاش المتقى بعد خلعه و سمله خمسا و عشرين سنة أعمى. و كان خلعه فى عشرين صفر؛ فلم يحل الحول على توزون حتى مات. و فيها كانت وقعات عديدة بين توزون و بين أحمد بن بويه و كلّها على توزون و الصّرع يعتريه، حتّى كلّ الرجال من الطائفتين؛ و رجع ابن بويه الى الأهواز، و رجع توزون الى بغداد مشغولا بنفسه من العلّة بالصرع الى أن مات. و فيها سار سيف الدولة ابن حمدان الى حلب فملكها و هرب أميرها يأنس المؤنسى الى مصر؛ فجهّز الإخشيذ صاحب الترجمة جيشا لحربه، كما تقدّم فى أول الترجمة. و فيها غزا سيف الدولة ابن حمدان بلاد الروم و ردّ سالما بعد أن بدّع بالعدوّ. و سبب هذه الغزوة أنه بلغ الدّمستق ما فيه سيف الدولة من الشغل بحرب أضداده، فسار فى جيش عظيم و أوقع بأهل بغراس و مرعش و قتل و سبى؛ فأسرع سيف الدولة الى مضيق و شعاب و أوقع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۸۴

بجيش الدمستق و بيّتهم و استنقذ الأسارى و الغنيمة من أيدى الروم، و انهزم الروم أقبح هزيمة. ثم بلغ سيف الدولة أنّ مدينة الروم قد

تهدم بعض سورها، و كان ذلك فى الشتاء، فاغتنم سيف الدولة الفرصة فأناخ عليهم و قتل و سبى؛ لكن أصيب بعض جيشه.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو الطيب أحمد ابن إبراهيم الشّيبانىّ، و أبو عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حكيم المدنىّ، و المتقى بالله إبراهيم بن المقتدر خلع و سمل فى صفر، ثم بقى خاملا منسيّا الى سنة سبع و خمسين و ثلثمائة، و أبو علىّ محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و اثنتا عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۴]

اشارة

السنة الثانية عشرة من ولاية الإخشيذ على مصر، و هى سنة أربع و ثلاثين و ثلثمائة- فيها كانت وفاة الإخشيذ كما تقدّم ذكره. و فيها لقّب الخليفة المستكفى نفسه بإمام الحقّ و ضرب ذلك على السّكّة. و فيها فى المحرّم توفّى توزون التركى الأمير بهيت، و كان معه كاتبه أبو جعفر بن شيرزاد؛ فطمع فى المملكة و حلّف العساكر لنفسه، و سار حتى نزل بباب حرب (أحد أبواب بغداد)؛ فخرج إليه الديلم و الجند؛ و بعث إليه المستكفى بالإقامات و بخلع بيض. و لم يكن مع ابن شيرزاد مال، فضاق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۸۵

ما بيده، فشرع فى مصادرات التجّار و الكتّاب و سلّط الجند على العامّة، و تفرّغ لأذى الخلق؛ فهرب أعين بغداد و انقطع الجلب، فخربت و تخلخل أمرها. و فيها قدم معزّ الدولة أحمد بن بويه الى بغداد بعد أمور صدرت، و خلع عليه المستكفى و لقّبه "معزّ الدولة، "و لقّب أخاه عليّا "عماد الدولة، "و أخاه الحسن "ركن الدولة، "و ضربت ألقابهم على السّكّة. ثم ظهر ابن شيرزاد و اجتمع بمعزّ الدولة. و معزّ الدولة المذكور هو أوّل من ملك من الديلم من بنى بويه، و هو أوّل من وضع السّعاة ببغداد ليجعلهم رسلا بينه و بين أخيه ركن الدولة الى الرىّ. و كان له ساعيان: فضل و مرعوش، و كان كلّ واحد [منهما] يمشى فى اليوم ستة و ثلاثين فرسخا، فضرى بذلك شباب بغداد و انهمكوا فيه، حتى نجب منهم عدّة سعاة. و فيها خلع المستكفى من الخلافة و سمل، خلعه معزّ الدولة أحمد بن بويه الديلمىّ. و سببه أنه لمّا كان أوّل جمادى الآخرة دخل معزّ الدولة على الخليفة المستكفى فوقف و الناس وقوف على مراتبهم، فتقدّم اثنان من الديلم فطلبا من الخليفة الرزق، فمدّ يده إليهما ظنّا منه أنّهما يريدان تقبيلها؛ فجذباه من السرير و طرحاه الى الأرض و جرّاه بعمامته. ثم هجم الديلم على دار الخلافة، و على الحرم و نهبوا و قبضوا على القهرمانة و خواصّ الخليفة. و مضى معزّ الدولة الى منزله. و ساقوا المستكفى ماشيا إليه، و لم يبق بدار الخلافة شىء إلّا نهب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۸۶

و خلع المستكفى و سملت عيناه. و كانت خلافته سنة و أربعة أشهر و يومين. و توفّى بعد ذلك فى سنة ثمان و ثلاثين و ثلثمائة، و عمره ستّ و أربعون سنة. على ما يأتى ذكره فى محلّه.

و هذا ثالث خليفة خلع و سمل كما بشّر به القاهر لمّا خلع المتّقى و سمل؛ فإنّه قال:

بقينا اثنين و لا بدّ لنا من ثالث. و قد تقدّم ذكر ذلك عند خلع المتّقى. ثم أحضر معزّ الدولة أبا القاسم الفضل بن المقتدر جعفر و بايعه بالخلافة و لقّبه بالمطيع للّه، و سنّه يومئذ أربع و ثلاثون سنة. ثم قدّموا ابن عمّه المستكفى المذكور فسلّم عليه بالخلافة و أشهد على نفسه بالخلع؛ و ذلك قبل أن يسمل. ثم صادر المطيع خواصّ المستكفى و أخذ منهم أموالا كثيرة. و قرّر له معزّ الدولة فى كلّ يوم مائة دينار. و فيها عظم الغلاء ببغداد فى شعبان و أكلوا الجيف و الرّوث و ماتوا على الطّرق، و أكلت الأكلب لحومهم، و بيع العقار

بالرّغفان، و وجدت الصغار مشويّة مع المساكين، و هرب الناس إلى البصرة و واسط فمات خلق فى الطّرقات. و ذكر ابن الجوزىّ أنّه اشترى لمعزّ الدولة كرّ دقيق بعشرين ألف درهم. قلت: و الكرّ: سبعة عشر قنطارا بالدّمشقىّ، لأن الكرّ: أربعة و ثلاثون كارة، و الكارة: خمسون رطلا بالدمشقىّ. و فيها وقّع بين معزّ الدولة أحمد بن بويه و بين ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان التّغلبىّ؛ و جاء فنزل سامرّا؛ فخرج إليه معزّ الدولة و معه الخليفة المطيع للّه فى شعبان، و ابتدأت الحروب بينهم بعكبرا. و كان معزّ الدولة قد تغيّر على ابن شيرزاد و استخانه فى الأموال. فلما وقع القتال جاء ناصر الدولة فنزل بغداد من الجانب الشرقىّ و ملكها؛ و جاء معزّ الدولة و معه المطيع كالأسير فنزل فى الجانب الغربىّ، ثم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۸۷

قوى أمر معزّ الدولة حتّى ملك بغداد، و نهبت عساكره الديلم أهل بغداد، و هرب ناصر الدولة من بغداد. و فيها توفّى القائم بأمر اللّه نزار، و قيل: محمد و هو الأشهر، و كنيته أبو القاسم بن المهدىّ عبيد اللّه الذى توثّب على الأمر و ادّعى أنّه علوىّ فاطمىّ. يأتى ذكر أحوالهم فى تراجم من ملك مصر من ذرّيتهم كالمعزّ و غيره.

ولى القائم هذا بعد موت أبيه المهدىّ بعهد منه إليه، و سار إلى مصر مرّتين، و وقع له مع أصحاب مصر حروب و خطوب؛ تقدّم ذكر بعضها فى تراجم ملوك مصر يوم ذاك. و كانت وفاة القائم هذا بالمهديّة من بلاد المغرب فى شوّال. قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبىّ: و كان القائم شرّا من أبيه المهدىّ زنديقا ملعونا. ذكر القاضى عبد الجبّار أنّه أظهر سبّ الأنبياء عليهم السلام؛ و كان مناديه ينادى العنوا الغار و ما حوى. و قتل خلقا من العلماء. و كان يراسل أبا طاهر القرمطىّ الى البحرين و هجر، و أمره بإحراق المساجد و المصاحف. فلما كثر فجوره خرج عليه رجل يقال له مخلد بن كيداد. و ساق الذهبىّ أمورا نذكر بعضها فى تراجم أولاده الآتى ذكرهم فى أخبار ملوك مصر؛ فحينئذ نطلق هناك عنان القلم فى نسبهم و كيفيّة دخولهم الى مصر و أحوالهم مبسوطا مستوعبا. و فيها توفّى أحمد بن محمد بن الحسن أبو بكر المعروف بالصّنوبرىّ الضبىّ الحلبىّ الشاعر المشهور. كان إماما بارعا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۸۸

فى الأدب فصيحا مفوّها. روى عنه من شعره أبو الحسن الأديب و أبو الحسن ابن جميع و غيرهما. و من شعره:

لا النوم أدرى به و لا الأرق يدرى بهذين من به رمق

إنّ دموعى من طول ما استبقت كلّت فما تستطيع تستبق

ولى مليك لم تبد صورته مذ كان إلّا صلّت له الحدق

نويت تقبيل نار وجنته و خفت ادنو منها فأحترق

و فيها توفّى علىّ بن عيسى بن داود بن الجرّاح أبو الحسن البغدادىّ الكاتب الوزير؛ وزر للمقتدر و القاهر، و حدّث عن أحمد بن شعيب النّسائىّ و الحسن بن محمد الزعفرانىّ و حميد بن الرّبيع، و روى عنه ابنه عيسى و الطبرانىّ و أبو طاهر الهذلىّ، و كان صدوقا ديّنا خيّرا صالحا عالما من خيار الوزراء و من صلحاء الكبراء؛ و كان كبير البر و المعروف و الصلاة و الصيام و مجالسة العلماء. حكى أبو سهل بن زياد القطّان أنّه كان معه لما نفى إلى مكّة، قال: فطاف يوما [و سعى] و جاء فرمى بنفسه، و قال: أشتهى على اللّه شربة ماء مثلوج؛ فنشأت بعد ساعة سحابة فبرقت و رعدت و جاءت بمطر يسير و برد كثير، و جمع الغلمان منه جرارا، و كان الوزير صائما؛ فلمّا كان الإفطار جئته بأقداح مملوءة من أصناف الأشربة؛ فأقبل يسقى المجاورين، ثم شرب و حمد اللّه، و قال: ليتنى تمنّيت المغفرة. و قال أحمد بن كامل القاضى:

سمعت علىّ بن عيسى الوزير يقول: كسبت سبعمائة ألف دينار أخرجت منها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۸۹

فى وجوه البرّ ستمائة و ثمانين ألف دينار. و قال الصّولىّ: لا أعلم أنه وزر لبنى العباس وزير يشبهه فى عفّته و زهده و حفظه للقرآن و

علمه بمعانيه، و كان يصوم نهاره و يقوم ليله؛ و لا أعلم أنّنى خاطبت أحدا أعرف [منه] بالشعر. و لما نكب و عزل عن الوزارة قال أبياتا منها:

و من يك عنّى سائلا لشماتة لما نابنى أو شامتا غير سائل

فقد أبرزت منّى الخطوب ابن حرّة صبورا على أهوال تلك الزلازل

و فيها توفّى عمر بن الحسين بن عبد اللّه أبو القاسم الخرقىّ البغدادىّ الحنبلىّ صاحب «المختصر» فى الفقه. و قد مرّ ذكر أبيه فى محلّه.

قال أبو يعلى بن الفرّاء:

كانت لأبى القاسم مصنّفات كثيرة لم تظهر، لأنه خرج من بغداد لمّا ظهر بها سبّ أصحابه، و أودع كتبه فى دار فاحترقت تلك الدار.

و كانت وفاته بدمشق و دفن بباب الصغير. و فيها توفّى أبو بكر الشّبلىّ الصوفىّ المشهور صاحب الأحوال، و اسمه دلف بن جحدر، و قيل: جعفر بن يونس، و قيل: جعفر بن دلف، و قيل غير ذلك؛ أصله من الشّبليّة، و هى قرية بالعراق، و مولده بسرّمن‌رأى. ولى خاله إمرة الإسكندريّة، و ولّى أبوه حجابة الحجّاب، و ولّى هو حجابة الموفّق وليّ العهد.

و سبب توبته أنه حضر مجلس خير النساج و تاب فيه، و صحب الجنيد و من فى عصره، و صار أحد مشايخ الوقت حالا و قالا فى حال صحوه لا فى حال غيبته؛ و كان فقيها مالكى المذهب، و سمع الحديث، و كان له كلام و عبارات، و مات فى آخر هذه السنة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۹۰

و قد نيّف على الثمانين. قيل: إنّه سأله سائل: هل يتحقّق العارف بما يبدوله؟

فقال: كيف يتحقّق بما لا يثبت! و كيف يطمئن الى ما يظهر! و كيف يأنس بما لا يخفى! فهو الظاهر الباطن؛ ثم أنشأ:

فمن كان فى طول الهوى ذاق سلوة فإنّى من ليلى بها غير واثق

و أكثر شىء نلته من وصالها أمانىّ لم تصدق كلمحة بارق

و له:

تغنّى العود فاشتقنا الى الأحباب إذ غنّى

و كنّا حيثما كانوا و كانوا حيثما كنّا

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو الفضل أحمد ابن عبد اللّه بن نصر بن هلال السّلمىّ، و أبو بكر الصّنوبرىّ الحلبىّ أحمد بن محمد، و الحسين بن يحيى بن عيّاس القطّان، و المستكفى بالله عبد اللّه بن المكتفى خلع فى جمادى الآخرة و سمل و سجن ثم مات بعد أربعة أعوام، و علىّ بن إسحاق المادرانىّ، و أبو الحسن علىّ بن عيسى بن داود بن الجرّاح الوزير، و أبو القاسم عمر بن الحسين الخرقىّ الحنبلىّ صاحب «المختصر»، و أبو علىّ محمد بن سعيد القشيرىّ الحرّانىّ الحافظ، و الإخشيذ محمد بن طغج التركىّ فى ذى الحجة بدمشق عن ستّ و ستين سنة، و القائم بأمر اللّه نزار، و يقال: محمد بن المهدىّ عبيد اللّه، مات بالمهديّة فى شوّال، و أبو بكر الشّبلىّ شيخ الصوفيّة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و عشر أصابع.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و ستّ أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۹۱

ذكر ولاية أنوجور بن الإخشيذ على مصر

هو أنوجور بن الإخشيذ محمد بن جفّ الأمير أبو القاسم الفرغانىّ التركىّ.

و أنوجور اسم أعجمىّ غير كنية، معناه باللغة العربية محمود. ولى مصر بعد وفاة أبيه الإخشيذ فى يوم الجمعة لثمان بقين من ذى

الحجّة سنة أربع و ثلاثين و ثلثمائة؛ ولّاه الخليفة المطيع للّه على مصر و الشام و على كلّ ما كان لأبيه من الولاية؛ فإنّه كان أبوه استخلفه و جعله وليّ عهده؛ فأقرّه الخليفة على ما عهده له أبوه. و لما ثبت أمر أنوجور المذكور صار الخادم كافور الإخشيذيّ مدبّر مملكته، فكان كافور يطلق فى كلّ سنة لابن أستاذه أنوجور هذا أربعمائة ألف دينار، و يتصرّف كافور فيما يبقى. ثم قبض كافور على أبى بكر محمد بن عليّ بن مقاتل صاحب خراج مصر فى يوم ثالث المحرّم سنة خمس و ثلاثين و ثلثمائة، و ولّى مكانه على الخراج محمد بن عليّ الماذرائيّ. و لما تمّ أمر أنوجور بدمشق خرج منها و صحبته الأستاذ كافور الإخشيذى الى مصر؛ فدخلها بعساكره فى أوّل صفر؛ فأقام بها مدّة، ثم خرج منها بعساكره الى الشام أيضا لقتال سيف الدولة عليّ بن عبد اللّه بن حمدان؛ فإنّ سيف الدولة كان بعد خروج أنوجور من دمشق ملكها. و لما خرج أنوجور من مصر الى الشام فى هذه المرّة خرج معه عمّه الحسن بن طغج أخو الإخشيذ، و مدبّر دولته الخادم كافور الإخشيذيّ؛ فخرج سيف الدولة من دمشق و توجّه نحو الديار المصريّة حتّى وصل الى الرّملة؛ فالتقى مع المصريّين؛ فكان بينهم وقعة هائلة انكسر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۹۲

فيها سيف الدولة و انهزم الى السام، فسار المصريّون وراءه فانهزم الى حلب، فساروا خلفه فانهزم الى الرّقّة. و قال المسبّحيّ: كان بين سيف الدولة و بين أبى المظفّر الحسن بن طغج و هو أخو الإخشيذ- قلت: ذكر المسعوديّ الحسن هذا لصغر سنّ أنوجور- وقعة باللّجّون؛ فانكسر سيف الدولة و وصل الى دمشق بعد شدّة و تشتّت؛ و كانت أمّه بدمشق فنزل بالمرج خائفا، و أخرج حواصله، و سار نحو حمص على طريق قارة. و سار أخو الإخشيذ و كافور الإخشيذيّ الى دمشق.

و استقر أمرهم على الصلح، على أن يعود سيف الدولة الى ما كان بيده من حلب و غيرها. و أقرّ أنوجور يأنس المؤنسيّ على عادته فى إمرة دمشق؛ فإنّه كان أولا انهزم من سيف الدولة و سلّمه دمشق بالأمان. و عاد أنوجور و عمّه الحسن بن طغج و كافور الإخشيذيّ الى الديار المصرية سالمين. و لما كان أنوجور بالشام خرج بمصر غلبون متولّى الريف فى جموع و نهب مصر و تغلّب عليها؛ فقدم أنوجور فهرب غلبون من مصر، فتبعه أبو المظفر الحسن بن طغج أخو الإخشيذ حتى ظفر به و قتله.

ثم استوزر أنوجور أبا القاسم جعفر بن الفضل بن الفرات. و دام أنوجور على إمرة مصر سنين الى أن وقع بينه و بين كافور وحشة فى سنة ثلاث و أربعين و ثلثمائة.

و سببها أنّ قوما كلّموا أنوجور و قالوا له: قد احتوى كافور على الأموال و انفرد بتدبير الجيوش، و أخذ أملاك أبيك و أنت معه مقهور، و حملوه على التنكّر؛ فلزم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۹۳

أنوجور الصيد و التباعد فيه الى المحلّة و غيرها و انهمك فى اللهو، ثمّ أجمع على المسير الى الرملة. فأعلمت أمّه كافورا بما عزم عليه ولدها خوفا عليه من كافور. فلمّا علم كافور بذلك راسله، ثم بعثت أمّه إليه تخوّفه الفتنة؛ فاصطلحا و دام الأمر على حاله. و لم يزل أنوجور على إمرة مصر الى أن مات بها فى يوم السبت سابع أو ثامن ذى القعدة سنة تسع و أربعين و ثلثمائة، و حمل الى القدس فدفن عند أبيه الإخشيذ. و كانت مدّة ولايته على مصر أربع عشرة سنة و عشرة أيّام. و لمّا مات أنوجور أقام كافور الإخشيذى أخاه عليّا أبا الحسين بن الإخشيذ مكانه، و أقرّه الخليفة المطيع على إمرة مصر على الجند و الخراج، و أضاف إليه الشام، كما كان لأبيه الإخشيذ و لأخيه أنوجور. و قويت شوكة كافور فى ولاية عليّ هذا أكثر مما كانت فى ولاية أخيه لوجوه عديدة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۵]

السنة الأولى من ولاية أنوجور بن الإخشيذ على مصر، و هى سنة خمس و ثلاثين و ثلثمائة- فيها جدّد معزّ الدولة أحمد بن بويه الأمان

بينه و بين الخليفة المطيع للّه بعد أن انهزم ناصر الدولة بن حمدان فى السنة الماضية من معزّ الدولة المذكور؛ ثم وقع الصلح بينهما على أن يكون لناصر الدولة من تكريت الى الشام.

و فيها استولى ركن الدولة الحسن بن بويه على الرىّ. و فيها أقيمت الدعوة بطرسوس لسيف الدولة علىّ بن عبد اللّه بن حمدان، فنفّذ لهم الخلع و الذهب و نفّذ لهم ثمانين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۹۴

ألف دينار للفداء. و فيها توفّى أحمد بن أبى أحمد [بن القاصّ] أبو العباس الطبرىّ القاضى الفقيه صاحب أبى العباس بن سريج؛ كان إماما فقيها، صنّف فى مذهبه كتاب «المفتاح» و «أدب القاضى» و «المواقيت» و «التلخيص»، و تفقّه عليه أهل طبرستان.

و كانت وفاته بطرسوس. و فيها لم يحجّ أحد من العراق خوفا من القرامطة. و فيها توفّى محمد بن أحمد بن الرّبيع بن سليمان أبو رجاء الفقيه الشافعىّ الشاعر؛ كان فاضلا شاعرا، و له قصيدة ذكر فيها أخبار العالم و قصص الأنبياء؛ و سئل قبل موته: كم بلغت قصيدتك إلى الآن؟ فقال: ثلاثين ألفا و مائة بيت. و فيها توفّى هارون ابن محمد بن هارون بن علىّ بن موسى أبو جعفر الضّبّىّ؛ كان أسلافه ملوك عمان، و كان معظّما عند السلطان، و انتشرت مكارمه و عطاياه، و قصده الشعراء من كلّ مكان، و أنفق أموالا عظيمة فى [برّ] العلماء و الأشراف و [اقتناء] الكتب النفيسة، و كان عارفا بالنحو و اللغة و الشعر و معانى القرآن و الكلام، و كانت داره مجمعا لأهل العلم.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو العباس القاضى صاحب ابن سريج، و أبو عمر حمزة بن القاسم الهاشمىّ، و أبو بكر محمد بن جعفر [الصّيرفىّ] المطيرىّ، و أبو بكر محمد بن يحيى الصّولىّ [الشّطرنجىّ]، و الهيثم بن كليب الشّاشىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۹۵

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و إحدى عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۳؛ ص۲۹۵

لغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و ثمانى أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۶]

السنة الثانية من ولاية أنوجور على مصر، و هى سنة ستّ و ثلاثين و ثلثمائة- فيها خرج الخليفة المطيع و معزّ الدولة أحمد بن بويه إلى البصرة لمحاربة أبى القاسم عبد اللّه بن البريدىّ و سلكوا البرّيّة اليها؛ فلما قاربوها استأمن إلى معزّ الدولة جيش البريدىّ، و هرب هو إلى القرامطة؛ و ملك معزّ الدولة البصرة، و أقطع المطيع فيها من ضياعها. و فيها قدم عماد الدولة علىّ بن بويه إلى الأهواز؛ فبادر أخوه معزّ الدولة أحمد إلى خدمته، و جاء فقبّل الأرض و وقف، و تأدّب معه معزّ الدولة؛ ثم بعد أيّام ودّعه؛ و عاد معزّ الدولة و قد أخذ واسطا و البصرة. و فيها ظفر المنصور العبيدىّ بمخلد بن كيداد و قتل قوّاده و مزّق جيشه. و فيها أغارت الروم على أطراف الشام فسبوا و أسروا، فساق وراءهم سيف الدولة بن حمدان، و لحقهم فقتل منهم مقتلة عظيمة و استردّ ما أخذوا من المسلمين؛ ثم أخذ حصن برزوية من الأكراد بعد أن نازلهم مدّة.

و فيها وردت الأخبار أن نوحا صاحب خراسان أكحل أخويه و عمّه إبراهيم. و فيها توفّى أحمد بن جعفر بن محمد أبو الحسين المعروف بابن المنادىّ البغدادىّ؛ كان إماما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۹۶

محدّثا، سمع الكثير و صنّف كتبا كثيرة. قال أبو يوسف القزوينىّ: صنّف فى علوم القرآن أربعمائة و نيّفا و أربعين كتابا ليس فيها شىء

من الحشو، و جمع فيها حسن العبارة و علوّ الرواية. و فيها توفّى العلّامة أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد اللّه بن العباس ابن محمد بن صول تكين الصّولىّ، الإمام المفتنّ المعروف بالصولىّ الشّطرنجىّ الكاتب، و كان صول من ملوك خراسان و جرجان؛ كان أحد علماء الفنون كالأدب و حسن المعرفة بأيّام الناس و طبقات الشعراء، واسع الرواية كثيرا لحفظ؛ صنّف كتاب "الأوراق "و كتاب" الوزراء "و غيرهما؛ و انتهى إليه علم الهندسة [و] الشّطرنج؛ و نادم جماعة من الخلفاء؛ و كان له نظم رائق؛ من ذلك قوله:

أحببت من أجله من كان يشبهه و كلّ شىء من المعشوق معشوق

حتّى حكيت بجسمى ما بمقلته كأنّ سقمى من جفنيه مسروق

و فيها توفّى محمد بن علىّ بن إسماعيل أبو بكر الشاشىّ القفّال الكبير أحد أئمة الشافعيّة، كان إماما فاضلا، و هو أوّل من صنّف فى الجدل، مات فى صفر؛ قاله العلامة يوسف بن قزأوغلى. و ذكر الذهبىّ وفاته فى سنة خمس و ستين و ثلثمائة، و هو المشهور.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو الحسين أحمد ابن جعفر المنادىّ، و حاجب بن أحمد الطّوسىّ، و أبو العباس محمد بن أحمد بن حمّاد الأثرم، و أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمىّ، و أبو علىّ محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميدانىّ، و أبو طاهر محمد بن الحسين المحمّداباذىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۹۷

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۷]

السنة الثالثة من ولاية أنوجور على مصر، و هى سنة سبع و ثلاثين و ثلثمائة- فيها كان الغرق ببغداد، و زادت دجلة إحدى و عشرين ذراعا، و هرب الناس و وقعت الدّور و مات تحت الرّدم خلق كثير. و فيها دخل بغداد أبو القاسم عبد اللّه ابن البريدىّ بأمان من معزّ الدولة، و أقطعه معزّ الدولة قرى بأعمال بغداد. و فيها اختلف معزّ الدولة أحمد بن بويه و ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان التّغلبىّ، و سار معزّ الدولة الى الموصل، فتأخّر ناصر الدولة الى نصيبين خائفا، ثم صالحه ناصر الدولة فى كلّ سنة على ثمانية آلاف ألف درهم. و فيها خرجت الروم، فتلقّاهم سيف الدولة علىّ بن عبد اللّه بن حمدان التّغلبىّ على مرعش، فهزموه و ملكوا مرعش. و فيها لم يحجّ أحد فى هذه السنة من العراق. و فيها ولى إمرة دمشق أبو المظفّر الحسن بن طغج بن جفّ نيابة لابن أخيه أنوجور بن الإخشيذ؛ و قد وليها مرّة أخرى فى أيّام القاهر من قبل أخيه الإخشيذ محمد بن طغج. و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم أبو محمد المعروف بالبيّع والد الحاكم [أبى عبد اللّه] النّيسابورىّ، صاحب التصانيف. أذّن عبد اللّه هذا بمسجد ثلاثا و ثلاثين سنة، و غزا اثنتين و عشرين غزوة، و أنفق على العلماء و الزهّاد مائة ألف درهم، و كان كثير العبادة، و روى عن مسلم و غيره. و فيها توفّى قدامة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۹۸

ابن جعفر أبو الفرج الكاتب صاحب المصنفات: مثل «كتاب البلدان» و «الخراج» و «صناعة الكتابة» و غيرها، و كان عالما، جالس المبرّد و ثعلبا و غيرهما.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو إسحاق إبراهيم ابن شيبان القرميسينىّ الزاهد، و أبو علىّ محمد بن علىّ بن عمر المذكّر النّيسابورىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۸]

السنة الرابعة من ولاية أنوجور على مصر، و هى سنة ثمان و ثلاثين و ثلثمائة- فيها وصلت تقادم أنوجور بن الإخشيذ عامل مصر صاحب الترجمة، و سأل معزّ الدولة أن يكون أخوه مشاركا له فى إمرة مصر، و يكون من بعده، فأجابه.

و فيها تقلّد أبو السائب عتبة بن عبيد اللّه الهمذانىّ قضاء القضاة ببغداد. و فيها تحرّكت القرامطة، و لم يحجّ أحد فى هذه السنة من العراق. و فيها عمّر المنصور العبيدىّ صاحب بلاد المغرب مدينة المنصوريّة. و فيها ولى إمرة دمشق شعلة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۲۹۹

ابن بدر الإخشيذىّ من قبل صاحب الترجمة، و كان أحد الأبطال الموصوفين بالشجاعة، و فيه ظلم. و فيها توفّى أحمد بن محمد بن علىّ أبو بكر المراغىّ؛ روى عن الربيع بن سليمان أبياتا سمعها من الشافعىّ رضى اللّه عنه، و هى:

شهدت بأنّ اللّه لا ربّ غيره و أشهد أنّ البعث حقّ و أخلص

و أنّ عرا الإيمان قول محسّن و فعل زكىّ قد يزيد و ينقص

و أنّ أبا بكر خليفة ربّه و كان أبو حفص على الخير يحرص

و أشهد ربّى أنّ عثمان فاضل و أنّ عليّا فضله متخصّص

[أئمة قوم نهتدى بهداهم لحا اللّه من إيّاهم يتنقّص]

و فيها توفّى أمير المؤمنين المستكفى باللّه عبد اللّه ابن الخليفة المكتفى باللّه علىّ ابن الخليفة المعتضد باللّه أحمد ابن ولىّ العهد طلحة الموفق ابن الخليفة جعفر المتوكّل الهاشمىّ العباسىّ البغدادىّ، مات معتقلا بعد أن خلع من الخلافة و سمل قبل تاريخه بسنين فى جمادى الآخرة سنة أربع و ثلاثين و ثلثمائة، حسب ما تقدّم ذكره فى محلّه.

و مات برمى الدم، و كان محبوسا بدار معزّ الدولة بن بويه. و مات و له ستّ و أربعون سنة؛ و كان بويع بالخلافة بعد خلع المتقى باللّه و سمله فى سنة ثلاث و ثلاثين و ثلثمائة. و أمّ المستكفى باللّه هذا أمّ ولد تسمّى غصن. و فيها توفّى السلطان عماد الدولة أبو الحسن علىّ بن بويه بن فنّا خسرو الديلمىّ- و قد ذكرنا من أمر بنى بويه و مبدأ ملكهم نبذة فى حوادث سنة اثنتين و عشرين و ثلثمائة- و كان قد ملك جميع بلاد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۰۰

فارس، و كان ملكا عاقلا شجاعا مهيبا، اعتلّ بقرحة فى الكلى أنحلت جسمه، و مات بشيراز و له تسع و خمسون سنة. و أقام الخليفة المطيع للّه مقامه أخاه أبا علىّ الحسن ركن الدولة والد السلطان عضد الدولة بن بويه. و كان معزّ الدولة أحمد بن بويه صاحب أمر الخلافة يومئذ يحبّ أخاه عماد الدولة المتوفّى و يحترمه و يكاتبه بالعبوديّة و يقبّل الأرض بين يديه اذا اجتمعا مع عظم سلطانه، لكونه الأكبر سنّا. و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه بن دينار أبو عبد اللّه الفقيه الزاهد العدل النّيسابورىّ، و كان صالحا عابدا يحجّ دائما، و مات عند منصرفه من الحجّ فى صفر؛ رضى اللّه عنه.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن إسماعيل العلّامة أبو جعفر النحاس المصرىّ النحوىّ، كان من نظراء ابن الأنبارىّ و نفطويه، و له كتاب «إعراب القرآن» و كتاب «المعانى» و كتاب «اشتقاق الأسماء الحسنى »، و مصنّفات كثيرة غير ذلك. و فيها توفّى إبراهيم بن عبد الرزاق بن الحسن أبو إسحاق الأنطاكىّ الفقيه المقرئ؛ قرأ على هارون بن موسى الأخفش و أحمد بن أبى رجاء و غيرهما، و صنّف كتابا فى القراءات الثمان، و سمع الكثير و حدّث.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أحمد بن سليمان ابن زبّان الكندىّ الدّمشقىّ، و أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس، و إبراهيم بن عبد الرزّاق الأنطاكىّ، و أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبى ثابت، و أبو علىّ الحسن بن حبيب الحضائرىّ، و عماد الدولة علىّ بن بويه الدّيلمىّ صاحب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۰۱

بلاد فارس، و كانت أيّامه ستّ عشرة سنة، و أبو الحسن علىّ بن محمد الواعظ المصرىّ، و على بن حمشاد العدل.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۳۹]

السنة الخامسة من ولاية أنوجور على مصر، و هى سنة تسع و ثلاثين و ثلثمائة- فيها غزا سيف الدولة علىّ بن عبد اللّه بن حمدان بلاد الروم فى ثلاثين ألفا، ففتح حصونا و قتل و سبى و غنم؛ فأخذ الروم عليه الدرب عند خروجه فاستولوا على عسكره قتلا و أسرا، و استردّوا جميع ما أخذ لهم، و أخذوا جميع خزائن سيف الدولة، [و نجا] فى عدد يسير. و فيها استولى [منصور بن] قرا تكين على الرّىّ و الجبال و دفع عنها عسكر ركن الدولة. و فيها ردّ الحجر الأسود الى موضعه، بعث به القرمطىّ مع [أبى] محمد بن سنبر الى الخليفة المطيع للّه، و كان بجكم قد دفع فيه قبل تاريخه خمسين ألف دينار و ما أجابوا، و قالوا: أخذناه بأمر و ما نردّه إلا بأمر؛ فلما ردّوه فى هذه السنة قالوا: رددناه بأمر من أخذناه بأمره. و كذبوا؛ فإن اللّه تعالى قال: (وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَ اللَّهُ أَمَرَنا بِها). [فكذّبهم اللّه تعالى بقوله]: (قُلْ إِنَ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۰۲

اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ). و إن عنوا بالأمر القدر فليس ذلك حجّة لهم، فاللّه تعالى قدّر عليهم الضلال و المروق من الدين، و قدّر عليهم أن يدخلهم النار، فلا ينفعهم قولهم: «أخذناه بأمر». و لما أتوا بالحجر الأسود أعطاهم المطيع مالا له جرم؛ و كان الحجر الأسود قد بقى اثنتين و عشرين سنة. و قال المسبّحىّ: و فيها وافى سنبر بن الحسن الى مكّة و معه الحجر الأسود، و أمير مكّة معه. فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر، و عليه ضباب فضّة قد عملت من طوله و عرضه تضبط شقوقا قد حدثت عليه بعد انقلاعه، و أحضر له صانعا معه جصّ يشدّه [به]. فوضع سنبر بن الحسن ابن سنبر الحجر الأسود بيده و شدّه الصانع بالجصّ. و قال لمّا ردّه: أخذناه بقدرة اللّه ورددناه بمشيئته. و فيها توفّى محمد بن أحمد الصّيمرىّ كاتب معزّ الدولة و وزيره، فقلّد مكانه أبا محمد الحسن بن محمد المهلّبىّ. و فيها فى عيد الأضحى قتل الناصر لدين اللّه عبد الرّحمن بن محمد الأموىّ صاحب الأندلس ولده عبد اللّه، و كان قد خاف من خروجه عليه؛ و كان الناصر من كبار العلماء، روى عن محمد بن عبد الملك بن أيمن و قاسم بن أصبغ و له تصانيف: منها مجلّد فى "مناقب بقىّ بن مخلد "رواه عنه مسلمة ابن قاسم. و فيها توفّى عبد الرّحمن بن إسحاق أبو القاسم الزّجّاجىّ النحوىّ من أهل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۰۳

بغداد، و سكن طبريّة و أيلة و حدّث بدمشق و صنّف فى النحو "مختصرا. "و فيها غزا سيف الدولة فى شهر ربيع الأوّل و وافاه عسكر طرسوس فى أربعة آلاف عليهم القاضى أبو الحصين، فسار إلى قيساريّة و فتح عدّة حصون و سبى و قتل، ثم سار إلى سمندو ثم إلى خرشنة يقتل و يسبى، ثم الى صارخة بينها و بين قسطنطينيّة سبعة أيّام. فلمّا نزل عليها واقع الدّمستق مقدّمته فظهرت عليه فلجأ إلى الحصن، و خاف على نفسه؛ ثم جمع و التقى بسيف الدولة، فهزمه اللّه أقبح هزيمة و أسرت بطارقته.

و كانت غزوة مشهورة، و غنم المسلمون مالا يوصف؛ و بقوا فى الغزو أشهرا. و فيها توفّى الخليفة القاهر أبو منصور محمد ابن الخليفة

المعتضد بالله أحمد ابن وليّ العهد أبى أحمد طلحة الموفّق ابن الخليفة المتوكّل جعفر العباسى الهاشمىّ البغدادىّ.

استخلف أوّلا بعد خلع المقتدر بالله جعفر، ثم خلع بعد ثلاثة أيّام، و دام دهرا الى أن بويع ثانيا بالخلافة بعد قتل جعفر المقتدر سنة عشرين و ثلثمائة؛ فأقام فى الخلافة الى أن خلعوه من الخلافة فى جمادى الأولى سنة اثنتين و عشرين و ثلثمائة بالراضى بالله أبى العباس محمد، و سملت عيناه فسالتا على خدّه، و حبسوه مدّة ثم أهملوه و سيّبوه حتّى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۰۴

مات فى هذه السنة فى جمادى الأولى. و كان ربعة أسمر أصهب الشعر طويل الأنف؛ و كان قد افتقر و سأل قبل موته. و هو أوّل خليفة خلع و سمل. و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه بن أحمد أبو عبد اللّه الصّفّار الأصبهانىّ، كان محدّث عصره بخراسان، و كان مجاب الدعوة، أقام أربعين سنة لم يرفع رأسه الى السماء حياء من اللّه تعالى.

و كان يقول: اسم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كاسمى، و اسم أبيه اسم أبى.

و كانت وفاته فى ذى القعدة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى السنة، قال: و فيها توفّى علىّ بن عبد اللّه بن يزيد ابن أبى مطر الإسكندرىّ القاضى و له مائة سنة، و عمر بن الحسن أبو الحسين بن الأشنانىّ القاضى، و أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن أحمد الصفّار الأصبهانىّ، و أبو جعفر محمد بن عمر بن البخترىّ، و أبو نصر الفارابىّ صاحب الفلسفة محمد بن محمد بن طرخان. قلت: يأتى ذكر الفارابىّ أيضا فى هذا الكتاب فى غير هذه السنة على ما ورّخه صاحب المرآة و غيره.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و إصبعان.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۰]

السنة السادسة من ولاية أنوجور على مصر، و هى سنة أربعين و ثلثمائة- فيها قصد صاحب عمان البصرة و ساعده أبو يعقوب القرمطىّ، فسار اليهم أبو محمد [الحسن بن محمد] المهلّبىّ فى الدّيلم و الجند، فالتقوا فهزمهم المهلّبىّ و استباح عسكرهم،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۰۵

و عاد إلى بغداد بالأسارى و الغنائم. و فيها جمع سيف الدولة بن حمدان جيوش الموصل و الجزيرة و الشام و الأعراب و وغل فى بلاد الروم، و قتل و سبى شيئا كثيرا و عاد الى حلب سالما. و فيها قلعت حجبة الكعبة الحجر الأسود الذى نصبه سنبر ابن الحسن صاحب القرمطىّ و جعلوه فى الكعبة، فأحبّوا أن يجعلوا له طوقا من فضّة فيشدّ به كما كان قديما، كما عمله عبد اللّه بن الزبير. و أخذ فى إصلاحه صانعان حاذقان فأحكماه. قال أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعىّ: دخلت الكعبة فيمن دخلها فتأمّلت الحجر فإذا السواد فى رأسه دون سائره و سائره أبيض، و كان طوله، فيما حزرت، مقدار عظم الذراع. قال: و مبلغ ما عليه من الفضّة، فيما قيل، ثلاثة آلاف و سبعمائة و سبعة و تسعون درهما و نصف. و فيها كثرت الزلازل بحلب و العواصم و دامت أربعين يوما و هلك خلق كثير تحت الردم؛ و تهدّم حصن رعبان و دلوك و تلّ حامد، و سقط من سور دلوك ثلاثة أبرجة. و فيها توفّى شيخ الحنفيّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۰۶

بالعراق عبيد اللّه بن الحسين الشيخ أبو الحسن الكرخىّ، سمع ببغداد إسماعيل [بن إسحاق] القاضى و محمد بن عبد اللّه الحضرمىّ مطيّنا، و روى عنه ابن شاهين و عبد اللّه ابن محمد الأكفانىّ القاضى، و كان علّامة كبير الشأن فقيها أديبا بارعا عارفا بالأصول و الفروع، انتهت إليه رياسة السادة الحنفيّة فى زمانه و انتشرت تلامذته فى البلاد؛ و كان عظيم العبادة كثير الصلاة و الصوم صبورا على الفقر و الحاجة ورعا زاهدا صاحب جلالة. قال أبو بكر الخطيب: حدّثنى الصّيمرىّ حدّثنى أبو القاسم بن علّان الواسطىّ، قال: لما

أصاب أبا الحسن الكرخىّ الفالج فى آخر عمره حضرته و حضر أصحابه أبو بكر [الرازىّ و أبو عبد اللّه] الدامغانىّ و أبو علىّ الشاشىّ و أبو عبيد اللّه البصرىّ، فقالوا: هذا مريض يحتاج الى نفقة و علاج، و الشيخ مقلّ؛ فكتبوا الى سيف الدولة بن حمدان؛ فأحسّ أبو الحسن فيما هم فيه فبكى و قال: اللهم لا تجعل رزقى إلّا من حيث عوّدتنى، فمات قبل أن يحمل إليه شىء؛ ثم ورد من سيف الدولة عشرة آلاف درهم فتصدّق بها. توفّى و له ثمانون سنة، و أخذ عنه الفقه الذين ذكرناهم: الدّامغانىّ و الشاشىّ و البصرىّ و الإمام أبو بكر أحمد بن على الرازىّ و أبو القاسم علىّ بن محمد التّنوخىّ. و فيها توفّى أحمد بن محمد بن زيّاد الغنوىّ البصرىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۰۷

الإمام أبو سعيد بن الأعرابىّ نزيل مكّة، كان إماما حافظا ثبتا، سمع الكثير، و روى عنه عالم كثير، و كان كثير العبادة، شيخ الحرم فى وقته علما و زهدا و تسليكا و كان صحب الجنيد و عمرو بن عثمان المكىّ و أبا أحمد القلانسىّ و غيرهم.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو سعيد أحمد ابن محمد بن زياد بن بشر البصرىّ ابن الأعرابىّ، و إبراهيم بن أحمد أبو إسحاق المروزىّ الشافعىّ، و أبو علىّ الحسين بن صفوان البردعىّ، و الكلاباذىّ المعروف بالأستاذ أحد أئمة الخليفة، و الزجاجىّ صاحب «الجمل» أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق، و أبو محمد قاسم بن أصبغ القرطبىّ، و أبو جعفر محمد بن يحيى بن عمر بن علىّ ابن حرب، و أبو الحسن الكرخىّ شيخ حنفيّة العراق عبيد اللّه بن الحسين.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و سبع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۱]

السنة السابعة من ولاية أنوجور على مصر، و هى سنة إحدى و أربعين و ثلثمائة- فيها ظفر الوزير المهلّبىّ بقوم التناسخيّة، و فيهم شاب يزعم أن روح علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه انتقلت فيه، و فيهم امرأة تزعم أن روح فاطمة رضى اللّه عنها انتقلت اليها، و فيهم آخر يزعم أنّه جبريل؛ فضربوا، فتعزّوا بالانتماء لأهل البيت؛ فأمر معزّ الدولة بإطلاقهم لتشيّع كان فيه. قلت: و المشهور عن بنى بويه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۰۸

التشيّع و الرّفض. و فيها أخذت الروم سروج فقتلوا و سبوا و أحرقوا البلد. و فيها حجّ بالناس أحمد بن عمر بن يحيى العلوىّ. و فيها فى آخر شوال توفّى المنصور أبو طاهر إسماعيل بن القائم بأمر اللّه محمد بن عبيد اللّه المهدىّ العبيدىّ الفاطمىّ صاحب المغرب، مات بالمنصورة التى بناها و مصرها، و صلّى عليه ابنه ولىّ عهده أبو تميم معد الملقّب بالمعزّ لدين اللّه؛ و هو الذى تولّى الخلافة بعده. و كان ملكا حادّ الذهن سريع الجواب فصيحا مفوّها يخترع الخطب، عادلا فى الرعيّة، أبطل كثيرا من المظالم مما أحدثه آباؤه؛ و مات و له أربعون سنة، و كانت مدّة مملكته سبعة أعوام و أيّاما؛ و خلّف خمسة بنين و خمس بنات. و قام بعده ابنه المعزّ لدين اللّه فأحسن السّيرة و صفت له المغرب. ثم افتتح المعزّ لدين اللّه مصر و بنى القاهرة؛ على ما يأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى بأطول من هذا فى ترجمة المعزّ المذكور. و فيها توفّى أحمد بن محمد أبو العبّاس الدّينورىّ، كان من أجلّ المشايخ و أحسنهم طريقة، و كان يتكلّم على لسان أهل المعرفة بأحسن كلام. تكلّم يوما فصاحت عجوز فى مجلسه؛ فقال لها: موتى؛ فقامت و خطت خطوات، ثم التفتت إليه و قالت: هأنا قد متّ، و وقعت ميّتة. و كان يقول:

مكاشفات الأعيان بالأبصار، و مكاشفات القلوب بالاتصال. و فيها توفّى الشيخ العابد القدوة أبو الخير التّيناتىّ الأقطع صاحب الكرامات- و تينات: قرية من قرى أنطاكية، و قيل: هى على أميال من المصّيصة- أقام بتينات مدّة سنين، و كان يسمّى الأقطع لأن يده كانت قطعت ظلما فى واقعة جرت له يطول الشرح فى ذكرها. و من كراماته [أن] كانت الوحوش تأنس به رضى اللّه عنه.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۰۹

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی أبو طاهر أحمد بن أحمد بن عمرو المدینیّ، و أبو علیّ إسماعیل بن محمد الصفّار فی المحرّم، و المنصور إسماعیل ابن القائم العبیدیّ الرافضیّ صاحب المغرب، و أبو الطیب محمد بن حمید الحورانیّ، و أبو الحسن محمد بن النّضر الرّبعیّ المقرئ ابن الأخرم.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزیادة ستّ عشرة ذراعا و عشر أصابع سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۲]

السنة الثامنة من ولایة أنوجور علی مصر، و هی سنة اثنتین و أربعین و ثلثمائة- فیها جاء صاحب خراسان ابن محتاج إلی الریّ محاربا لابن بویه و جرت بینهما حروب و عاد إلی خراسان. و فیها عاد سیف الدولة بن حمدان من الروم سالما غانما مؤیّدا، و قد أسر قسطنطین بن الدّمستق ملک الروم، و دخل سیف الدولة حلب و ابن الدمستق بین یدیه، و کان ملیح الصورة، فبقی عنده مکرما حتّی مات. و فیها توفّی القاسم بن [القاسم بن] مهدیّ أبو العباس السیّاریّ، کان من أهل مرو، کتب الحدیث و تفقّه، و کان شیخ أهل مرو و أوّل من تکلّم عندهم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۱۰

فی حقائق الأحوال. و من کلامه: من حفظ قلبه مع اللّه بالصدق أجری اللّه الحکمة علی لسانه. و فیها توفّی أحمد بن إسحاق بن أیّوب بن یزید أبو بکر النّیسابوریّ الفقیه الشافعیّ المعروف بالصّبغیّ، سمع الحدیث و روی عنه جماعة، و کان إماما فقیها عالما عابدا؛ ولد سنة ثمان و خمسین و مائتین، و له تصانیف کثیرة فی عدّة علوم، منها: کتاب «الأسماء و الصفات» و کتاب «الإیمان و القدر» و کتاب «فضائل الخلفاء الأربعة» و عدّة تصانیف أخر. و فیها توفّی الحسن بن طغج بن جفّ الأمیر أبو المظفّر الفرغانیّ الترکیّ أخو الإخشید. ولی إمرة دمشق من قبل أخیه الإخشید مدّة، ثم عزله أخوه الإخشید و ولّی أخاه عبید اللّه بن طغج مکانه. ثم ولی الحسن هذا إمرة دمشق مرّة أخری من قبل ابن أخیه أنوجور صاحب الترجمة، ثم ردّ الی الرملة فمات بها و دفن بالقدس. و کان أمیرا جلیلا شجاعا مقداما، باشر الحروب و ولی الأعمال الجلیلة إلی أن مات. و فیها توفّی عثمان بن محمد بن علیّ أبو الحسین الذهبیّ البغدادیّ، سکن مصر و حدّث بها و بدمشق. و فیها توفّی علیّ بن محمد بن أبی الفهم داود بن إبراهیم بن تمیم أبو القاسم التّنوخیّ، أصله من ملوک تنوخ الأقدمین من ولد قضاعة، ولد بأنطاکیة فی سنة ثمان و سبعین و مائتین، و هو صاحب کتاب «الفرج بعد الشدّة»؛ کان فقیها حنفیّا بارعا فی الفقه و الأصول و النحو، و کان شاعرا فصیحا، و له دیوان شعر. و کانت وفاته بالبصرة فی شهر ربیع الأول. و من شعره فی ملیح دخل الحمّام:

رأیت فی الحمّام بدر الدّجی و شعره الأسود محلول

قد عمّموه بدجی شعره و نقّطوا الفضّة باللول

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۱۱

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی أبو بکر أحمد بن إسحاق بن أیّوب الصبغیّ الشافعیّ، و أحمد بن عبد الأسد الجذامیّ، و إبراهیم بن المولد الزاهد، و الحسن بن یعقوب أبو الفضل البخاریّ، و عبد الرّحمن بن حمدان الهمذانیّ الجلّاب، و أبو الحسن محمد بن أحمد الأسواریّ الأصبهانیّ، و محمد بن داود بن سلیمان النّیسابوریّ الحافظ الزاهد.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربع أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۳]

السنة التاسعة من ولاية أنوجور على مصر، و هى سنة ثلاث و أربعين و ثلثمائة- فيها خطب أبو علىّ بن محتاج الى المطيع بخراسان و لم يكن خطب له قبل ذلك، فبعث إليه المطيع بالخلع و اللواء. و فيها مرض معزّ الدولة أحمد بن بويه بعلّة الإنطاظ الدائم و أرجف بموته و اضطربت بغداد، فركب معزّ الدولة بكلفة لتسكين الناس. و فيها كانت وقعة عظيمة بين سيف الدولة بن حمدان و بين الدّمستق، و كان الدمستق قد جمع أمما من الترك و الروس و الخزر، فكانت الدائرة عليه و للّه الحمد، و قتل معظم بطارقته، و هرب هو و أسر صهره و جماعة من بطارقته؛ و أمّا القتلى فلا يحصون؛ و غنم سيف الدولة عسكرهم بما فيه. و فيها توفّى الأمير نوح بن نصر السامانىّ عامل بخارى فى جمادى الأولى. و أظنّ أن نوحا هذا من ذرّية نوح عامل بخارى فى زمن المأمون، الذى أهدى إليه طولون والد أحمد، و هذا أهداه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۱۲

الى الخليفة عبد اللّه المأمون. و فيها توفّى خيثمة بن سليمان بن حيدرة الحافظ أبو الحسن القرشىّ الأطرابلسىّ أحد الحفّاظ الثّقات المشهورين، و مولده سنة خمسين و مائتين، و قيل غير ذلك؛ و مات فى ذى القعدة من هذه السنة. و فيها توفّى محمد بن العبّاس بن الوليد القاضى أبو الحسين البغدادىّ، كان فاضلا بارعا، مات ببغداد فى شوّال، و كان ثقة صدوقا.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أحمد ابن الزاهد أبى عثمان سعيد بن إسماعيل الحيرىّ، و خيثمة بن سليمان الأطرابلسىّ، و علىّ بن الفضل [بن إدريس] السامرىّ، و أبو الحسن علىّ بن محمد [بن محمد] بن عقبة الشّيبانىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و سبع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۴]

السنة العاشرة من ولاية أنوجور على مصر، و هى سنة أربع و أربعين و ثلثمائة- فيها تحرّك ابن محتاج صاحب خراسان على ركن الدولة الحسن بن بويه، فنجده أخوه معزّ الدولة بجيش من العراق. و فيها فى المحرّم عقد معزّ الدولة بن بويه إمرة الأمراء لابنه أبى منصور بختيار. و فيها دخل [محمد] بن ما كان الديلمىّ أحد قوّاد صاحب خراسان الى أصبهان، فخرج عن أصبهان أبو منصور بن ركن الدولة، فتبعه ابن ما كان، فأخذ خزائنه؛ و عارضه أبو الفضل بن العميد وزير ركن الدولة و معه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۱۳

القرامطة، فأوقعوا به و أثخنوه بالجراح و أسروا قوّاده، و سار ابن العميد الى أصبهان.

و فيها وقع و باء عظيم بالرّىّ، و كان الأمير أبو علىّ بن محتاج صاحب خراسان قد نزلها فمات فى الوباء. و فيها فلج أبو الحسين علىّ بن أبى علىّ بن مقلة و أسكت و له تسع و ثلاثون سنة. و فيها زلزلت مصر زلزلة عظيمة هدمت البيوت و دامت مقدار ثلاث ساعات زمانيّة، و فزع الناس الى اللّه تعالى بالدعاء. و فيها توفّى محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر أبو بكر بن الحدّاد الكنانىّ المصرىّ الفقيه الشافعىّ شيخ المصريّين، ولد يوم وفاة المزنىّ، و كان إماما فقيها له وجه فى مذهب الشافعىّ رضى اللّه عنه. و فيها توفّى شعلة بن بدر الأمير أبو العباس الإخشيذىّ، ولى إمرة دمشق من قبل أبى القاسم أنوجو بن الإخشيذ، و كان شجاعا بطلا قتل فى طبريّة فى حرب كان بينه و بين مهلهل العقيلى. و فيها توفى محمد بن يعقوب بن يوسف الحافظ أبو عبد اللّه الشّيبانىّ النّيسابورىّ ابن الأخرم، و يعرف أبوه

بابن الكرمانىّ. قال الحاكم: كان أبو عبد اللّه صدرا من أهل الحديث ببلادنا بعد أبى حامد بن الشّرقىّ، و كان يحفظ و يفهم، و صنّف على صحيح البخارىّ و مسلم، و صنّف المسند الكبير؛ و سأله أبو العباس بن السراج أن يخرّج له على صحيح مسلم ففعل ذلك. و فيها حجّ الناس من غير أمير. و فيها توفّى محمد بن محمد بن يوسف بن الحجّاج الشيخ أبو النّضر الطّوسىّ الزاهد العابد، كان يصوم النهار و يقوم الليل و يتصدّق بالفاضل من قوته،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۱۴

و رحل [الى] البلاد فى طلب الحديث و سمع الكثير، و كان يجزّئ الليل ثلاثة أجزاء: جزءا لقراءة القرآن، و جزءا للتصنيف، و جزءا يستريح فيه.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو الحسين أحمد ابن عثمان بن بويان المقرئ، و أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن هاشم الأذرعىّ، و أبو عمرو عثمان بن أحمد الدقّاق بن السّماك فى [شهر] ربيع الأول، و أبو بكر بن الحدّاد الكنانىّ محمد بن أحمد شيخ الشافعيّة بمصر و له نحو ثمانين سنة، و أبو النّضر محمد بن محمد بن يوسف الطّوسىّ الفقيه فى شعبان، و أبو عبد اللّه محمد بن يعقوب بن الأخرم الحافظ، و أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد اللّه العنبرىّ الحافظ المفسّر الأديب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ستّ أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۵]

السنة الحادية عشرة من ولاية أنوجور على مصر، و هى سنة خمس و أربعين و ثلثمائة- فيها أوقع الروم بأهل طرسوس و قتلوا و سبوا و أحرقوا قراها. و فيها زاد السلطان معزّ الدولة فى إقطاع الوزير أبى محمد المهلّبىّ و عظم قدره عنده. و فيها خرج روزبهان الدّيلمىّ على معز الدولة، فسيّر معزّ الدولة لقتاله الوزير المهلّبىّ؛ فلمّا كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۱۵

المهلّبىّ بقرب الأهواز تسلّل رجال المهلّبىّ إلى روزبهان؛ فانحاز المهلّبىّ بمن معه الى حصن. فخرج معزّ الدولة بنفسه لقتال روزبهان المذكور، و انحدر معه الخليفة المطيع للّه، فقاتله حتى ظفر به فى المصافّ و فيه ضربات، و أسر قوّاده. و قدم معزّ الدولة بغداد و روزبهان بين يديه على جمل، ثم غرّق. و فيها غزا سيف الدولة بلاد الروم و افتتح حصونا و سبى و غنم و عاد الى حلب؛ ثم أغارت الروم على نواحى ميّافارقين. و فيها توفّيت أمّ المطيع بعلّة الاستسقاء، و خرج المطيع فى جنازتها فى وجوه دولته و عظم عليه مصابها؛ و كانت تسمّى مشعلة. و فيها توفّى على بن إبراهيم بن سلمة بن بحر أبو الحسن القزوينىّ الحافظ القطّان. قال الخليلىّ: كان عالما بجميع العلوم و التفسير و الفقه و النحو و اللغة، ارتحل و سمع أبا حاتم الرازىّ، و إبراهيم [بن الحسين بن ديزيل بن سيفنّة]، و محمد بن الفرج الأزرق، و خلقا سواهم؛ و انتهت اليه رياسة العلم و علوّ السند بتلك الديار. و مولده سنة أربع و خمسين و مائتين، و روى عنه خلائق كثيرة. قال ابن فارس فى بعض أماليه: سمعت أبا الحسن القطّان يقول: بعد ما علّمت سنة كنت حين رحلت أحفظ مائة ألف حديث، و أنا اليوم لا أقوم على حفظ مائة حديث. و فيها توفّى علىّ بن الحسين بن على الشيخ الإمام المؤرّخ العلامة أبو الحسن المسعودىّ صاحب التاريخ المسمّى «بمروج الذهب» قيل: إنه من ذرّيّة ابن مسعود، و كان أصله من بغداد ثم أقام بمصر الى أن مات بها فى جمادى الآخرة. قاله المسبّحىّ فى تاريخه: و كان أخباريا علّامة صاحب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۱۶

غرائب و ملح و نوادر و له عدّة مصنّفات: التاريخ المقدّم ذكره و هو غاية فى معناه، و كتاب «تحف الأشراف و الملوك» و كتاب

«ذخائر العلوم» و «كتاب الرسائل »، و كتاب «الاستذكار لما مرّ فى سالف الأعصار» و كتاب «المقالات فى أصول الديانات» و كتاب «أخبار الخوارج» و غير ذلك؛ و مات قبل أن يطول عمره. قال الذهبىّ و كان معتزليّا، فإنّه ذكر غير واحد من المعتزلة و يقول فيه: «كان من أهل العدل». و له رحلة الى البصرة التى فيها أبو خليفة. و فيها توفّى محمد بن عبد الواحد ابن أبى هاشم أبو عمر الزاهد الصالح، ولد سنة إحدى و ستين و مائتين، و كان بارعا فى العربيّة و النحو و اللغة عابدا غزير العلم.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى أبو بكر أحمد بن سليمان ابن أيّوب العبّادانىّ و له سبع و تسعون سنة، و أبو [بكر] أحمد بن عثمان بن غلام السبّاك المقرئ، و إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البزّاز بمصر، و أبو أحمد بكر بن محمد بن حمدان المروزىّ الصّيرفىّ، و أبو على الحسن بن [الحسين بن] أبى هريرة شيخ الشافعيّة ببغداد، و أبو عمرو عثمان بن محمد بن أحمد السّمرقندىّ، و أبو الحسن على بن إبراهيم بن سلمة القزوينىّ القطّان الزاهد؛ و له إحدى و تسعون سنة، و أبو عمر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۱۷

الزاهد غلام ثعلب و اسمه محمد بن عبد الواحد اللغوىّ، و أبو بكر محمد بن علىّ بن أحمد بن رستم الماذرائىّ بمصر، و له ثمان و ثمانون سنة، و أبو بكر مكرم بن أحمد القاضى، و المسعودىّ صاحب مروج الذهب فى جمادى الآخرة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و سبع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۶]

السنة الثانية عشرة من ولاية أنوجور على مصر، و هى سنة ستّ و أربعين و ثلثمائة- فيها كان بالرىّ و نواحيها زلازل عظيمة خارجة عن الحدّ، ثم خسف ببلاد الطّالقان فى ذى الحجّة فلم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلا، و خسف بمائة و خمسين قرية من قرى الرّىّ؛ و اتصل الخسف الى حلوان، فخسف بأكثرها.

و قذفت الأرض عظام الموتى و تفجّرت منها المياه، و تقطّع بالرّىّ جبل، و علّقت قرية بين السماء و الأرض بمن فيها نصف نهار ثم خسف بها؛ و انخرقت الأرض خروقا عظيمة و خرج منها مياه نتنة و دخان عظيم. هكذا نقل الحافظ أبو الفرج ابن الجوزىّ فى تاريخه. و فيها نقص البحر ثمانين ذراعا و ظهر فيه جبال و جزائر و أشياء لم تعدّ. قلت: لعلّه البحر المالح، و اللّه أعلم. و فيها توفّى محمد بن يعقوب ابن يوسف بن معقل بن سنان الحافظ أبو العبّاس الأموىّ النّيسابورىّ مولى بنى أمية المعروف بالأصمّ، صمّ بعد أن رحل الى البلاد و سمع الحديث، كان إماما محدّث عصره بلا مدافعة، حدّث ستّا و سبعين سنة، لأنّ مولده سنة سبع و أربعين و مائتين، و مات فى شهر ربيع الاخر و له تسع و تسعون سنة، و قد انتهت إليه رياسة أهل الحديث بخراسان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۱۸

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو الحسن أحمد ابن مهران السّيرافىّ، و أحمد بن جعفر [بن أحمد] بن معبد السّمسار، و أحمد ابن محمد بن عبدوس، و سعيد بن فحلون البيرىّ الأندلسىّ آخر أصحاب يوسف [بن يحيى] المغامىّ، و عبد اللّه بن جعفر بن أحمد بن فارس، و أبو الحسين عبد الصمد ابن على الطّستىّ، و أبو يعلى عبد المؤمن بن خلف النّسفىّ، و أبو العبّاس محمد [بن أحمد] ابن محبوب المروزىّ، و أبو بكر محمد بن بكر بن محمد [بن عبد الرّزاق] بن داسة، و أبو منصور محمد بن القاسم العتكىّ، و أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد اللّه بن خالد البغدادىّ بما وراء النهر، و أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الأصمّ فى شهر ربيع الآخر و له تسع و تسعون سنة، و أبو الحزم وهب بن مسرّة التّميمىّ الحجارىّ الأندلسىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و أربع أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۱۹

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۷]

السنة الثالثة عشرة من ولاية أنوجور على مصر، و هى سنة سبع و أربعين و ثلثمائة- فيها عادت الزّلازل بحلوان و قمّ و الجبال فقتلت خلقا عظيما و هدمت [حصونا]، ثم جاء بعد ذلك جراد طبّق الدنيا، فأتى على جميع الغلّات و الأشجار. و فيها فى شهر ربيع الأول خرجت الروم إلى آمد و أرزن و ميّافارقين ففتحوا حصونا كثيرة و قتلوا خلائق كثيرة و هدموا سميساط. و فيها فى شهر ربيع الآخر شغبت الترك و الدّيلم بالموصل على ناصر الدولة بن حمدان و أحاطوا بداره؛ فحاربهم بغلمانه و العامّة، فظفر بهم فقتل جماعة و أمسك جماعة، و هرب أكثرهم الى بغداد. و فيها فى شعبان كانت وقعة عظيمة بنواحى حلب بين الروم و سيف الدولة علىّ بن عبد اللّه بن حمدان، و انكسر سيف الدولة و قتلوا معظم رجاله و غلمانه و أسروا أهله، و هرب فى عدد يسير.

و فيها سار معزّ الدولة بن بويه إلى الموصل فدخلها، فنزح عنها ناصر الدولة بن حمدان المقدّم ذكره و توجّه إلى نصيبين، فسار معزّ الدولة وراءه إلى نصيبين، و خلّف على الموصل سبكتكين الحاجب و نزل على نصيبين؛ فسار ناصر الدولة بن حمدان إلى ميّافارقين بعد أن استأمن معظم عسكره إلى معزّ الدولة؛ فهرب ناصر الدولة إلى حلب مستجيرا بأخيه سيف الدولة؛ فأكرم سيف الدولة مورده و بالغ فى خدمته. و جرت فصول إلى أن قدم فى الرسالة أبو محمد القاضى بكتاب سيف الدولة إلى الموصل و تقرّر الأمر على أن يكون الموصل و ديار ربيعة و الرّحبة لسيف الدولة على مال يحمله فى كلّ سنة، لأن معزّ الدولة لم يثق بناصر الدولة، فإنّه غدر به مرارا و منعه الحمل، فقال معزّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۲۰

الدولة المذكور: أنت عندى ثقة، غير أنّه يقدّم لى ألف ألف درهم. ثم انحدر معز الدولة إلى بغداد، و تأخّر الوزير المهلّبىّ و سبكتكين الحاجب الموصل إلى أن يحمل ناصر الدولة مال التعجيل. و فيها توفّى قاضى دمشق أبو الحسن أحمد بن سليمان ابن أيّوب بن حذلم الأسدىّ الأوزاعىّ المذهب، كان إماما عالما فقيها على مذهب الأوزاعىّ، و كان له حلقة بالجامع. و فيها توفّى علىّ بن أحمد بن سهل، و يقال:

علىّ بن إبراهيم، أبو الحسن البوشنجىّ الزاهد شيخ الصوفيّة، صحب أبا عمرو الدمشقى و أبا العبّاس بن عطاء، و سمع بهراة من محمد بن عبد الرّحمن الشامىّ و الحسين ابن إدريس، و روى عنه أبو عبد اللّه الحاكم و أبو الحسن العلوىّ و عبد اللّه بن يوسف الأصبهانىّ. قال السّلمىّ: هو أحد أئمّة خراسان و له معرفة بعلوم عديدة. و كان أكثر الخراسانيّين تلامذته؛ و كان عارفا بعلوم القوم. قال الحاكم: و سمعته يقول و سئل ما التوحيد، قال: ألّا تشبّه الذات، و لا تنفى الصفات. و فيها توفّى محمد بن الحسن بن عبد اللّه [بن علىّ] بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب أبو الحسن القرشىّ الأموىّ القاضى، ولى القضاء بمدينة السلام، ثم ولى أعمالا كثيرة فى أيّام المطيع، ثم صرف عن الجميع؛ و كان جوادا واسع الأخلاق كريما مع قبح سيرة فى الأحكام. و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه بن جعفر بن عبد اللّه بن الجنيد أبو الحسين الرازىّ الحافظ، كان عالما فاضلا زاهدا ثقة صدوقا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۲۱

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى القاضى أبو الحسن أحمد بن سليمان بن أيّوب بن حذلم الأسدىّ الأوزاعىّ المذهب. قلت: و قد تقدّم ذكره. قال: و أبو أحمد حمزة [بن محمد] بن العبّاس، و الزبير بن عبد الواحد الأسداباذىّ، و عبد اللّه بن جعفر درستويه النحوىّ، و أبو الميمون عبد الرّحمن ابن عبد اللّه بن عمر بن راشد البجلىّ، و الحافظ المؤرخ أبو سعيد عبد الرّحمن بن أحمد ابن يونس بن عبد الأعلى و له ستّ و ستون سنة، و أبو الحسن علىّ بن عبد الرّحمن ابن عيسى بن زيد بن مانى الكوفى الكاتب، و محمد بن أحمد بن الحسن الكسائىّ الأصبهانىّ، و محمد بن عبد اللّه بن جعفر أبو الحسين الرازى بدمشق، و أبو علىّ

محمد ابن القاسم بن معروف الدّمشقى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و خمس أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۸]

السنة الرابعة عشرة من ولاية أنوجور على مصر، و هى سنة ثمان و أربعين و ثلثمائة- فيها خلع الخليفة المطيع على بختيار بن معزّ الدولة خلعة السلطنة، و عقد له لواء و لقّبه «عزّ الدولة أمير الأمراء». و فيها خرج محمد بن ناصر الدولة بن حمدان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۲۲

فى سريّة نحو بلاد الروم، و كانت الروم قد وصلوا إلى الرّها و حران فأسروا أبا الهيثم ابن القاضى أبى الحصين، و سبوا و قتلوا. و فيها فى سابع ذى القعدة غرق من الحجّاج الواردين من الموصل إلى بغداد فى دجلة بضعة [عشر زورقا] فيها من الرجال و النساء نحو ستمائة نفس. و فيها مات ملك الروم و طاغيتهم الأكبر بالقسطنطينيّة و أقعد ابنه مكانه، ثم قتل و نصب فى الملك غيره. و فيها وصلت الروم الى طرسوس، فقتلوا جماعة و فتحوا حصن الهارونيّة و خرّبوا الحصن المذكور و قتلوا أهله، ثم كرّت الروم الى ديار بكر و وصلوا ميافارقين؛ فعمل فى ذلك الخطيب عبد الرّحيم بن نباتة الخطب الجهاديّة. و فيها هرب عبد الواحد ابن الخليفة المطيع للّه من بغداد الى دمشق. و فيها توفّى الوزير عبد الرّحمن بن عيسى بن داود بن الجرّاح. و فيها توفّى الشيخ أبو بكر أحمد ابن سليمان الفقيه النّجّاد شيخ الحنابلة؛ كان إماما عالما فقيها، مات فى ذى الحجّة و له خمس و تسعون سنة. و فيها توفّى جعفر بن محمد بن نصير الخلدىّ الزاهد المحدّث أبو محمد الخوّاص فى شهر رمضان عن خمس و تسعين سنة و له ستّ و خمسون حجّة؛ صحب الجنيد و إليه كان منتميا و كان المرجع إليه فى علوم القوم؛ حجّ قريبا من ستّين حجة. قال: ما حججت إلّا على التوكّل، و كانت الأعطية حولى كثيرة. و فيها توفّى أبو بكر محمد بن جعفر الأدمىّ المحدّث القارئ كان فاضلا محدّثا مقرئا. و فيها توفّى جعفر بن حرب الوزير، كان جليل القدر يتقلّد كبار الأعمال؛ فاجتاز يوما بموكبه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۲۳

فسمع قارئا يقرأ: (أَ لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَ ما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ)، فصاح: بلى! و اللّه قد آن؛ و نزل عن دابّته و دخل الماء و لم يخرج منه حتّى فرّق جميع أمواله، و بقى فى الماء حتّى أعطاه رجل قميصا فلبسه و خرج إلى المسجد و لزم العبادة حتى مات.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۴۹]

اشارة

السنة الخامسة عشرة من ولاية أنوجور على مصر، و هى سنة تسع و أربعين و ثلثمائة، و هى السنة التى مات فيها أنوجور صاحب الترجمة كما تقدّم ذكره- فيها أوقع نجا غلام سيف الدولة بن حمدان بالروم فقتل و سبى و أسر. و فيها جرت وقعة هائلة ببغداد فى شعبان بين السّنيّة و الشّيعة، و تعطّلت الصلوات فى الجوامع سوى جامع براثا الذى يأوى إليه الرافضة. و كان جماعة بنى هاشم قد

أثاروا الفتنة؛ فاعتقلهم معزّ الدولة بن بويه فسكنت الفتنة. و فيها ظهر ابن لعيسى بن المكتفى بالله بناحية أرمينية و تلقّب بالمستجير بالله، يدعو إلى الرّضى من آل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و لبس الصوف و أمر بالمعروف، و مضى إلى جبال الديلم فاستنصر بهم؛ فخرج معه جماعة منهم و ساروا إلى أذربيجان، فاستولى المستجير بالله على عدّة بلدان؛ و بعض البلاد التى استولى عليها كانت فى يد سلار الدّيلمىّ، فسار سلار فهزمه، و يقال: قتله، لأنه لم يظهر له حسّ بعد ذلك. و فيها فى شوال عرض للسلطان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۲۴

معزّ الدولة أحمد بن بويه مرض كلاه فبال الدم، ثم احتبس بوله، ثم رمى حصى صغارا و رملا و أرجفوا بموته. و فيها جمع سيف الدولة بن حمدان جموعا كثيرة و غزا بلاد الروم فقتل و أسر و سبى، فسارت الروم و كثروا عليه، فعاد فى ثلثمائة من خواصّه، و ذهب جميع ما كان معه و قتل أعيان قوّاده، و خرج من ناحية طرسوس. و فيها مات أحمد بن محمد بن ثوابة كاتب ديوان الرسائل لمعزّ الدولة؛ فقلّد معزّ الدولة مكانه أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ. و فيها أسلم من الترك مائتا الف خركاه، كذا ذكر أبو المظفّر سبط بن الجوزىّ. و فيها بذل القاضى الحسين بن محمد الهاشمىّ مائتى ألف درهم على أن يقلّد قضاء البصرة، فأخذ منه المال و لم يقلّد. قلت: يرحم اللّه من فعل معه ذلك و خاتله، و يرحم من يقتدى بفعله مع كلّ من يسعى فى القضاء بالبذل و البرطيل. و فيها توفّى الإمام أبو الوليد حسّان بن محمد الفقيه شيخ أهل الحديث و الفقه بخراسان عن اثنتين و ثمانين سنة. و فيها توفّى الحسين بن علىّ بن يزيد ابن داود الحافظ أبو علىّ النيسابورىّ. قال الحاكم: هو واحد عصره فى الحفظ و الإتقان و الورع و المذاكرة و التصنيف، و مولده فى سنة سبع و سبعين و مائتين، و أوّل سماعه سنة أربع و تسعين و مائتين؛ و مات فى جمادى الأولى. قال أبو عبد الرّحمن السّلمىّ: سألت الدارقطنىّ عن أبى علىّ النيسابورىّ فقال: إمام مهذّب. و فيها توفّى محمد بن جعفر [بن محمد] بن فضالة الأدمىّ القارئ صاحب الألحان، كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن يسمع صوته من فرسخ. قال محمد [بن عبد اللّه]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۲۵

الأسدىّ، حججت أنا و أبو القاسم البغوىّ و أبو بكر الأدمىّ، فلما صرنا بالمدينة وجدنا ضريرا قائما يروى أحاديث موضوعة؛ فقال بعضنا: ننكر عليه؛ فقال الأدمىّ: تثور علينا العامّة و لكن اصبروا و شرع يقرأ، فما هو إلّا أن أخذ يقرأ فانفضت العامة عن الضرير و جاءوا إليه، و سكت الضرير و كفى أمره.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو الحسين أحمد ابن عثمان الأدمىّ [العطشى]. و أبو الفوارس الصابونىّ أحمد بن محمد بن الحسين فى شوال و له خمس و مائة سنة، و أبو الوليد حسّان بن محمد الفقيه شيخ خراسان، و الحسين بن علىّ بن يزيد النّيسابورىّ الحافظ، و عبد اللّه بن إسحاق بن إبراهيم الخراسانىّ، و عبد اللّه بن محمد بن موسى الكعبىّ النيسابورىّ، و أبو طاهر عبد الواحد ابن عمر [بن محمد] بن أبى هاشم شيخ القرّاء ببغداد، و القاضى أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم العسّال فى رمضان، و أبو بكر محمد بن عبد اللّه بن عمرويه الصفّار.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و تسع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء.

ذكر ولاية علىّ بن الإخشيذ على مصر

هو علىّ بن الإخشيذ محمد بن طغج بن جفّ الأمير أبو الحسن الفرغانىّ التركىّ.

ولى سلطنة مصر بعد موت أخيه أنوجور بن الإخشيذ محمد فى يوم السبت عشرين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۲۶

ذى القعدة سنة تسع و أربعين و ثلثمائة. أقامه خادمه كافور الإخشيذىّ الخصىّ فى مملكة مصر باتفاق حواشى والده و الجند، و أقرّه

الخليفة المطيع للّه على ذلك. و صار كافور الإخشيذىّ هو القائم بتدبير مملكته و المتصرّف فيها كما كان أيّام أخيه أنوجور. و جمع له الخليفة جميع ما كان لأبيه و أخيه من أعمال الديار المصريّة و الممالك الشاميّة و الثغور و الحرمين الشريفين. و أطلق كافور لعلىّ هذا فى السنة ما كان يطلقه لأخيه أنوجور؛ و هو فى كلّ سنة أربعمائة ألف دينار. و قويت شوكة كافور بعد موت أنوجور و تولية علىّ هذا أعظم مما كانت أيّام أنوجور. و مولد علىّ المذكور (أعنى صاحب الترجمة) لأربع بقين من صفر سنة ستّ و ثلثمائة. و دام علىّ هذا فى الملك، و له الاسم فقط و المعنى لكافور، إلى سنة إحدى و خمسين و ثلثمائة. [و] وقع بمصر الغلاء و اضطربت أمور الديار المصريّة و الإسكندرية بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميّين الواردين إليها من المغرب، و تزايد الغلاء [و عزّ وجود القمح]. ثم قدم القرمطىّ الى الشام فى سنة اثنتين و خمسين و ثلثمائة و وقع له بها أمور، و عجز المصريّون عن دفعه عنها لشغلهم بالغلاء و المغاربة الفاطميّين. و مع هذا قلّ ماء النيل فى هذه السنين فارتفعت الأسعار أكثر مما كانت عليه؛ و وهنت ضياع مصر و قراها من عدم زيادة النيل، و عظم الغلاء و كثرت الفتن؛ و سار ملك النوبة إلى أسوان و وصل الى إخميم و قتل و نهب و سبى و أحرق. و عظم اضطراب أعمال الديار المصريّة قبليّها و بحريّها. ثم فسد ما بين علىّ بن الإخشيذ صاحب مصر و بين مدبّر مملكته كافور الإخشيذىّ، و منع كافور الناس من الاجتماع به، حتّى اعتل علىّ المذكور بعلّة أخيه أنوجور و مات لإحدى عشرة خلت من المحرّم سنة خمس و خمسين و ثلثمائة، و حمل الى المقدس و دفن عند أبيه الإخشيذ و أخيه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۲۷

أنوجور. و بقيت مصر من بعده أيّاما بغير أمير، و كافور يدبّر أمرها على عادته فى أيّام أولاد الإخشيذ و معه أبو الفضل جعفر بن الفرات. ثم ولى كافور إمرة مصر باتفاق أعيان الديار المصريّة و جندها. و كانت مدّة سلطنة علىّ بن الإخشيذ المذكور على مصر خمس سنين و شهرين و يومين.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۰]

السنة الأولى من ولاية علىّ بن الإخشيذ على مصر، و هى سنة خمسين و ثلثمائة.

أعنى بذلك أنّه ولى فى ذى القعدة سنة تسع و أربعين و ثلثمائة. و قد ذكرنا تلك السنة فى أيّام أخيه أنوجور، فلذلك ذكرنا أن سنة خمسين و ثلثمائة أوّل السنين لعلىّ هذا على مصر بهذا المقتضى- فيها (أعنى سنة خمسين و ثلثمائة) دخل غلام سيف الدولة بن حمدان الى بلاد الروم و سبى ألف نفس و غنم أموالا كثيرة.

و فيها أخذ ملك الروم أرمانوس بن قسطنطين من المسلمين جزيرة أقريطش من بلاد المغرب. و كان الذى افتتح أقريطش عمر بن شعيب، غزاها و افتتحها فى حدود سنة ثلاثين و مائتين، و صارت فى يد أولاده إلى هذا الوقت. و فيها شرع معزّ الدولة بن بويه فى بناء دار هائلة عظيمة ببغداد و أخرب لأجلها دورا و قصورا، و قلع أبواب الحديد التى كانت على أبواب مدينة المنصور، و ألزم الناس ببيع أملاكهم ليدخلها فى البناء، و نزل فى الأساسات ستّا و ثلاثين ذراعا، فلزمه من الغرامات عليها الى أن مات ثلاثة عشر ألف ألف درهم، و صادر الدواوين و غيرها، و جعل كلّما حصّل له شىء أخرجه فى بنائها. و قد درست هذه الدار من قبل سنة ستمائة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۲۸

و لم يبق لها أثر، و بقى مكانها دحلة تأوى اليها الوحوش، و بقى شىء من الأساس يعتبر به من يراه. قلت: دار الظالم خراب و لو بعد حين. و فيها قلّد قضاء القضاة أبو العباس عبد اللّه بن الحسن بن أبى الشوارب، و ركب بالخلع من دار معزّ الدولة و بين يديه الدبادب و البوقات و فى خدمته الجيش؛ و شرط على نفسه أن يحمل كلّ سنة الى خزانة معزّ الدولة مائتى ألف درهم، و كتب عليه بذلك سجلّا. فانظر الى هذه المصيبة!. و امتنع المطيع من تقليده و من دخوله عليه، و أمر ألا يمكّن من الدخول عليه أبدا. و فيها أيضا ضمّن

معزّ الدولة الحسبة و الشرطة ببغداد.

و فيها فى شعبان توفّى بمصر متولّى خراجها أبو بكر محمد بن على بن مقاتل، فوجدوا فى داره ثلثمائة ألف دينار مدفونة. و فيها توفّى الحسين بن القاسم الإمام أبو علىّ الطبرىّ الشافعىّ الفقيه مصنّف «المحرّر»، و هو أوّل كتاب صنّف فى الخلاف؛ كان إماما عالما بارعا فى عدّة فنون. و فيها توفّى الأمير عبد الملك بن نوح السامانىّ صاحب بلاد خراسان و غيرها، تقطّر به فرسه فحمل ميّتا، و نصبوا مكانه أخاه منصور ابن نوح السامانىّ، و أرسل إليه الخليفة المطيع للّه بالخلع و التقليد. و فيها توفّى محدّث بغداد الحافظ أبو سهل أحمد بن محمد بن [عبد اللّه بن] زياد القطّان فى شعبان، كان إماما ورعا صوّاما قوّاما، سمع الحديث و روى الكثير، و مات و له إحدى و تسعون سنة. و فيها توفّى إسماعيل بن علىّ بن إسماعيل الشيخ أبو محمد الخطبىّ، كان إماما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۲۹

عالما أخباريّا محدّثا، كان يرتجل الخطب و يخطب بها. و فيها توفّى محمد بن أحمد بن يوسف أبو الطيّب المقرئ، و يعرف بغلام ابن شنّبود- و قد تقدّم ذكر ابن شنبود فى محلّه- كان إماما عارفا بالقراءات زاهدا. و فيها توفّى عبد اللّه ابن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى بن الخليفة أبى جعفر المنصور الخطيب أبو جعفر الهاشمىّ العباسىّ خطيب جامع المنصور و ابن خطيبه؛ كان عالى النسب من بنى العبّاس، كان فى طبقة هارون الواثق فى علوّ النسب. و فيها توفّى القاضى أبو السائب عتبة بن عبيد اللّه بن موسى الهمذانى، مولده بهمذان فى سنة أربع و ستين و مائتين، و كان أبوه تاجرا؛ ولى قضاء أذربيجان ثم قضاء همذان ثم آل به الأمر الى أن تقلّد قضاء القضاة؛ و كان إماما عالما، غلب عليه الزهد و سافر و لقى الجنيد فى سفره و أخذ عنه؛ ثم تفقّه بجماعة من العلماء، و كان عالما فاضلا.

و فيها توفّى الأمير فاتك الإخشيذىّ المجنون أبو شجاع، و كان أكبر مماليك الإخشيذ، و ولى إمرة دمشق، و كان فارسا شجاعا؛ كان رومىّ الجنس، و كان رفيقا للأستاذ كافور الإخشيذىّ. فلما صار كافور مدبّر مملكة أولاد الإخشيذ و عظم أمره، أنف فاتك هذا من المقام بمصر كيلا يكون كافور أعلى مرتبة منه، فانتقل من مصر الى إقطاعه و هو بلاد الفيّوم؛ و كان كافور يخافه و يكرهه؛ فلم يصحّ مزاج فاتك بالفيّوم و مرض و عاد إلى مصر فمات بها. و كان فاتك المذكور كريما جوادا. و لما قدم المتنبّى إلى مصر سمع بعظمة فاتك و تكرّمه، فلم يجسر أن يمدحه خوفا من كافور.

و كان فاتك يراسله بالسلام و يسأل عنه. فاتفق اجتماعهما يوما بالصحراء، و جرت بينهما مفاوضات. فلما رجع فاتك إلى داره بعث إلى المتنبّى هديّة قيمتها ألف دينار،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۳۰

ثم أتبعها بهدايا أخر. فاستأذن المتنبّى كافورا فى مدحه فأذن له؛ فمدحه بقصيدته التى أوّلها:

لا خيل عندك تهديها و لا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

و يأتى شىء من ذكر فاتك أيضا فى ترجمة كافور إن شاء اللّه تعالى. و لما مات فاتك رثاه المتنبى أيضا. و فيها توفّى أبو وهب الزاهد أحد المشهورين بالأندلس.

قال أبو جعفر أحمد [بن] عون اللّه [بن حدير]: سمعت أبا وهب يقول: «و اللّه لا عانق الأبكار فى جنّات النعيم و الناس فى الحساب إلّا من عانق الذلّ، و ضاجع الصّبر، و خرج منها كما دخل فيها». و فيها توفّى الناصر لدين اللّه أبو المطرّف صاحب الأندلس الملقّب بأمير المؤمنين؛ و اسمه عبد الرّحمن بن محمد بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الرّحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرّحمن الداخل، المقدّم ذكره، ابن معاوية، الأموىّ المروانىّ ثم الأندلسىّ؛ ولى الأمر بعد جدّه؛ و كان ذلك من غرائب الوجود لأنّه كان شابّا و بالحضرة أكابر من أعمامه و أعمام أبيه؛ و تقدّم هو و هو ابن اثنتين و عشرين سنة. فاستقام له الأمر و بنى مدينة الزّهراء- و قد ذكرنا أمر بنائها فى محلّه- و مات فى هذه السنة. و كانت مدّة أيّامه خمسين سنة، و كان من أجلّ ملوك الأندلس.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۳۱

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۱]

السنة الثانية من ولاية علىّ بن الإخشيذ على مصر، و هى سنة إحدى و خمسين و ثلثمائة- فيها نقلت سنة خمسين و ثلثمائة [من حيث الغلّات] إلى سنة إحدى و خمسين الخراجيّة، و كتب بذلك عن المطيع كتاب فى هذا المعنى. فمنه أنّ السنة الشمسيّة خمسة و ستون و ثلثمائة يوم و ربع بالتقريب؛ و أنّ السنة الهلاليّة أربعة و خمسون و ثلثمائة و كسر؛ و ما زالت الأمم السالفة تكبس زيادات السنين على اختلاف مذاهبها، و فى كتاب اللّه تعالى شهادة بذلك؛ قال اللّه تعالى: (وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً)؛ فكانت هذه الزيادة هى المشار إليها.

و أما الفرس فإنّهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التى شهورها اثنا عشر شهرا و أيّامها ستون و ثلثمائة يوم، و لقّبوا الشهور اثنى عشر لقبا، و سمّوا الأيّام بأسامىّ، و أفردوا الأيّام الخمسة الزائدة و سمّوها المشرقة، و كبسوا الرّبع فى كلّ مائة و عشرين سنة شهرا؛ فلما انقرض ملكهم بطل ذلك. و فيها دخل الدّمستق ملك الروم عين زربى فى مائة و ستّين ألفا- و عين زربى فى سفح جبل مطلّ عليها- فصعد بعض جيشه الجبل، و نزل هو على بابها و أخذوا فى نقب السور؛ فطلبوا الأمان فأمّنهم و فتحوا له فدخلها، و ندم حيث أمّنهم؛ و نادى بأن يخرج جميع من فى البلد إلى الجامع. فلمّا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۳۲

أصبح بثّ رجاله و كانوا مائة ألف، و كلّ من وجدوه فى منزله قتلوه، فقتلوا عالما لا يحصى؛ ثم فعل فى البلد تلك الأفاعيل القبيحة. و فيها عاد الدّمستق الى حلب؛ فخرج إليه سيف الدولة بغير استعداد و حاربه، فحاربه الدّمستق بمائتى ألف مقاتل، فانهزم سيف الدولة فى نفر يسير؛ و كانت داره بظاهر حلب، فنزلها الدّمستق و أخذ منها ثلثمائة و تسعين بدرة دراهم، و أخذ منها ألفا و أربعمائة بغل؛ و من السلاح ما لا يحصى، ثم نهبها الدّمستق و أحرقها ثم أحرق بلاد حلب. و قاتله أهل حلب من وراء السور فقتلوا جماعة من الروم، فسقطت قائمة من السور على جماعة من أهل حلب فقتلتهم؛ فأكبّ الروم على تلك الثّلمة و قاتلوا حتى ملكوا حلب، و وضعوا فيها السيف حتّى كلّوا و ملّوا، و أخربوا الجامع و أحرقوا ما عجزوا عن حمله؛ و لم ينج إلا من صعد القلعة؛ فألّح ابن أخت الملك فى أخذ القلعة فقتل بحجر. و كان عند الدمستق ألف و مائتا أسير من أهل حلب فضرب أعناقهم. ثم عاد الى الروم و لم يعرض لأهل القرى، و قال لهم: ازرعوا فهذا بلدنا و عن قليل نعود إليكم. و فيها كتبت الشّيعة ببغداد على أبواب المساجد لعنة معاوية رضى اللّه عنه، و لعنة من غصب فاطمة رضى اللّه عنها حقّها من فدك، و لعنة من منع الحسن أن يدفن مع جدّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۳۳

صلّى اللّه عليه و سلم؛ ثم محى فى الليل. فأراد معز الدّولة إعادته؛ فأشار عليه الوزير المهلّبىّ أن يكتب مكان ما محى: لعن اللّه الظالمين لآل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم؛ و صرّحوا بلعنة معاوية رضى اللّه عنه فقط. و فيها أسرت الروم أبا فراس بن سعيد ابن حمدان من مدينة منبج، و كان واليها. و فيها وقع بالعراق برد وزن البعض منه رطل و نصف بالعراقىّ. و فيها توفّى الوزير أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون المهلّبىّ، أصله من بنى المهلّب بن أبى صفرة، أقام [فى] وزارة معزّ الدولة ثلاث عشرة سنة.

و كان فاضلا شاعرا فصيحا نبيلا سمحا جوادا ذا مروءة و كرم، و عاش أربعا و ستّين سنة. و استوزر معزّ الدولة عوضه أبا الفضل العبّاس بن الحسن الشّيرازىّ. ثم صادر معزّ الدولة أولاد المهلّبىّ من بعد موته. و فيها توفى دعلج بن أحمد بن دعلج أبو محمد

السّجزىّ الفقيه العدل؛ ولد سنة ستّين و مائتين أو قبلها، و سمع الكثير. قال الحاكم:

أخذ عن ابن خزيمة المصنّفات، و كان يفتى بمذهبه، و كان شيخ الحديث، له صدقات جارية على أهل الحديث بمكّة و العراق؛ مات فى جمادى الآخرة و له نيّف و تسعون سنة.

و فيها توفّى عبد الباقى بن قانع بن مرزوق بن واثق أبو الحسين الأموىّ مولاهم البغدادىّ الحافظ، سمع الكثير و روى عنه الدارقطنى و غيره، و صنّف معجم الصحابة، و مات فى شوّال.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۳۴

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى إبراهيم بن علىّ أبو إسحاق الهجيمى، و الحسن بن محمد الوزير أبو محمد المهلّبىّ، و دعلج بن أحمد السّجزىّ، و عبد اللّه بن جعفر بن محمد بن الورد البغدادىّ بمصر، و عبد الباقى بن قانع أبو الحسين فى شوّال، و أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد النقّاش فى شوّال، و له خمس و ثمانون سنة، و أبو جعفر محمد بن علىّ بن دحيم الشّيبانىّ، و أبو محمد يحيى بن منصور قاضى نيسابور.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و إحدى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و سبع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۲]

السنة الثالثة من ولاية علىّ بن الإخشيذ على مصر، و هى سنة اثنتين و خمسين و ثلثمائة- فيها فى يوم عاشوراء ألزم معزّ الدولة الناس بغلق الأسواق و منع الطبّاخين من الطبخ، و نصبوا القباب فى الأسواق و علّقوا عليها المسوح، و أخرجوا النساء منشورات الشعور يقمن المأتم على الحسين بن علىّ رضى اللّه عنه. قلت: و هذا أوّل يوم وقع فيه هذه العادة القبيحة الشّيعيّة ببغداد. و كان ذلك فى صحيفة معزّ الدولة بن بويه؛ ثم اقتدى به من جاء بعده من بنى بويه، و كلّ منهم رافضىّ خبيث.

نذكر ذلك كلّه فيما يأتى فى الحوادث إن شاء اللّه تعالى. و فيها أصاب سيف الدولة علىّ بن عبد اللّه بن حمدان فالج فى يده و رجله. و فيها قال ثابت بن سنان: أرسل بعض بطارقة الأرمن الى ناصر الدولة الحسن بن حمدان رجلين ملتصقين عمرهما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۳۵

خمس و عشرون سنة و معهما أبوهما؛ و الالتصاق كان فى الجنب، و لهما بطنان و سرّتان و معدتان، و تختلف أوقات جوعهما و عطشهما و بولهما، و كلّ واحد منهما يكمل الخلق، و كان أحدهما يميل الى النساء و الآخر الى المرد. و قال القاضى [علىّ بن الحسن التنوخىّ]: و مات أحدهما و بقى أيّاما و أنتن و أخوه حىّ. فجمع ناصر الدولة الأطباء على أن يقدروا على فصلهما فلم يقدروا؛ و مات الآخر من رائحة الميّت بعد أيّام. و فيها قتل ملك الروم و صار الدّمستق هو الملك و اسمه تقفور. و فيها توفّيت خولة أخت سيف الدولة بن حمدان بحلب؛ و هى التى رثاها المتنبى بقوله:

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النّسب

و فيها انتصرت الرّوم على الإسلام بكائنة حلب و ضعف أمر سيف الدولة بعد تلك الملاحم الكبار التى طيّر فيها لبّ العدوّ و مزّقهم. و للّه الأمر.

و فيها خرج أيضا سيف الدولة غازيا، فسار الى حرّان و عطف على ملطية، و قتل من الروم خلائق و ملأ يده سبيا و غنائم، و للّه الحمد.

و فيها فى شعبان ورد غزاة خراسان نحو ستمائة رجل الى الموصل يريدون الجهاد نجدة لأهل الموصل.

و فيها عبرت الروم الفرات لقصد الجزيرة؛ فتهيّأ ناصر الدولة بن حمدان لقتالهم. و فيها اجتمع أهل بغداد و وبّخوا الخليفة المطيع للّه

بكائنة حلب، و طلبوا منه أن يخرج بنفسه الى الغزو و يأخذ بثأر أهل حلب. و بينما هم فى ذلك ورد الخبر بموت طاغية الرّوم و أن الخلف وقع بينهم فيمن يملّكونه عليهم، و أن أهل طرسوس غزوهم و انتصروا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۳۶

عليهم و عادوا بغنائم لم يرفى دهر مثلها؛ فآنتدب المسلمون لغزو الروم من كلّ جانب.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أحمد [بن عبيد بن أحمد] أبو بكر الحمصّيّ الصفار، و أبو الحسين أحمد بن محمود البيهقىّ، و أبو بكر محمد [بن محمد] بن أحمد بن مالك الإسكافىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و ستّ عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۳]

السنة الرابعة من ولاية علىّ بن الإخشيذ على مصر، و هى سنة ثلاث و خمسين و ثلثمائة- فيها عمل يوم عاشوراء كعام أوّل من المأتم و النّوح الى الضّحا، فوقعت فتنة عظيمة بين أهل السنّة و الرافضة، و جرح جماعة و نهب الناس. و فيها نزل ملك الروم الدّمستق المصّيصة فى جيش ضخم، فأقام أسبوعا و نقب السور من أماكن؛ و قاتله أهلها الى أن رحل عنها بعد أن أهلك الضّياع. و كان رحيله لشدّة الغلاء؛ فإنّ القحط كان بالشام و الثغور. و فيها بعث القرامطة الى سيف الدولة يستهدونه حديدا؛ فسيّر اليهم شيئا كثيرا، و حمل ذلك إليهم فى الفرات ثم فى البرّية الى هجر.

و فيها خرج معزّ الدولة ابن بويه إلى الموصل لقتال ناصر الدولة بن حمدان، فلحقه ذرب شديد؛ و سار ناصر الدولة أمامه الى ميّا فارقين ثم عاد الى الموصل، و اقتتل مع أعوان معزّ الدولة فاستأمن إليه الدّيلم و استأسر جميع الترك، و أخذ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۳۷

حواصل معزّ الدولة و ثقله. فعاد معزّ الدولة يريد الموصل فوقع له مع ناصر الدولة فصول ثم اصطلحوا؛ و عاد معزّ الدولة الى بغداد خائبا. و فيها عمل سيف الدولة ابن حمدان خيمة عظيمة ارتفاع عمودها خمسون ذراعا. و فيها ورد الخبر أنّ الروم يريدون [أذنة و] المصّيصة؛ فاستنجد أهل أذنة بأهل طرسوس فجاءوهم بخمسة عشر ألفا من فارس و راجل، فالتقوا و اشتدّ القتال و انهزم المشركون، فركب المسلمون أقفية الروم و اتبعوهم؛ فخرج للروم كمين نحو أربعة آلاف مقاتل، فتحيّز المسلمون الى تلّ هناك فقاتلوهم يومين؛ ثم كثر عليهم جموع الروم فاستأصلوهم، و حاصروا أهل المصّيصة و نقبوا سورها من مواضع، فقاتلهم المسلمون أشدّ قتال الى أن ترحّلوا عنها مخذولين. و فيها ملك المسلمون حصن اليمانيّة و هو على ثلاثة فراسخ من آمد. و فيها جاء عسكر من الروم و كادوا أن يملكوا حصنا من نواحى حلب، فسار لحربهم عسكر سيف الدولة و قاتلوهم فلم يفلت من الروم أحد، و قتل منهم خمسمائة نفر، و تجرّح المسلمون و خيولهم. ثم جاء الخبر بنزول الروم أيضا الى المصّيصة [والى طرسوس] مع تقفور ملك الروم، و أنهم فى ثلثمائة ألف و عاثوا و أفسدوا؛ ثم ساروا لعظم القحط كما وقع لهم أوّلا؛ فتبعهم أهل المصّيصة و طرسوس فقتلوا و أسروا طائفة كثيرة من الروم. و فيها توفّى إبراهيم بن محمد بن حمزة بن عمارة الحافظ أبو إسحاق ابن حمزة الأصبهانىّ. قال أبو نعيم: كان أوحد زمانه فى الحفظ لم ير بعد عبد اللّه ابن مظاهر فى الحفظ مثله، جمع الشيوخ و السند؛ و توفّى فى سابع رمضان. و عمارة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۳۸

جدّهم، هو ابن حمزة بن يسار بن عبد الرّحمن بن حفص؛ و حفص هو أخو أبى مسلم الخراسانىّ صاحب الدولة العباسيّة. و فيها توفّى سعيد بن عثمان بن سعيد بن السّكن الحافظ أبو علىّ البغدادىّ ثم المصرىّ البزّاز؛ ولد سنة أربع و تسعين و مائتين، و سمع بمصر و الشام و الجزيرة و العراق و خراسان و ما وراء النهر، و كان كبير الشأن مكثرا متقنا مصنّفا بعيد الصيت، له تجارة فى البريّة، و مات فى

المحرّم. و قد روى عنه صحيح البخارىّ [عبد اللّه بن محمد] بن أسد الجهمىّ و أبو عبد اللّه محمد بن أحمد ابن محمد بن يحيى بن مفرّج و أبو جعفر بن عون اللّه. و فيها توفّى بندار بن الحسين محمد بن المهلّب أبو الحسين الشّيرازىّ؛ كان يسكن بمدينة أرّجان، كان عالما بالأصول و له لسان فى علوم الحقائق، و كان الشّبلىّ يعظّمه.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد بن حمزة الأصبهانىّ الحافظ فى رمضان، و أبو عيسى بكّار بن أحمد [بن بكّار ابن بنان] المقرئ، و أبو علىّ سعيد بن عثمان [بن سعيد] بن السكن الحافظ بمصر،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۳۹

و ابن أبى الفوارس شجاع بن جعفر الورّاق الواعظ فى عشر و المائة، و عبد اللّه بن الحسن بن بندار الأصبهانىّ، و أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن العبّاس الفاكهىّ، و أبو القاسم علىّ بن يعقوب الهمذانىّ بن أبى العقب فى ذى الحجّة عن اثنتين و تسعين سنة، و أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خروف بمصر، و أبو علىّ محمد بن هارون ابن شعيب الأنصارىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۴]

السنة الخامسة من ولاية علىّ بن الإخشيذ على مصر، و هى سنة أربع و خمسين و ثلثمائة- فيها عمل فى يوم عاشوراء المأتم ببغداد كالسنة الماضية، و لم يتحرّك لهم السّنيّة خوفا من معزّ الدولة بن بويه. و فيها وثب غلمان سيف الدولة بن حمدان على غلامه نجا الكبير و ضربوه بالسيوف، و كان أكبر غلمانه [و] مقدّم جيشه و غلمانه (أعنى مماليكه). و فيها توفّيت أخت معزّ الدولة بن بويه ببغداد، فنزل الخليفة المطيع فى طيّارة الى دار معزّ الدولة يعزّيه؛ فخرج إليه معزّ الدولة و لم يكلّفه الصعود من الطيّارة و قبّل الأرض مرّات، و رجع الخليفة الى داره. و فيها حجّ الركب من بغداد. و فيها بنى تقفور ملك الروم قيساريّة قريبا من بلاد المسلمين و سكنها. و كان الناس فى هذه السنة الماضية فى شغل بالغلاء و القحط بسائر بلاد حلب و ديار بكر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۴۰

و فيها توفّى أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب المتنبّى الجعفىّ الكوفىّ الشاعر المشهور حامل لواء الشعر فى عصره، ولد سنة ثلاث و ثلثمائة و أكثر المقام بالبادية لاقتباس اللغة، و نظر فى فنون الأدب، و تعاطى قول الشعر من صغره حتّى بلغ فيه الغاية، وفاق أهل زمانه؛ و مدح الملوك و سار شعره فى الدنيا، و مدح سيف الدولة بن حمدان و كافورا الإخشيدىّ و غيرهما. و قال أبو القاسم التنوخىّ:

و قد كان خرج المتنبّى الى كلب و أقام فيهم و ادّعى أنه علوىّ، ثم ادّعى بعد ذلك النبوّة، الى أن شهد عليه بالكذب فى الدعويين و حبس دهرا و أشرف على القتل، ثم استتابوه و أطلقوه. و قال: و حدّثنى أبى الى أن قال: و كان المتنبّى قرأ على البوادى كلاما ذكر أنّه قرآن أنزل عليه، نسخت منه سورة فصاحته، و بقى أوّلها فى حفظى، و هو "": و النجم السيّار، و الفلك الدوّار، و الليل و النهار، [إنّ] الكافر لفى أخطار؛ امض على سننك و اقف أثر من كان قبلك من المسلمين، فإن اللّه قامع بك زيغ من ألحد فى الدين، و ضلّ عن السبيل. "قال: و كان المتنبّى ينكر ذلك و يجحده.

و قال له ابن خالويه النحوىّ يوما فى مجلس سيف الدولة: لو لا أن الآخر جاهل لما رضى أن يدعى المتنبّى، لأن المتنبّى معناه كاذب؛ [و من رضى أن يدعى بالكاذب فهو جاهل]. فقال: إنى لم أرض أن أدعى به. انتهى. و من شعر المتنبّى- و هو أشهر من أن يذكر- قوله:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۴۱

و ما أنا بالباغى على الحبّ رشوة قبيح هوى يرجى عليه ثواب

إذا نلت منك الودّ فالمال هيّن و كلّ الذى فوق التراب تراب

و من [شعره]- و هو البيت الذى ذكروا أنه ادّعى النبوّة فيه-:

و من نكد الدنيا على الحرّ أن يرى عدوّا له ما من صداقته بدّ

و من [شعره] قصيدته التى أوّلها:

لكك يا منازل فى القلوب منازل

و منها:

جمح الزمان فلا لذيذ خالص مما يشوب و لا سرور كامل

فإذا أتتك مذمّتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنّى فاضل

و هذا البيت الأخير الذى وقع لأبى العلاء المعرىّ مع الشريف المرتضى الموسوىّ ما وقع بسببه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۴۲

و من شعر المتنبّى قصيدته التى أولها:

أجاب دمعى و ما الداعى سوى طلل [دعا فلبّاه قبل الركب و الإبل]

فمنها قوله:

و الهجر أقتل لى ممّا أراقبه أنا الغريق فما خوفى من البلل

و منها:

لعلّ عتبك محمود عواقبه فربّما صحّت الأجسام بالعلل

و يعجبنى قوله من شعره:

خير أعضائنا الرءوس و لكن فضلتها بقصدك الأقدام

و ما أحسن مطلع قصيدته:

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

و منها:

فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

و منها:

و كلّ شجاعة فى المرء تغنى و لا مثل الشجاعة فى الحكيم

و كم من عائب قولا صحيحا و آفته من الفهم السقيم

و لكن تأخذ الأذهان منه على قدر القرائح و العلوم

مات المتنبّى قتيلا بالنّعمانيّة. و فيها توفّى محمد بن حبّان بن أحمد بن حبّان الحافظ العلامة أبو حاتم التّميمى البستىّ صاحب التصانيف المشهورة، كان عالما بالفقه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۳، ص: ۳۴۳

و الحديث و الطبّ و النجوم و فنون من العلوم، و ألّف «المسند الصحيح» و «التاريخ» و «الضعفاء». قال الحاكم: كان من أوعية العلم فى الفقه و اللغة و الحديث و الوعظ. و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه بن إبراهيم بن عبدويه أبو بكر البزّاز الشافعىّ المحدّث، ولد سنة

ستين و مائتين و سكن بغداد، و سمع الكثير و حدّث، روى عنه الدارقطنيّ و جماعة.

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفيّ المتنبّى و له إحدى و خمسون سنة، و أبو حاتم محمد بن حبّان ابن أحمد التّميميّ البستيّ فى شوّال، و أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسّم العطّار المقرئ، و أبو بكر محمد بن عبد اللّه بن إبراهيم الشافعيّ البزّاز فى ذى الحجّة و له خمس و تسعون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و خمس أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و خمس عشرة إصبعا.

انتهى الجزء الثالث من النجوم الزاهرة و يليه الجزء الرابع و أوّله ذكر ولاية كافور الإخشيذى على مصر

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخريّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹